ذهب مع الريح

رواية إنسانية رائعة

قصة امرأة ذات مطامع

obeikandl.com

الأستاذ محمد عبد العزيز امين

طبعة مجلة روايات الجيب

obeikandl.com

خير هدية تقدمها

الى فتاتك

نسخة من كتاب

الغذاء والمطبخ والمائدة

فى صناعة الفطائر الحديثة

للآنسه بسيمة زكى ابراهيم

طباعة فاخرة — ٢٦٠ صفحة بالألوان

يشتمل على بحوث ضافية فى أهمية الغذاء واعداد موائد الفطور والغداء والعشاء والشاى وعمل مئات الأنواع من الفطائر الأسفنجية والفطائر المقلية وفطائر الزلابية والكعك والبسكويت والبودنج وأنواع الأشربة والمثلجات الخ .

الثمن ٧ قروش — خلاف أجرة البريد

يطلب من :

مكتبة مصر

شارع الفجالة رقم ٦٣ بمصر

ت ٥٨٩٢٠

obeikandl.com

القسم الاول

الفصل الاول

لم تكن سكارليت أوهارا على شيء كثير من الجمال . ولكن قبل أن فطن إلى هذه الحقيقة أحد ممن وقعوا فى حبائلها كما وقع الشقيقتان التوأمان ستيوارت وبرنيت تارلتون

كان وجهها مزيجا عجيبا من ملامح أمها الفرنسية الرقيقة ، وأبيها الايرلندى الضخم ، ولكنه وجه يلفت النظر بدقته البارز . . وعكيه العريضين ، وعينيه الخضراوين العميقتين اللتين تتألقان تحت ثروة من الأهداب السوداء الطويلة .

وقد كان منظرها حين جلست بين الشقيقتين التوأمين أمام منزلها فى (تارا) فى مساء يوم رق نسيمه من أيام شهر ابريل سنة ١٨٦١ من المناظر التى يحلم بها الشاعر . ويشتهى ان يسجلها المصور .

كان ثوبها القطنى الذى يتألف من عشرة أمتار من الحرير الثمين . . يحاكى خضرة حذائها الصغير . وخضرة الأطار الذى يحيط بها من عشب وأشجار . . وينسحب على جسدها بدقة تبرز نضوج صدرها . . وتحول خصرها ، ويمتزج بعد ذلك بحشائش الحديقة حتى لكأنه جزء منها

على أن هذا الثوب المحتشم الذى يخفى جسدها من العنق حتى أخمص القدم . . ووجهها الوديع الهادىء ، وأناملها المنعقدة فوق إحدى ركبتيها فى دعة واستسلام . . كل ذلك لم يكن الا ستارا شفافا للروح العاتية الطموح التى يحتويها هذا الغلاف الرقيق الخادع ، وهى روح تنم عنها عينان صارمتان نهمتان تتألقان بحب الحياة . وتكذبان دعتها الظاهرة . واحتشامها المصطنع

كان مظهرها الخارجى من صنع أمها . أما عيناها فكانتا من صنع الطبيعة . ولا قبل للتهذيب أو الردع . أو الصناعة على تغيير نظراتهما .

وجلس الشقيقان حولها . . وراحا يجاذبانها اطراف الحديث . ويحركان سيقانهما الطويلة . . ويضحكان فى مرح . .

وعلى الرغم من أن تلاتتهم كانوا من ابناء الاغنياء . . الذين الفوا حياة الترف والنعيم فى المزارع الشاسعة التى يملكها ذووهم . . فان وجوههم وحركاتهم كانت تنم عن النشاط . والحيوية والصلابة . . . شأن الذين يقضون حياتهم فى الخلاء . ولا يتعبون عقولهم بالدرس والتحصيل

والواقع . . أن الحياة فى مقاطعة جورجيا العذراء . . كانت لاتزال فى عهدها الأول . . وكانت المدنية فيها لاتزال تحبو . فلم يكن عيبا أن يفتقر الرجل الى بعض الصفات التى تكتسب من الثقافة المدرسية . إنما كان العيب أن يجهل ماهو أجدى وأهم من العلوم النظرية . . كزرع القطن . . . وركوب الخيل . وإصابة الهدف . وإجادة الرقص . وقد كانت براعة الشقيقين فى ذلك كله لايعادلها إلا قصورهما عن فهم أى شىء تحتويه الكتب

كانت أسرتهما تملك من المال والجياد والعبيد أكثر مما تملك أية أسرة أخرى فى جورجيا . ولكن نصيبهما من الثقافة كان أقل كثيرا من نصيب أفقر جيرانهما

وقد كان ذلك بعينه هو سبب تسكعهما فى (ناشفيل) فى ذلك المساء فانهما طردا من جامعة جورجيا فى اليوم السابق . . كما طردا من ثلاث جامعات أخرى خلال العامين الماضيين . . ولحق بهما شقيقاهما توماس وبويد . . لأنهما رفضا البقاء فى جامعة لم ترحب باخويهما .

ولم ينظر الشقيقان التوأمان الى مسألة طردهما من الجامعة بعين الجد والاهتمام .

كانت المسألة فى نظرهما لاتعدو أن تكون دعابة طريفة جديرة بان تدخل التسلية على نفوس الذين يسمعون تفاصيلها . .

وكان ذلك ايضا رأى سكارليت أوهارا . . التى لم تفتح كتابا منذ تركت جامعة (لافايت) للبنات . . .

قالت :

— اعلم انكما . وكذلك شقيقكما توماس لاتعبأون بالعلم . . ولا

تقيمون وزنا للثقافة المدرسية . . ولكن ماذا يفعل أخوكم بويد وهو الشغوف بالقراءة والدرس ؟ ! انكم التزعتموه معكم من جامعات (فرجينيا) و (الباما) و (كارولينا) . . وهاهو قد غادر جامعة جورجيا تضامنا معكم فاذا استمر بهذه السرعة فانه لن يفرغ من الدراسة أبد الدهر

فأجاب بويد بقلة اكتراثه :

— فى استطاعته أن يتوفر على دراسة القانون عند أحد المحامين . وبعد . فقد كان محتوما علينا جميعا أن نعود قبل نهاية السنة الدراسية . .

— ولماذا ؟ !

— لأن الحرب قد تنشب فى أى يوم . . ومن المستحيل أن تقع بين جدران المدرسة والحرب مستعرة . .

فقالت سكارليت فى ضجر وفروغ صبر :

— انكم تعلمون أن الحرب لن تقع . وان كل مايقال عنها مجرد كلام . لقد علم أبى من (أشلى ويلكس) أن مندوبينا فى واشنجتون سيصلون حتما إلى اتفاق ودى مع ابراهام لنكولن بشأن الاتحاد المقترح انشاؤه بين ولايات الشمال والجنوب

ثم إن ولايات الشمال تشعر بقوتنا ولا تجرؤ على محاربتنا ولذلك اعتقد أن الحرب لن تقع .

فهتف ستيوارت :

— كيف ذلك أيتها العزيزة ؟ ان الحرب واقعة لامحالة . ومن المستحيل بعد أن اصلاهم الجنرال بوريجار بمدافعه . وطردهم من قلعة (سومتر) أن يقعدوا عن القتال . . الا اذا أرادوا أن يوصموا فى العالم أجمع بالجبن والنذالة.

أما مسألة الاتحاد . . .

فقاطعته سكارليت فى سأم :

— اذا ذكرت الحرب مرة أخرى فانى أدخل البيت فى الحال ، وأغلق الباب . .

لقد مللت هذه الكلمة . . . فانى يتشدق بها ليل نهار . وجميع زائريه وأصدقائه لايتحدثون إلا عن قلعة سومتر والجنرال بوريجار .

والاتحاد .. وابراهام لنكولن . . بل وقد تفشى هذا الحديث الملول فى حلقات الشباب حتى أقفرت من البهجة والرقص .. كلا .. كلا اذا تكلمت عن الحرب فأننى أدخل البيت فى الحال .

« * »

وكانت تعنى ماتقول . . لأنها لاتطيق حديثا لاتكون هى محوره . . . لم تتلاش الابتسامة عن شفتيها عندما نطقت بهذا التهديد . واضطربت أهدابها السوداء الطويلة الساحرة كما تضطرب أجنحة الفراشة . فأعجب بها الشقيقان كما أرادتهما أن يعجبا . وسارعا الى الاعتذار عما أدخلا على نفسها من سأم . . بحديثهما فى موضوع هو من شئون الرجال وحدهم .

قالت لتحول مجرى الحديث :

— وماذا قالت والدتكم عندما علمت بطردكم من الجامعة ؟ ؟

فتذكر الفتيان ما فعلت أمهما عندما طردا من جامعة فرجينيا قبل ثلاثة شهور . . وبدت عليهما علامات القلق .

قال ستيوارت :

— انها لم تجد الفرصة لتقول أو تفعل شيئا . . وقد غادرنا البيت فى الصباح المبكر قبل أن تستيقظ من نومها . . فذهب توماس الى بيت آل فونتان . . وجئنا نحن الى هنا .

ألم تقل شيئا عندما وقع بصرها عليكم أمس ؟؟

— إن الحظ حالفنا ليلة أمس . فقد وصلنا الى البيت فى اللحظة التى كانت فيها والدتى ترحب بالجواد الجديد الذى ابتاعته من كانتوكى . . وياله من جواد باسكارليت . يجب أن تحملى أباك على رؤيته . . لقد قضم ذراع السائس . . وداس اثنين من الزنوج . واحال الأصطبل الى كومة من الأنقاض . كل ذلك فى مدة لاتتجاوز ثلاث دقائق . وعندما وصلنا كانت أمى تعمل على تهدئته . فراحت تربت على عنقه . وتقدم له السكر

ولما وقع بصرها علينا . . تحولت نحونا وهتفت :

— يا إلهى . . هل عدتما مرة أخرى ؟

وأبصر بنا الجواد . . فثارت ثائرته . . وجعل يضرب الأرض بحوافره

جت امى :

— أسرعوا بالخروج قبل ان يفتك بكم . وسأنظر فى أمركم غدا صباحا لنذهبا الى محادعنا . . وانصرفنا فى الصباح المبكر . . وتركنا (بويد) نعالج الموقف معها

فهتفت سكارليت بلهجة الاستنكار :

— هل تظن أنها ستضربه ؟

كانت تعلم — كغيرها من أهل الناحية — أن مدام تارلتون لاتتورع عن ضرب أولادها بالسياط . . رغم بلوغهم مبلغ الرجال .

ومدام تارلتون امرأة قصيرة القامة . . على جانب عظيم من النشاط . . وهى لا تشرف فقط على مزارع القطن الواسعة . . ومئات الزنوج . . وأولادها الثمانية . . بل تشرف كذلك على أعظم اصطبل فى (جورجيا) لتربية الجياد وترويضها .

ولكنها كانت تحظر على كائن من كان أن يضرب زنوجها وجيادها . . ولكنها تجد من المفيد لأولادها الكبار أن تلهب ظهورهم بسوطها كلما ضاقت ذرعا بمغامراتهم وعبثهم .

قال ستيوارت :

— لا أظن أنها ستضربه . . انها لا تقسو عليه كثيرا لأنه اكبرنا . . ولأنه قصير القامة مثلها . . ولذلك تركناه ليوضح لها الموقف .

وهل ستذهب أمك الى حفلة آل ويلكس غدا . . لمتطية صهوة جوادها الجديد .

— انها تريد ذلك . . ولكن أبى قال لها انه جواد خطر . . كذلك عارضت أخواتى . . وطلبن اليها أن تذهب الى هذه الحفلة وحدها على الأقل فى مركبة أسوة بكرائم السيدات .

فقالت سكارليت :

— كل ما أرجوه ألا تمطر السماء غدا . . فتفسد علينا بهجة الحفلة .

فقال ستيوارت :

— كلا . . سيكون الجو غدا صحوا ودافئا . . انظرى نحو الأفق . .

ان قرص الشمس أحمر كالدم . . وليس أصدق من غروب الشمس فى الدلالة على جو اليوم التالى .

فأرسلوا أبصارهم نحو الأفق . عبر حقول القطن الواسعة . . وانعكست على وجوههم أشعة الشمس الغاربة . . فصبغتها بلون الدم . . وساد بينهم صمت عميق .

وفجأة . . انبعث من داخل المنزل صوت تلاطم الاطباق والصحاف . ورنين الملاعق وأدوات المائدة . . فادرك الشقيقان أن الوقت قد حان لانصرافهما . . وشعرا بالجزع من قرب لقاء امهما . . وتمنيا فى أعماق قلبيهما أن تدعوهما سكارليت لتناول طعام العشاء

قال برنيت :

— وعلى ذكر الحفلة التى يقيمها آل ويلكس غدا . . هل وعدت بمراقصة أحد فى هذه الحفلة ياسكارليت ؟

فأجابت الفتاة فى خبث :

— طبعا . هل كنت أعلم أنكم ستطردون من الجامعة

فضحك الفتيان وقال برنيت :

— اصغى الى ياسكارليت . . احتفظى لى بالرقصة الاولى وستيوارت بالرقصة الأخيرة . . وافعلى بعد ذلك ما شئت . بشرط أن تجلسى معنا أثناء الطعام . . كما حدث فى الحفلة الأخيرة .

فهزت كتفيها وقالت بلهجة ساخرة :

— كلا . . لا استطيع أن أعد بشىء .

فنظر ستيوارت الى أخيه . وغمز بعينه وقال :

— عدينا . . فنكشف لك سرا خطيرا .

ففتحت عينيها بغتة وهتفت :

— ماذا ؟

فقال برنيت :

— هل تعنى السر الذى عرفناه أمس فى (اتلانتا) ياستيوارت ؟ ولكنك تعلم اننا وعدنا بكتمانه

— ان الآنسة بيتى لن تغضب اذا . . .

فقاطعته سكارليت :

— الآنسة ماذا ؟ !

— الآنسة بيتى هاملتون . . ابنة عم أشلى ويلكس . . أنت تعرفينها أليس كذلك ؟ !

— نعم . . أعرفها . . إنها أحمق عجوز رأيتها فى حياتى

— اننا قابلناها أمس فى محطة (اتلانتا) . . فقالت لنا إن خطوبة ستعلن غداً فى حفلة آل ويلكس

فقلبت سكارليت شفتها بازدراء وقالت :

— هذا نبأ قديم . . انها تعنى خطوبة ابن عمها الابله شارل هاملتون وهانيا ويلكس . . كل انسان فى هـــذه الناحية يعلم منذ أعوام أنهما سيتزوجان يوما ما

وسألها بريت :

— أتعتقدين أنه أبله ؟ ! ومع ذلك فانك سمحت له أن يحوم حولك كثيراً فى حفلات عيد الميلاد

فهزت كتفيها وأجابت بقلة اكتراث :

— انه أتعب نفسه سدى .

فلمعت عينا ستيوارت بخبث وقال :

— على كل حال أنت أخطأت الحدس . . فالقوم سيعلنون غداً خطوبة أشلى ويلكس . . والآنسة ميلانى هاملتون . . شقيقة شارل .

فلم تتحرك عضلة واحدة فى وجه سكارليت . . ولكن شفتها امتقعتا فى الحال . . كمن يصاب فجأة بلطمة قاضيـة . . ولايشعر للوهلة الأولى بحقيقة ما أصابه

وبلغ من سكينتها وهـدوئها . . أن اعتقـد التوأمان . . أن ليس وراء صمتها سوى الدهشة والعجب .

استطرد ستيوارت :

— وقد علمت الآنسة بيتى أنه لم يكن فى النية اعلان هذه الخطوبة قبل

نهاية العام بسبب حالة ميلانى الصحيـة . . ولـكن مايقال عن قرب وقوع الحرب قد حمل الاسرتين على التعجيل بإبرام هذا الزواج وستعلن الخطوبة غدا بعد الطعام .

ها نحن قد كشفنا لك عن هذا السر ياسكارليت . . فهلا وعدتنا بالجلوس معنا على مائدة الطعام ؟ .

فأجابت بلهجة آلية :

— طبعا

— وسترقصين معنا

— نعم . . نعم

— ما أظرفك ياسكارليت . . سوف يحن سائر الفتيان غيرة وحسداً . .

قال برنيت :

— ولا شك أنك ستسمحين لنا بمرافقتك الى هنا بعد الحفلة .

— ماذا تقول ؟

وأعاد برنيت السؤال . فأجابت :

— طبعا . . طبعاً . .

وتبادل التوأمان نظرة فرح ودهشة . .

لم يألفا من سكارليت مثل هذا اللين وهذا الاذعان .

كانت قد عودتهما أن يضرعا ويتوسلا . . دون أن ينالا جوابا صريحا . وعودتهما أن تقابل الحاحهما بالضحك . وحنقهما بالفتور وقلة الاكتراث فكان عجيباً فى هذه المرة أن تعدهما بكل شىء . دون أن تكلفهما عناء .

وعدت بان تراقصهما دون سائر الفتيان . . وبان تجلس بينهما على مائدة الطعام . وبان تعود من الحفلة فى رفقتهما .

فما أحلى الطرد من الجامعة اذا كان هذا هو الجزاء !!

« * »

وغملا بنشـــوة الفرح والظفر . . وأغراهما الفوز بالتباطؤ بقربها . . فتبسطا فى الحديث عن الحفلة الراقصة وعن أشلى وبنكس وميلانى هاملتون وراحا يرسلان النكات . . ويضحكان . . ويهيبان بها فى تلميح أوضح من

التصريح أن تدعوهما لتناول العشاء .

وانقضى بعض الوقت . قبل أن يلاحظا أن الفتاة لا تعيرهما انتباهها .. ولا تكاد تعى كلمة مما يقولان . وعندئذ أحسا بأن فى الجو شيئا لا يفهمانه. وبعد أن تسكعا قليلا نظرا فى ساعتيهما . ثم نهضا .

وكانت الشمس قد غابت وراء الأفق . وتلاشت ظلال الشجر فى ظلام الغسق . فاستأذن التوأمان فى الانصراف وقبلا أنامل الصبية مودعين . وبعد لحظة كانا يهبان الأرض بجوادهما مبتعدين عن البيت . يتبعهما خادمهما الزنجى وكلبهما الضخم .

وما أن غاب البيت عن بصرهما وراء سحب الغبار المتصاعدة من الطريق حتى ارخى برنيت عنان جواده . والتفت الى أخيه . وقال وعلى وجهه دلائل الدهشة والاستنكار :

— الا ترى أنه كان يجدر بها أن تدعونا لتناول طعام العشاء ؟

فاجاب ستيوارت :

— لقد كنت انتظر هذه الدعوة بفروغ صبر . ولكن بغير جدوى فماذا تفهم من ذلك ؟ ؟

— لا أستطيع أن أفهم شيئا . كل ما أعلمه . أنه كان ينبغى عليها أن تدعونا الى الطعام . لقد رأيناها اليوم لأول مرة بعد غياب طويل . وكان لدينا كلام كثير نريد أن نقوله لها .

— لقد خيل الى أول الأمر أنها سرت بقدومنا

— خيل إلى ذلك أيضا .

— ولكنها صمتت بغتة منذ نصف ساعة تقريبا . . كأنها أصيبت بصداع فجائى .

— لقد لاحظت ذلك . ولكنى لم الق اليه بالا .

— هل تظن أننا قلنا شيئا أغضبها ؟ ؟

وفكرا لحظة . وقال ستيوارت :

— لا أظن أننا أغضبناها . . ثم اننا نعلم كما يعلم كل إنسان انها إذا غضبت . . هاجت وماجت . ولم تقو على ضبط شعورها كما تفعل غيرها

من الفتيات .

— وهذا ما يحببها الى . . فهى لا تكظم غيظها ولا تكتم غضبها وراء ستار من الهدوء والسكينة حتى يستحيل هذا الغضب نارا آكلة . وسماقاتلا كما تفعل الفتيات . . ولكن لا شك أننا قلنا أو فعلنا شيئا آلمها . . وحز فى قلبها . . لكى تستحيل بهجتها صمتا وحماستها فتورا كما حدث .

أقسم لك انها كانت سعيدة عند ما ابصرت بنا . . وانه كان فى نيتها أن تدعونا الى العشاء .

— ترى هل أزعجها اننا طردنا من الجامعة ؟ !

— كلا بغير شك . . انها قهقهت ضاحكة عندما انهينا اليها النبأ . . وهى بعد ذلك ليست اشد منا ايمانا بمحتويات الكتب .

— الحق أننى لا أفهم هذا اللغز . . ولكنى آسف على انها لم تدعنا الى العشاء . . . وأؤكد لك اننى زاهد فى العودة الى بيتنا . . . ومقابلة والدتنا . .

— دعنا نرجو أن يكون بويد قد استطاع اقناعها . . والترفيه من غضبها . .

— انه قادر أن يصنع ذلك . ولكن بعد وقت طويل . . إذ يتعين عليه ان يحوم حول الموضوع . ويدور فى حلقات . حتى يوقع والدته فى الحيرة والارتباك . . فيختلط عليها الأمر . وتطلب اليه أن يدخر صوته وحججه لمهنة المحاماة التى سيزاولها . . ولكنى واثق من انه لم يجد بعد الفرصة للقيام بهجومه . وأكبر الظن أن اهتمام والدتنا لا يزال منصرفا الى حصانها الجديد . وانها لن تعنى بامر طردنا من الجامعة حتى تجلس لتناول طعام العشاء . . وترى بويد وحينئذ لابد أن تثور ثائرتها . وترسل عليه حمما من قارص الكلام . . ولن يجد بويد قبل الساعة العاشرة فرصة لاقناعها بانه كان من العار علينا أن نبقى فى الجامعة بعد الحديث المهين الذى وجهه الينا مدير الجامعة . . وقد ينتصف الليل قبل أن يتحول غضبها إلى مدير الجامعة . . فتصرخ فى وجه بويد . لماذا لم يطلق عليه الرصاص

كلا . . كلا . يجب أن لا نعود إلى البيت قبل منتصف الليل

الفصل الثانى

ما كاد وقع حوافر الجوادين يتلاشى فى سكون الغسق حتى تنهدت سكارليت .. وتهالكت فى مقعدها فى يأس وجزع .

كانت عضلات وجهها متصلبة . وقد أحست كأن فمها يؤلمها من فرط ما ابتسمت رغم ارادتها لتمنع التوأمين من معرفة سرها . .

وشعرت بأن قلبها قد تضخم حزنا ويأسا حتى ليضيق به صدرها . وبأن جميع حواسها قد ركدت . كأنما فى انتظار الكارثة التى توشك أن تنقض

أحست بمثل الألم الذى يحس به طفل تعود أن ينال كل ما يطلب . . ثم اصطدمت مطالبه فجأة .. ولأول مرة . . بحقائق الحياة ومنا كدها .

مستحيل أن يقترن أشلى ويلكس بميلانى هاملتون .

لاشك أن التوأمين لم يسمعا جيداً . . أو لاشك انهما لم يقصدا غير مجرد الدعابة . .

إن أشلى لايحب ولايمكن أن يحب ميلانى هاملتون ..

لاأحد فى الدنيا يستطيع أن يحب فتاة ضئيلة نحيلة عايلة مثل ميلانى !

ثم أن اشلى لم يرها منذ شهور . ولم يذهب إلى (اتلانتا) الا مرتين طيلة هذا العام . .

كلا . . كلا . . ان اشلى لايستطيع أن يحب ميلانى . . لسبب بسيط واضح . هو أنه يحبها هى . . وهى تعلم ذلك علم اليقين

« * »

وسمعت سكارليت وقع أقدام مربيتها الزنجية تزلزل درج السلم الخشبى الموصل إلى الحديقة . . فبسطت أسارير وجهها . . واصطنعت الهدوء

كانت المربية العجوز ثاقبة البصر . شديدة الحساسية . تحب آل (أوهارا) وتخلص لهم . وتقرأ وجوههم كما لو كانت كتابا مفتوحا . . وقد تعلمت سكارليت من التجارب أن اثارة فضول هذه الزنجية الأمينة . معناه آخر الأمر أن ينفضح السر . ويصل إلى أذنى هيلين أوهارا . والدتها.

سألتها الزنجية :

— اين ذهب الفتيان ! ؟ يالمعار ياسيدتى . . لماذا لم تدعيهما لتتناول الطعام . لقد أعددنا لهما مكانا حول المائدة . .

فاجابت سكارليت بقلة اكتراث :

— لقد اتعبانى بحديثهما عن الحرب وكان من المستحيل أن أطيق هذا الحديث اثناء الطعام . . سيما اذا اشترك فيه أبى . .

— لم يكن من الكرم وحسن الضيافة أن تسمحى لهما بالانصراف ساعة الطعام . . لقد علمناك غير ذلك يا آنسة . . ولكن ماهذه الخشونة التى ألمسها فى صوتك . . هل أصابك برد ؟ !

فأجابت سكارليت فى ضجر : كلا . .

— إذن فادخلى . . فقد هبط الظلام . .

— سأدخل فى التو واللحظة . .

وانصرفت المربية الزنجية . . وبقيت سكارليت فى مكانها يائسة حائرة . . لاتدرى اين تتوارى حتى يذهب عنها بعض مايؤلمها ويحز فى قلبها . . وأخيراً خطر لها خاطر . . حمل معه شعاعا من الامل . .

تذكرت أن أباها قد انطلق بعد ظهر ذلك اليوم الى مزرعة جون ويلكس ليبتاع زنجية تدعى (ديلسى) . .

وكان (بورك) خادم أبيها . . قد اقترن بهذه الزنجية منذ بضعة شهور ولم يكف يوما عن مطالبة سيده بابتياع (ديلسى) لكى تقيم معه فى مزرعة واحدة . وضاق جيرالد اوهارا ذرعا بتوسلات خادمه وقرر آخر الامر أن يبتاع الزنجية ليستريح من الحاح الخادم . .

قالت سكارليت لنفسها :

— ان أبى يعرف الحقيقة بغير شك . . واذا لم يكن قد سمع شيئا أثناء وجوده فى المزرعة . . فلابد أنه لاحظ أشياء . . واذا خلوت به قبل الطعام فربما استطعت أن استدرجه الى الكلام .

* * *

ولاحظت أنها لكى تخلو به . . يتعين عليها أن تلقاه قبل أن يدخل البيت . . فقصدت الى باب الحديقة . . ورابطت عند جذع شجرة هناك

وحان موعد عودة جيرالد اوهارا . . ولكنه لم يعد . . . وحمدت له سكارليت هذا الابطاء . فقد كانت بحاجة الى بعض الوقت لتكبت عواطفها وتكبح أنفاسها اللاهثة . . حتى لا يفطن الى اضطرابها وانفعالها

وجرى خاطرها على الرغم منها إلى أشلى وغمغمت :

— يا الهى . . هل يمكن أن يكون ذلك صحيحا ؟ !

وتولى عنها بعض ما أصابها من الفزع واليأس عندما وقر هذا النبأ أذنيها . واحتلت قلبها مرة أخرى تلك الحمى التى طالما الهبت دمها طيلة العامين الأخيرين .

عجبت . . كيف لم تحب أشلى بكل كيانها قبل هذين العامين . فقد قضيا أيام الطفولة معا . . وكانت تراه كل يوم فلا تعبأ به . . ولا تلقى اليه بالا . . الى أن كان أحد الأيام منذ عامين . . حين عاد من رحلة فى أوربا استغرقت ثلاثة أعوام

فى ذلك اليوم أحست فجأة . بانها تحبه .

وهى لا تزال تذكر تفاصيل لقائها . . بل وتذكر لون الثوب الذى كان يرتديه . . والقبعة العريضة التى كانت تغطى رأسه . . وتظل وجهه . أقبل فى ذلك اليوم ممتطيا جوادا أبيض . . ولما أشرف على الحديقة . . ترجل عن ظهر جواده . . وشد عنانه إلى إحدى الأشجار . . ثم وقف أمامها . . وتأملها طويلا . وتلاعبت على شفتيه وفى عينيه ابتسامة لاتذكر أنها رأت أعذب منها

ولما رفع قبعته محييا . عبث النسيم بخصلات شعره الأشقر الجميل .

قال لها :

— إنك كبرت ياسكارليت .

وأحنى قامته فى أدب . وقبل أناملها .

وهى إن تنس فلا تنسى عذوبة صوته . . وكيف وثب قلبها عندما سمعت نبراته .

فى تلك اللحظة . . ومنذ تلك اللحظة . . أحست بانها تحتاج اليه . . كما تحتاج الى طعام تأكله . والى ماء تشربه . وإلى جواد تركبه . وإلى

فراش تتمدد عليه .

وخلال العامين الأخيرين . . كان أشلى يرافقها الى جميع الحفلات والمراقص . . ويذهب معها لصيد السمك . ويختلف إلى بيتها مرة أو مرتين كل أسبوع

صحيح أنه لم يغازلها . وانها لم تر فى عينيه قط ذلك البريق الذى عرفته فى عيون غيره من الرجال . . ولكنها رغم ذلك كانت تعلم أنه يحبها . كانت تعلم ذلك بقوة الغريزة . . وبقوة الادراك المكتسب من التجارب

وكثيراً ما فاجأته . . وهو ينظر اليها مليا . وفى عينيه مزيج من الحنين والحزن . . فكانت تفهم معنى هذا الحنين . . وتحار فى فهم الحزن الذى يخالطه .

على أن هذا الحزن المبهم ، لم يكن الشىء الوحيد الذى استعصى على فهمها .

كان أشلى لين العريكة . . دمث الخلق . ولكنه شديد الترفع والتحفظ يفكر كثيراً ولا يستطيع أحد أن يعلم فيم يفكر . . ويلزم الصمت حين يسرف الجميع فى الكلام . ويعرف — كغيره من الشباب — الصيد والقنص والرقص والقمار والسياسة . . ولكنه يختلف عن سائر الشباب . . فى أنه لا يجعل من هذا العبث هدفه وغايته فى الحياة

كانت تحبه . ولكنها لا تفهمه . لأنها طبعت على البساطة والصراحة ونشأت طليقة كالريح التى تعصف باشجار المزرعة . وكالنهر الذى ينساب بين حقولها . فهى لا تستطيع مهما تبذل من جهد أن تفهم الطبائع المعقدة . وقد كان أشلى من أصحاب الطبائع . ذلك أنه انحدر من قوم يؤثرون التفكير على العمل . وتنسج اخيلتهم فى أوقات الفراغ خيوطا من الذهب لا صلة لها بالحقائق . فهو يعيش فى فردوس داخلى لا يبرحه الا مرغما . وينظر الى الناس بغير حب أو بغض . والى الحياة بغير فرح أو قنوط . ويهرب من الحقائق الى الكتب والموسيقى والشعر .

وقد أدهش سكارليت أن تحبه . وهو الغريب عنها بعقله وتفكيره . الغامض بميوله وأطواره . . على أن هذا الغموض كان فى ذاته مبعث فضولها

قد جعله فى نظرها أشبه بباب لاقفل له ولا مفتاح . . فصحت عزيمتها على ن ترى ماوراء هذا الباب .. مهما كلفها ذلك من جهد وعناء .

« * »

ولم تشك لحظة واحدة فى انه سيطلب يدها يوما ما .. ولم تكن لحداثة سنها قد عرفت معنى الفشل .. أو تذوقت مرارة الخيبة .. ولذلك وقع عليها هذا النبأ وقع الصاعقة .. وتركها حائرة مذهولة لاتستطيع أن تصدق أذنيها ولكن لا .. يستحيل أن يكون هذا النبأ المخيف صحيحا .

لقد قال لها فى الأسبوع الماضى فقط .. وهما فى طريقهما إلى البيت بعد زهة فى الحقول : « عندى شىء أريد أن أقوله لك ياسكارليت . . ولكنه ن الأهمية بحيث لا أعرف كيف أقوله . »

فغضت بصرها فى حياء .. ووثب قلبها سرورا .. وأيقنت أن اللحظة سعيدة قد دنت .

ولكنه استطرد :

— كلا . . ليس الآن . . اننا اقتربنا من البيت . . والوقت لا يتسع كلام .. ياإلهى .. كم أنا جبان !!

ولكن جواده فى شىء كثير من الحيرة والاضطراب .

« * »

تذكرت سكارليت هذه الكلمات التى أدخلت السعادة على نفسها . . . هت الآن معناها الحقيق . .

اذن فقد كان بوده أن ينهى اليها نبأ خطوبته !!

ياإلهى .. لقد أبطأ أبوها .. أفلا يعود أبداً ؟ !

وأرسلت بصرها الى عرض الطريق فى قلق وضجر .. ورأت أباها ينهب رض بجواده فى نشاط الفتيان . . وسوطه فى يده . . وشعره الأبيض بح فى الهواء . ولم تتمالك رغم قلقها . . من الشعور بالخيلاء .. فقد كان ها فارسا بارعا . . .

قالت لنفسها .. وهى تنظر نحوه باعجاب :

— لا أعلم لماذا يعمد دائما الى الوثوب بجواده فوق باب الحديقة كلما كان ثملا . . سيما بعد أن سقط فى العام الماضى وكسرت ساقه . . وأقسم لأمى على ألا يثب فوق الباب مرة أخرى

كان بينها وبين أبيها مايشبه الزمالة . . فكلاهما يشعر بلذة أثيمة فى عمل ذات الاشياء التى تنهاهما أمها عن عملها . .

واقترب الجواد من الحديقة . . وجمع جسده النشيط حتى أصبح كتلة من العضلات . . ووثب فوق الباب بخفة الطير . . فأرسل جيرالد اوهارا صيحة حماسة وجذل . . وهتف محدثا جواده :

— لقد كنت أعلم أنه لايوجد فى كل جورجيا جواد يضارعك . .

وربت على عنق الجواد برفق وحنان . .

وفى هذه اللحظة وقع بصره على ابنته . . فقطب حاجبيه . واحمر وجهه ووثب عن ظهر الجواد وهو يقول :

— أترقبيننى يابنية لتشى بى عند أمك كما فعلت أختك سولانج فى الاسبوع الماضى ؟

وكان صوته ينم عن الاستنكار . فقالت تطمئنه :

— كلا يا أبى . . اننى لست ثرثارة كأختى سولانج . ولكن يخيل أنك كسرت ساقك فى العام الماضى على أثر وثبة فوق . .

فقاطعها :

— متى كان للأبنة أن تنصب نفسها رقيبا على أعمال أبيها ! ! ! اننى أكسر ساق وعنق متى شئت . . ولا أقبل نصيحة من أحد .

وداعب خدها بلطف واستطرد :

— ولكن ماذا تصنعين هنا فى هذه الساعة يابنية ؟ ؟

فاجابت وهى تتأبط ساعده :

— كنت أنتظرك . ولم أتوقع انك ستبطىء فى العودة كل هذا الابطاء هل اشتريت (ديلسى) ؟

— طبعاً . . واشتريتها بثمن مخيف . لقد رغب جون ويلكس فى النزول عنها بغير مقابل . ولكنى لا أريد أن يقال ان جيرالد اوهارا . . .

يستغل الصداقة فى المعاملات التجارية . . لقد دفعت ثمنها ثلاثة آلاف دولار

— لك الله ياأبى . أتدفع كل هذا المبلغ ثمنا لامرأة زنجية ؟ ؟

فاطرق جيرالد برأسه اطراقة الطفل المذنب وقهقهت سكارليت ضاحكة . قال :

— لن أسمح لزنجى بعد الآن أن يختار زوجته من مزرعة أخرى . . ان ذلك يكلف كثيراً . . والآن . . هلمى بنا الى البيت يابنية لنتناول طعام العشاء . .

ولكن سكارليت تسكعت فى مشيتها .

كانت تعصر ذهنها فى البحث عن وسيلة للتحدث عن أشلى دون أن تشعر أباها بما يعتمل فى نفسها .

غير انها كانت تفتقر الى الدهاء واللباقة وسعة الحيلة . . شأنها فى ذلك شأن أبيها . فكان من المتعذر على أحدهما . أن يخفى عن الآخر خبيئة نفسه سألته :

— كيف حال القوم فى مزرعه جون ويلكس ؟

— انهم كعهدنا بهم . وقد قابلت هناك جيمس كالفيرت فقال لى ان الناس فى (اتلانتا) يتأهبون للحرب وان . .

فتنهدت سكارليت . .

كانت تعلم ان أباها يستطيع أن يتكلم عن الحرب ساعات برمتها . فقالت لتغير مجرى الحديث :

— هل قالوا شيئا عن حفلتهم غدا ؟ !

— حفلتهم ! ! آه . . نعم ان الآنسة . . ما اسمها ؟ ؟ ! تلك الفتاة النحيفة الرقيقة التى جاءت إلى هنا فى العام الماضى ! آه . تذكرت . اسمها ميلانى . ميلانى هاملتون . ابنة عم اشلى ويلكس . انها عادت من (اتلانتا) مع شقيقها شارل . لكى . .

— عادت من اتلانتا !

— نعم . وهى فى الحق فتاة وديعة دمثة الخلق . اسرعى بابنية . ان امك تنتظرنا بفروغ صبر .

واحست سكارليت بان قلبها يغوص .

كانت تأمل ان يحدث ما يعيق ميلانى هاملتون عن الحضور .

واغضبها ان يسرف أبوها فى اطراء ميلانى . وأغراها الغضب بالخروج إلى الميدان . . فسألت فى صراحة :

— وأشلى ويلكس . هل كان هناك أيضا ؟

فاجاب جيرالد :

— نعم .

ثم وقف بغتة . . ونظر إلى ابنته . وحملق فى وجهها بحدة وهتف :

— إذا كان غرضك من انتظارى هو الاستفسار عنه . فلماذا لم تقولى ذلك دون الالتجاء الى اللف والدوران ؟ !

فصمتت . ولم تجد ماتقوله . وأحست بالدم يصعد الى وجهها .

قال :

— نعم . انه كان هناك مع شقيقاته . وقد استفسروا عنك . واعربوا عن رجائهم فى الا يعوقك عن شهود الحفلة عائق .

ثم استطرد فى خبث :

— وانا واثق انه لن يعوقك عائق . ولكن ماذا بينك وبين أشلى يافتاة ؟

فاجابت باقتضاب :

— لا شىء . . فلنذهب إلى المنزل ياأبى

— الآن تريدين الاسراع إلى المنزل . . ولكنى لن أتقدم خطوة واحدة حتى أفهمك . . ماذا بينك وبين هذا الشاب ؟! هل كان يغازلك ؟! هل طلب اليك الاقتران ؟ . .

— كلا . . .

— وهو لن يطلب اليك ذلك

فنظرت اليه مغضبة . . وهمت بالذود عن كرامتها المخدوشة . . ولكنه عاجلها بقوله :

— صبرا يافتاة . واصغى إلى تتمة الحديث . . انى علمت من جون

ويلكس بصفة خاصة ان ابنه سيقترن بالآنسة ميلانى . وان النبأ سيعلن غدا

وهنا سقط ساعد سكارليت إلى جنبها

إذن فالنبأ صحيح

وأنشب الألم أظفاره فى قلبها كأنها مخلب حيوان مفترس. وأحست رغم ذهولها .. أن عينى أبيها لاتتحولان عنها .. وأنه ينظر اليها بمزيج من العطف والحيرة

كان الرجل يحب ابنته .. وقد أزعجه وعمه ان تورطه فى البحث لها عن مخرج من متاعبها .. حين كان فى استطاعتها ان تجد النجدة عند أمها قال لها :

— هل جعلت من نفسك ومنا أضحوكة يابنية !! هل كنت تطاردين فتى لايحبك .. بينما يترامى سائر فتيان الولاية على قدميك ؟!

فطغت كبرياؤها على المها وهتفت :

— كلا .. انى لم أطارده .. فقط أدهشنى نبأ هذه الخطوبة

فصاح بصراحته المعهودة :

— أنت تكذبين ..

ولكن سرعان ما غلبت فيه عاطفة الشفقة فاستطرد :

— معذرة يابنيتى .. مهما يكن الأمر فانك مازلت فى مقتبل العمر .. وهناك عشرات من الفتيان يخطبون ودك

فأجابت :

— لقد كانت أمى فى الخامسة عشرة من عمرها عندما تزوجت . وأنا الآن فى السادسة عشرة

— لقد كانت امك تختلف عنك اختلافا بينا . . فهى لم تشجع من المعجبين بها مثل هذا العدد الذى تشجعين . .

رفهى عنك يابنية . . سأذهب بك فى الاسبوع المقبل إلى عمتك فى (شارلستون) . . ولن تمر بك بضعة أيام هناك . . حتى تنسى اشلى . .

فقلبت سكارليت شفتيها . .

هل يظنها ابوها طفلة يكفيها ان تحصل على لعبة جديدة لكى تنسى متاعبها

قال لها :

— لاتنظرى الى هكذا يابنية . . لوكنت على شىء من الحكمة وبعد النظر لاقترنت باحد التوأمين منذ زمن طويل . . فكرى فى الامر مليا . . واذا راقك ان تقترنى باحد التوأمين . . فانى ابتنى لك فى الحال بيتا انيقا . . وأجلب لك . .

فقاطعته :

— كفى . كفى . لاتعاملنى كأننى طفلة . لااريد الذهاب إلى شارلستون ولااريد الاقتران بالتوأمين . . لست اريد سوى . .

وامسكت فى الوقت الملائم فرمقها الرجل بنظرة اشفاق وقال فى هدوء :

— لاتريدين سوى أشلى . وليس فى مقدورك تحقيق مطلبك . . ولكن ثق أنه لوتقدم فى طلب يدك لترددت كثيرا قبل ان اوافق .

ولاحظ دهشتها فاستطرد :

— انى اريد ابنتى على ان تكون سعيدة . . وانت لن تكونى سعيدة معه . .

— بل سأكون سعيدة . . سأكون سعيدة

— كلا . . ان السعادة لاتتوفر الا من تزاوج الاشباه . .

فشعرت برغبة جامحة فى ان تصيح به : ولكنك سعيد وليس بينك وبين امى شبه

ولكنها لزمت الصمت . . اشفاقا من ان يقابل فحتها بلطمة . .

قال ببطء :

— لايوجد شبه على الاطلاق بيننا وبين آل ويلكس . . انهم قوم على جانب عظيم من غرابة الاطوار . . ومن الخير لهم ان يتزوجوا من ابناء عمومتهم . . ليحتفظوا فيما بينهم بغرابة اطوارهم

— ولكن يا أبى . . ان أشلى . . .

— اصمتى يابنية . . انى أحب أشلى . . ولا أوجه اليه طعنا أو نقدا . . .

وغرابة الأطوار ليس معناها السفه والأسفاف . . فهو ليس مغفلا كآل كالڤيرت . . الذين يقامرون بكل مايملكون . . وليس قاسيا كآل فونتان . . الذين يفتكون بالرجل لمجرد الشهوة فى انه سخر منهم . . كذلك لا أعتقد انه اذا تزوج . . ذهب يقضى وقته فى مطاردة النساء . . ولكنه غريب الأطوار من نواح أخرى .. وليس من اليسور لانسان ان يفهمه . . وإلا فحدثينى . . هل تفهمين معنى شغفه بالكتب والموسيقى والشعر والتصوير وغير ذلك من الحماقات ؟ !

فاجابت فى ضجر :

— اذا اقترنت به .. فسوف أصرفه عن كل ذلك

— انك لاتفهمين الرجال يابنية . . فليس فى مقدور المرأة ان تحول الرجل عن سبيله . . ثم ان هذا الغموض ورائى فى آل ويلكس . . . . انظرى اليهم . . كيف يضيعون وقتهم وأموالهم فى الطواف بنيويرك وبوسطن لشهود معارض التصوير .. والمسارح .. وابتياع الكتب الفرنسية والألمانية . . وكيف يقضون الساعات الطويلة فى القراءة . . والتفكير والتحليق فى سماء الخيال . . بينما ينصرف عقلاء الناس الى الصيد والقنص وركوب الجياد ولعب الميسر . .

فقالت .. وقد آلمها ان يوصف أشلى بالتجرد من صفات الرجولة :

— لا أعرف أحداً فى هذه الناحية يجيد ركوب الخيل مثل أشلى .. أما عن لعب الميسر .. فاعتقد انه ربح منك فى الأسبوع الماضى مائتى دولار ..

فعض جيرالد على شفته وقال :

— تباً لجيمس كالڤيرت . . انه ملأ الدنيا بنبأ هذه الخسارة . . نعم يا ابنتى . . أنا أعلم انه يجيد ركوب الخيل . . ويلعب الورق مع خير اللاعبين . . ولكنه لايفعل شيئا من ذلك باهتمام وعناية . . ولذا قلت انه غامض غريب الأطوار

فصمتت سكارليت وغاص قلبها بين جنبيها . .

لم تجد ماتدفع به عن أشلى . . فقد قال أبوها عنه ماتعتقد هى انه حق .. وفهم أبوها معنى صمتها فربت على خدها بحنان واستطرد :

— أرأيت انى لم أقل إلا حقا ؟ ؟ ماذا تصنعين بزوج مثل أشلى ؟ ؟ ؟ ان أفراد هذه الأسرة جميعا معاتيه .. يعيشون فى عالم آخر .. غير العالم الذى يعيش فيه سائر الناس .. ماذا بك يابنية .. هل تبكين ؟ !

فمسحت سكارليت دمعة غادرة أفلتت من عينها وأجابت بشجاعة :

— كلا . .

— أنت تكذبين .. ولكن هذه الكذبة لاتغضبنى .. لأنها تدل على الصلف والكبرياء . . وانى أريدك على أن تحتفظى بكبريائك غداً فى الحفلة حتى لايروح اسمك مضغة فى أفواه الناس.. وحتى لايقال إنك تقتلين نفسك حزنا على شاب لم ينظر اليك قط إلا بعين الصداقة الخالصة .

والآن . . هلمى بنا الى المنزل . . سأكتم هذا الحديث عن أمك . . وستكتمين عنها اننى وثبت من فوق الباب

« * »

وتأبط ساعدها .. وسارا معا جنبا الى جنب . . حتى دخلا المنزل . . وحينئذ صادفتهما هيلين اوهارا .. وهى متأهبة للخروج .. والمربية الزنجية تسير فى أثرها حاملة حقيبة صغيرة سوداء اعتادت هيلين اوهارا أن تضع فيها الأربطة والعقاقير الطبية لاسعاف الزنوج .

قالت هيلين اوهارا لزوجها :

— يوجد مريض فى بيت (سلاتارى) . . ويجب أن أذهب فى الحال .

فصاح جيرالد :

— ياإلهى . . ألا تعودين المرضى إلا فى هذه الساعة حين يجب أن نتناول العشاء . . وحين أريد أن أسرد عليك مايقال عن الحرب فى (اتلانتا) ؟ ! اذهبى يا هيلين اوهارا .. ولا تقضى الليل كله هناك . . إذا لم تكن ثمة فائدة من بقائك .

« * »

وتناولت سكارليت طعام العشاء مع أبيها واختيها سولايج وكارين . . واحتكر جيرالد الحديث طول السهرة .. وكانت الحرب . . كما هى العادة مدار حديثه .

ولكن سكارليت لم تع كلمة واحدة من حديثه .

كانت منصرفة بكل حواسها وتفكيرها الى مايجب عليها عمله فى اليوم التالى . ولما قصدت الى غرفتها . . وجلست أمام النافذة كانت الخطة التى تفتق عنها ذهنها قد نضجت . . واكتملت . . وبات لاينقصها إلا التنفيذ

كانت خطتها غاية فى البساطة . . فهى قد وضعت هدفها نصب عينيها . . ووجدت أن أفضل الطرق للوصول الى غايتها هو أقصر الطرق .

اعتزمت أولا أن تكون شديدة الحرص على كرامتها وكبريائها . كما أوصاها جيرالد أن تفعل . وأن تصطنع النشاط والمرح ما استطاعت وأن تكون طروبا لعوبا . . بحيث توقع الفتنة فى قلوب طلاب الزواج . . من فرانك كنيدى العجوز الذى يهيم باختها سولانج . . الى شارل هاملتون الخجول . . شقيق ميلانى .

نعم . . ستجعل هؤلاء العزاب جميعا يدورون بها ويتساقطون عليها . . كما يتساقط النمل على خلية العسل . . وحينئذ لا بد أن ينضم أشلى الى زمرة المعجبين بها . . فتتهز احدى الفرص لتخلو به بعيدا عن المدعوين . . واذا تعذر على أشلى أن يخطو الخطوة الأولى فى هذا السبيل فليس ابسط من ان تقابله فى منتصف الطريق . .

سيرى أشلى جيش المعجبين بها . . وستأكل الغيرة قلبه . . وسينظر اليها فى عتب ويأس . . ولكن سوف تكون سعادته اعظم من يأسه . . متى جعلته يكتشف . . انها لا تحب سواه .

* * *

ولم تتمالك سكارليت من الابتسام . . حين تصورت الانقلاب الذى سوف يطرأ على سحنته متى علم انها تحبه . . وخفق قلبها بشدة . . عندما تخيلته جاثيا تحت قدميها . . وصوته الرقيق يضرع اليها ان تقترن به . .

تخيلت الموقف . . كما لو كان واقعا تحت حسها وبصرها .

ستقول له بطبيعة الحال انها لا تستطيع الاقتران برجل اعلنت خطوبته فيلحف فى الرجاء والاستعطاف . . وتتظاهر أخيرا بالاقتناع . . ويقرران الهرب فورا الى (اتلانتا) . . وهناك . .

يا الهى . . ايمكن هذا ؟ ! ايمكن ان تصير زوجته فى مثل هذه الساعة من مساء اليوم التالى ؟ !

وفجأة . . مرت بجسدها رعدة قوية . .

هب ان هذه الخطة لم تنجح . . وان أشلى لم يطلب اليها الفرار معه ؟ !

ولكنها هزت رأسها بحزم وقالت :

— ليس ثمة ما يدعو إلى فشل هذه الخطة . . اذا كان يحبنى . . وانى واثقة من انه يحبنى .

وحولت وجهها الشاحب نحو الحقول .. وتألقت عيناها تحت أشعة القمر

لم تعلمها أمها .. ان الآمال شىء.. وتحقيقها شىء آخر .. ولم تعلمها الحياة أن السبق لايكون دائما للأسرع .. فوضعت خطتها بثقة فتاة فى السادسة عشرة من عمرها .. تعتقد ان الثوب الأنيق والوجه الفاتن يكفلان الظفر بالقدر .

الفصل الثالث

نظرت سكارليت الى نفسها فى المرآة .. وانثنت قليلا . . لترى منظرها الجانبى .

لم تجد فى جسدها وقوامها ماتخجل منه . فهى متوسطة القامة . معتدلة الكتفين .. بارزة الصدر .. لها خصر نحيل تحسدها عليه جميع الفتيات فى المقاطعات الثلاث المجاورة . . وقد اخذت عن أمها رقة أناملها . ودقة قدميها .. وجمال ساقيها .. فيحسبها الآن أن تتخير ثوبا يبرز فتنة جسدها لكى تضمن النصر فى المعركة المقبلة

ولحسن الحظ أن أمها قررت التخلف عن الحفلة .. وهكذا سينفسح لها السبيل لاستخدام كل سلاح للاغراء وضعته الطبيعة بين يديها . . دون أن تحسب حسابا لنظرات أمها الثاقبة النافذة . . أو لزمجرة مربيتها الزنجية العجوز . .

« * »

وحملت اليها المربية طعام الافطار .. وأشفقت سكارليت أن يتلف الطعام

تحول خصرها ويذهب برشاقتها . فقالت :

— كلا .. لن أتناول طعاما الآن .. ساعديني على ارتداء ثوبي .

فقطبت الزنجية حاجبيها . وقالت :

— إن الفتيات اللاتي لايأكلن كثيراً يصبن بالهزال ولا يجدن أزواجا

— الحق انني سئمت كل هذا النفاق من أجل الحصول على زوج . .

إذا امتنعت عن الطعام في إحدى الحفلات . . قال الرجال انني عليلة . . وإذا أقبلت عليه قالوا انني شرهة . . وإذا دعيت الى الرقص تعين على أن أجيب الدعوة مرة . . واعتذر بالتعب مراراً . . بينما أكون على استعداد للرقص طول الليل .. وإذا حدثني أحد الحمق من الرجال حديثا أعرفه .. تعين على بدافع اللياقة أن أتظاهر بالجهل ارضاء لصلف الرجل وكبريائه . . . وغروره بسعة علمه ..

انني ضقت ذرعا بهذا النفاق . . وسوف يأتي يوم اضرب فيه باللياقة عرض الافق . . فاقول ما أشاء . . وأفعل ما أريد . . احب الناس أو كرهوا . . عاونيني على ارتداء هذا الثوب الأبيض . .

فرفعت الزنجية الثوب بين يديها . . وتأملته قليلا . . ثم هتفت بلهجة الاستنكار :

— ارتدين هذا الثوب الفاضح ؟! انه يكشف عن عنقك .. وصدرك.. وساعديك . . ويكاد يشبه الثياب التي يذهب الناس بها إلى الشواطىء . . كلا . . كلا . . سأستطلع رأي والدتك قبل أن أسمح لك بارتداء هذا الثوب .

فقالت سكارليت ببرود : اذا قلت لها كلمة واحدة . . فأني لا أذهب الى الحفلة .. ولا أتناول طعاما . .

فتنهدت الزنجية . . ولزمت الصمت . .

« * »

وأخيرا تحركت المركبة في الطريق الى مزرعة جون ويلكس . . حاملة جيرالد اوهارا . وبناته الثلاث . سكارليت وسولانج . وكارين .

وكان وجه جيرالد يتهلل بشراً لمجرد التفكير في انه سيقضي النهار بين

رجال يشاطرونه حماسته . ويفهمون حديثه عن الحرب . وسيقضى السهرة بين كؤوس الشراب وموائد الميسر .

وتأمل الرجل بناته الثلاث وهن فى ثيابهن الحريرية الملونة الفضفاضة اشبه بزهور تفتحت أكمامها . ولم يتمالك من الشعور بالزهو والخيلاء . . لأنه انجب اولئك الفاتنات الصغيرات ..

ونسى الحديث الذى دار بينه وبين سكارليت فى الليلة السابقة . . وأصبح لايذكر الا انها فاتنة ورشيقة . . وان عينيها اليوم . . أشد خضرة من سهول ايرلندا .

أما سكارليت .. فانها نظرت اليه من ركن عينيها وشعرت نحوه بالحنان والاشفاق . . كما تشعر الأم نحو ولدها المدله المتلاف

كانت تعلم أنه سيسرف فى الشراب فى تلك الليلة حتى يفقد صوابه . . وسيحاول فى عودته ان يثب فوق كل حاجز . . وكل سور فى الطريق بين مزرعة (أوكس) .. و (تارا) .. وسيحتقر الجسور والكبارى ورغم جواده على اجتياز الانهار والقنوات سابحا .. وسيتلف ثوبه الجديد الأنيق ومتى استيقظ فى الصباح .. أرغى وأزبد .. وسرد على هيلين قصة طويلة .. عن سقوط جواده فى النهر فى الظلام الدامس .. وهى قصة لاتخدع أحدا .. ولكن الجميع يتظاهرون بتصديقها .. فيشعر بالسرور والارتياح والخيلاء.. لأنه استطاع بدهائه ان يخدع الجميع .

قالت لنفسها وقلبها يزخر بالعطف عليه :

— انه رجل ساذج طيب القلب . . لايسع الانسان إلا أن يحبه . .

كانت تشعر بأنها فاتنة . . وبأن أشلى سيكون لها قبل ان تغيب شمس ذلك النهار . . وأفعم هذا الشعور قلبها سعادة وغبطة . . وشمل كل شىء وكل انسان حولها . . حتى خيل اليها أن الطبيعة والكائنات تحتفل جميعا بسعادتها . .

قالت لنفسها وهى تملأ رئتيها بالنسيم :

— لن أنسى ماحييت جمال هذا اليوم . . ومن يدرى . . فقد يكون يوم زفافى . .

ورقص قلبها طربا .. حين تخيلت أشلي وقد اردفها على ظهر جواده في المساء . وانطلق بها في ضوء القمر وسط هذه الحقول المزدهرة .. في الطريق الى (جونزبورو) أو (اتلانتا) . حيث يعقدان قرانهما

سيقع النبأ على هيلين اوهارا وقع الصاعقة متى علمت أن ابنتها قدهربت مع خطيب فتاة اخرى . . ولكنها سوف تصفح وتغفر متى وجدتها سعيدة هانئة .

وسيرعى جيرالد ويزيد . . ولكنه سيغتبط آخر الأمر . بمصاهرة آل ويلكس . .

قالت لنفسها :

— على كل حال هذه أمور يمكن تسويتها بعد الزواج

ورفعت عن جبينها خصلة من الشعر عبث بها النسيم . . وقالت لنفسها وهي تجيل حولها عينين تتألقان بنور السعادة :

— قد يمر بي خمسون ربيعا ولكني لن أنسى ماحييت هذا الربيع . . ولسوف أقول لأولادي . . واحفادي أنه أجمل من كل ربيع سيشهدونه ..

« * »

وعبرت المركبة الجسر . . وأشرفت على مزرعة (اوكس) .. ورأت سكارليت سحب الدخان تسبح فوق قمم الاشجار . . وحمل اليها النسيم رائحة الشواء

كان جون ويلكس يقيم حفلاته في الحديقة المترامية الأطراف التي تحيط ببيته الفخم . . لكي يكسب هذه الحفلات طابع الولائم الخلوية . . ويسمح لمدعويه بأكبر قسط من الحرية

فلما اقتربت المركبة من البيت . . كانت الحديقة تزخر بالرجال والنساء والاطفال والزنوج

وقد انتشر المدعوون تحت الأشجار وراحوا يتحادثون ويتضاحكون .

وذهب الزنوج يذرعون الحديقة حاملين المرطبات وكؤوس الشراب

وخيل إلى سكارليت ، أن جميع أهل (جورجيا) قد دعوا إلى هذه الحفلة ، فهاهو مستر تارلتون الشيخ واقف بين ولديه بويد وتوماس ،

وبالقرب منهم ولداه التوأمان اللذان لايفترقان ستيوارت وبرنيت ، وذلك هو مستر كالفيرت ، وولداه ، جيمس وريفورد ، وابنته الشقراء كاترين ، وهذا هو الدكتور فونتان ، ومستر مونرو .. و .. و .. وعشرات من الاسر جاءت من (فايتفيل) و(جونزبورو) و (اتلانتا) و(ماكون)

وكان جون ويلكس وابنته (هانيا) يستقبلان المدعوين بباب الحديقة فلما أبصرا بالمركبة ، تقدم مستر ويلكس ، وهو متهلل الوجه ، وشد على يد جيرالد بحرارة ، وبسط ساعده لسكارليت

ووثبت سكارليت من المركبة ، وحانت منها التفاتة إلى أختها سولانج ورأت على وجهها ابتسامة عريضة

وفهمت سر هذه الابتسامة ، حين رأت فرانك كنيدى ، يهرول نحو المركبة لتحية سولانج

قلبت شفتها احتقاراً ، وودت لو أن فى استطاعتها أن تصفع سولانج

كان فرانك كنيدى غنيا ، وطيب القلب ، ولكن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئا . . وهى انه فى الاربعين من عمره وشديد الارتباك كامرأة عانس . .

« * »

وفجأة ، تذكرت سكارليت خطتها ، فسيطرت على شعورها ، وحيت فرانك كنيدى بابتسامة . سمرت الرجل فى مكانه قبل أن يصل إلى اختها .

وما كادت تسير فى الحديقة بضع خطوات ، حتى خف التوأمان لتحيتها بحماسة ، واقبلت عليها بنات مستر مونرو ليبدين اعجابهن بثوبها الانيق . ثم اسرع آخرون لاستقبالها . والتحدث اليها ، ولم تلبث ان وجدت نفسها وسط حلقة كبيرة من الاصدقاء والمعجبين ، وجميعهم يتحدثون اليها باصوات اخذت ترتفع شيئا فشيئا ، كأنما يحرص كل منهم ، على ان يحتكر انتباهها .

ولكن اين أشلى ؟ !

اين أشلى . . واين ميلانى ؟ !

وانها تختلس النظرات حولها فى البحث عنهما .. اذ التقت عيناها بعينى رجل لا تعرفه .. كان مستندا الى جذع شجرة .. وهو يرمقها بنظرة

جائعة وقحة .. اشعرتها بمزيج من الخجل والخيلاء .. الخجل لأن ثوبها لا يكاد يستر صدرها وظهرها .. والخيلاء .. لأنها أثارت اعجاب رجل لا تعرفه ..

كان هذا الرجل يناهز الخامسة والثلاثين من عمره .. طويل القامة . متين البناء .. ولم تذكر سكارليت .. انها رأت من قبل رجلا له مثل كتفيه العريضتين .. وساعديه المفتولين

وابتسم الرجل عند ما التقت عيناه بعينيها .. فانفرجت شفتاه عن اسنان بيضاء كأسنان الحيوان .. وانبسطت اسارير وجهه الأسمر .. وتألقت عيناه السوداوان الجريئتان كما تتألق عينا القرصان اذا رأى سفينة تستحق ان تغنم .. أو امرأة تستحق ان تسبى

وكانت ابتسامة تنم عن البرود والقحة والسخرية .. وأحست سكارليت بأن هذه الابتسامة جديرة بأن تكون إهانة لها . . . ولكنها مع ذلك لم تشعر بأنها أهينت . .

« * »

أشاحت بوجهها دون ان تبتسم له . . وقالت تحدث التوأمين :

— يجب ان أرتب شعرى . . فانتظرانى حتى أعود . . .

ثم استطردت بلهجة اللعابة :

— وحذار ان تلوذا بفتاة أخرى . . وإلا كان انتقامى شديدا . .

واسرعت الى البيت وهى توزع نظراتها الفاتنة وبسماتها الساحرة يمينا وشمالا . . وما ان وضعت قدمها على درج السلم . . حتى سمعت صوتا خافتا خجولا ينادبها . . فنظرت خلفها .. ورأت شارل هاملتون شقيق ميلانى كان شارل شابا حسن الطلعة . . تتلاعب على جبينه الناصع خصلة متمردة من شعره الأشقر الجميل .. وتتألق فى وجهه عينان سوداوان أجمل من عينى الكلب النظيف .

وقد كان — ككل شاب خجول — يعجب بالفتيات الجريئات الممتلئات بالحيوية أمثال سكارليت . .

فلما تحولت اليه ، احمر وجهه خجلا ، وتضاعف خجله ، واحتبست

أنفاسه عند ما رآها مقبلة عليه ، ويداها مبسوطتان لتحيته

هتفت :

— أهذا أنت أيها الغلام الجميل ؟! يخيل الى انك قطعت المسافة من (اتلانتا) الى هنا ، خصيصاً لكى تحطم قلبى المسكين

فجمد الشاب فى مكانه ، ولم يجد ما يفعله او يقوله ، أكثر من ان يتناول يديها بين يديه ، ويحملق فى عينيها الخضراوين المتألقتين

هكذا كانت الفتيات يتحدثن الى غيره من الفتيان . أما هو فكان محروما من مثل هذا الحديث

كانت الفتيات يعطفن عليه ، ويعاملنه برفق كأخيهن الأصغر ، ولكن لم تحاول احداهن قط ان تداعبه ، أو تشجعه على مغازلتها ، وأولئك اللائى حاولن ذلك ، ولا حظن خجله وعيه وتلعثمه ، انصرفن عنه يائسات قانطات

ولم يجرؤ شارل على تحطيم قيود خجله وحيائه حتى فى صلاته بهانيا ويلكس .. التى كان هناك شبه تفاهم بين الاسرتين على زويجه منها .

على ان هانيا لم تكن تثير فى نفسه شعورا غير عادى وقد كان كل رجائه ان تحبه فتاة حسناء جريئة .. من الطراز الذى قرأ عنه فى القصص الغرامية فتاة من طراز سكارليت أوهارا

وهاهى سكارليت تداعبه .. وتتهمه بتحطيم قلبها !!

حاول ان يقول شيئا فلم يسعفه ذهنه .. ولم يسعه الا ان يباركها فى سره .. لأنها استمرت فى حديثها دون ان تدع له فرصة للكلام .

قالت له :

— انتظرنى هنا حتى أعود . . لأننى أريد أن أجالسك على مائدة الطعام .. وحذار ان تتورط فى مغازلة الفتيات .. لأننى شديدة الغيرة .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساحرة .. وانسدلت اهدابها الطويلة الفاتنة على عينيها الخضراوين .. فخيل اليه انه فى حلم لا فى يقظة .. ولم يدر بخلده .. ان منظره فى تلك اللحظة .. كان يذكر سكارليت بخروف ينتظر الجزار

ومست سكارليت ساعده بمروحتها فى دلال . . وتحولت لتصعد درج السلم . وحينئذ التقت عيناها مرة أخرى بعينى ذلك الرجل الغريب الأسمر .. الذى كان يرقبها فى الحديقة .

لم يكن ثمة شك فى أنه سمع الحديث الذى دار بينها وبين شارل . . لأنه ابتسم بخبث . . وحدجها بنظرة خالية من الاحترام الذى الفته

. . .

ولما دخلت إحدى الغرف المخصصة للزائرات فى الطابق الاول .. وجدت كاترين كالثيرت تصلح زينتها أمام المرآة .. وتعض شفتيها لتزيدهما احمراراً . فسألتها سكارليت وهى ترتب شعرها :

— هل تعرفين هذا الرجل يا كاترين ؟

وأومأت بأصبعها من النافذة إلى حيث كان الرجل الاسمر ذو النظرات البهيمية الجريئة .. فهتفت كاترين :

— ألا تعرفينه !! إنه رايت بتلر ؟!

فرفعت سكارليت حاجبيها ولم تجب .

خيل اليها أنها سمعت بهذا الاسم مقترنا باحدى الفضائح . . ولكنها لم تذكر شيئا على وجه التحقيق ..

قالت كاترين :

— اننى اعجب ماذا كان شعور مستر ويلكس حين رآه فى بيته . . والظاهر أن الرجل جاء من (جونزبورو) ليبتاع قطنا من فرانك كنيدى . ولم يجد كنيدى من اللياقة أن يترك ضيفه وحيداً .. فاصطحبه معه إلى هذه الحفلة .. رغم انه يعلم أن جميع الناس يبرمون به .. وينفرون منه .. وأن أحداً لايستقبله فى بيته ..

حركت هذه الكلمات فضول سكارليت . وسألت باهتمام :

— ولماذا ؟ ؟

— ان سمعته لاتشرف .. وقد برأ منه أهله وقاطعوه ... بسبب تلك

الفتاة التى أبى أن يقترن بها .

— اوضحى ... اننى لا أعرف هذه القصة .

— يقال انه اصطحب إحدى فتيات (شارلستون) إلى نزهة فى الخلاء ولم يعد بها إلا فى صباح اليوم التالى .. ولما سئل ... زعم انه ضل بها الطريق وسط الغابة . ولك أن تتصورى ماذا ...

فقاطعتها سكارليت بحدة :

— اننى لا أتصور شيئا ... أنبئينى بما حدث .

— انه رفض الاقتران بها ... قائلا انه لم يمسها . وانه لا يرى ... لماذا يجب أن يقترن بها . فدعاه اخوها لمبارزته ... وكان جواب رايت بتلر أنه يفضل القتل على الاقتران بفتاة حمقاء ... وقد تمت المبارزة فى ذات اليوم .. فقتل شقيق الفتاة ... واضطر بتلر إلى مغادرة المدينة . ومنذ ذلك الوقت وهو منبوذ مكروه ... وجميع الأسر تتجنبه ... وترفض استقباله .

فسألتها سكارليت فى همس :

— وهل حملت منه الفتاة ؟

فهزت كاترين رأسها وأجابت :

— لا أعلم ... ولكنها أضاعت سمعتها على كل حال .

وهنا فكرت سكارليت فجأة : حبذا لو وقع لى مع أشلى ما وقع لتلك الفتاة مع بتلر ... ان أشلى من الشهامة والنبل بحيث لا يأبى فى مثل هذه الحالة ان يقترن بى .

على انها لم يسعها ... فيما بينها وبين نفسها .. الا ان تحترم بتلر .. لأنه رفض الاقتران بفتاة حمقاء .

. . .

وحان موعد الغداء . . ووزعت الموائد الصغيرة فى جوانب الحديقة . . وجلست سكارليت أمام إحدى الموائد .. يحيط بها سبعة من المعجبين بها .

ومع ذلك وعلى الرغم من انه لم يجتمع لفتاة أخرى مثل هذا العدد من المعجبين . . فانها كانت تشعر فى قرارة نفسها بالشقاء والتعاسة . .

لقد فتنت كل شاب فى الحفلة عدا أشلى . .

وعاودتها مخاوف الأمس . . فراح قلبها يهرول .. ويبطىء . ووجهها يحتقن ويتقع .. كلما حدث ماينعش آمالها . . أو يعصف بها . .

ولم يحاول أشلى قط ان ينضم الى حلقة المعجبين بها . . بل ولم يبادلها كلمة واحدة . وعندما قابلها مصادفة . . وشد على يدها محييا . . كانت ميلانى تستند الى ساعده . .

وميلانى فتاة صغيرة الحجم . . نحيفة الجسم . . يخيل للناظر اليها انها طفلة تخطر فى ثوب أمها . . وتكاد من فرط حيائها وخجلها . . أن تفر من كل انسان .. ..

ولكنها كانت — كما تبدو من مظهرها — بسيطة كالأرض . . . . طيبة كالخبز . . صافية النفس كماء الينبوع . .

وقد ابتسمت فى خجل حين صافحت سكارليت . وعبرت لها عن إعجابها بثوبها الابيض الانيق .. وبلغ من حنق سكارليت وموجدتها ، ورغبتها الملحة فى الانفراد باشلى .. ان احتبست أنفاسها .. ولم تسعفها قريحتها بكلمة مناسبة .. ترد بها على هذه المجاملة .

وقصد اشلى بميلانى بعد ذلك إلى مقعد تحت إحدى الاشجار . بعيداً عن سائر المدعوين . وراح يتحدث اليها فى هدوء ويبتسم لها تلك الابتسامة الحلوة التى طالما أحبتها سكارليت . . وميلانى تصغى اليه بانتباه . . وعيناها تتألقان بين الفينة والفينة ببريق لم يسع سكارليت إلا أن تعترف والغيرة تأكل قلبها .. بانه يخلع على وجهها الشاحب فتنة وسحرا

كان وجه ميلانى يضىء كلما تطلعت إلى اشلى .. والواقع . . انه لو كان هناك قلب محب تنعكس إحساساته على وجه صاحبه . . فهو قلب هذه الفتاة الصغيرة الرقيقة .

وعبثا حاولت سكارليت ان تشيح بوجهها . . وتتجنب النظر اليهما . . وكانت بعد كل نظرة تصطنع المزيد من المرح . . وتسرف فى مداعبة جلسائها .. وتضحك بصوت يتجاوب صداه فى جوانب الحديقة

ولكن لم يبد على أشلى أنه يلقى اليها بالا . . اويشعر بوجودها .
كان منصرفا إلى ميلانى . . يتحدث اليها . . ويبادلها النظرات والبسمات . . وكأنما لايوجد فى الحديقة أحد سواهما . .

* * *

وقد فاز شارل باكبر نصيب من رياء سكارليت واهتمامها المصطنع . . فثبت إلى جانبها . . وأبى ان يتزحزح من مكانه رغم الجهود التى بذلها التوأمان ستيوارت وبرنيت . . ورفض باصرار ان ينظر نحو (هانيا) . . التى بدا عليها كأنها توشك أن تنفجر باكية . .
اما فرانك كنيدى . فانه كان اسبق الجميع الى تلبية مطالب سكارليت كما لولم يكن هناك زنوج لخدمة المدعوين . . فتميزت سولانج غيظا وغضبا . . ونظرت إلى أختها شزرا . وودت لوان فى استطاعتها ان تنشب اظفارها فى وجهها . .
واتفق بينما كانت سكارليت تختلس النظرات إلى أشلى وميلانى ان التقت عيناها فجأة بعينى رايت بتلر . . فهز هذا رأسه وضحك . . وخالج سكارليت شعور مبهم ان هذا الرجل المقيت هو الوحيد الذى يعرف سر بهجتها الزائفة . . وانه يجد فى ذلك شيئا كثيرا من التسلية .

* * *

وأخيرا . . رفعت الموائد . . وانتشر المدعوون فى الحديقة وعادوا إلى أحاديثهم وهرجهم مرة أخرى . . ثم ما لبثت أصواتهم ان خفتت تدريجيا وأصابهم الخمول بتأثير حرارة الشمس والطعام . . وثقلت جفون السيدات . وانتظرن بفارغ الصبر ان يدعين للراحة داخل البيت استعداداً لحفلة المساء . .
وفجأة . . ارتفع صوت جيرالد اوهارا وهو يقول بحماسة محدثا جون ويلكس :
— ماذا تقول يارجل ؟ ؟ أتضرع الى الله أن ينتهى بسلام مابيننا وبين ولايات الشمال ! ! أتأمل فى السلام بعد أن أصليناهم ناراً حامية فى قلعة

(سومتر) ؟ كلا . . كلا . . يجب أن يثبت الجنوب بحد السيف انه لايقبل الاهانة . . وانه لاينفصل عن الاتحاد الامريكى كرما من الاتحاد وإحسانا . ولكنه ينفصل بقوة سلاحه . وبسالة رجاله .

وفعلت هذه الكلمات فى نفوس الرجال فعل النار فى الهشيم . . فذهب عنهم الخمول وهبوا من أماكنهم . . وتأهب كل منهم للمساهمة برأيه فى حديث الحرب .

وكانوا فى الصباح قد اجتنبوا أحاديث السياسة والحرب نزولا على ارادة صاحب البيت حتى لايدخل السأم على نفوس السيدات . ولكنهم ما كادوا الآن يسمعون كلمات جيرالد اوهارا . . حتى ضربوا بارادة صاحب البيت عرض الافق .

قال قائل :

— انهم يريدون الحرب وسنذيقهم أهوالها .

وهتف آخرون :

— يجب أن نقاتلهم .

— سنجتاح ولايات الشمال قبل انقضاء شهر واحد .

— ان الرجل من أهل الجنوب . كفء لعشرين من أهل الشمال .

— هل رأيتم . . كيف احتقر ابراهام لنكولن مندوبينا وسخر منهم ؟

لا تهمل

مرضك التناسلى بل بادر بالذهاب الى .

الدكتور حسنى احمد

٦٧ شارع ابراهيم باشا ت ٥٠٤١٤

العلاج مضمون بالتحليل الطبى

ولم يتحمس شارل هاملتون مع المتحمسين . . ولم يبرح مكانه . وانتهز فرصة انفراده بسكارليت . وقال بجرأة لاعهد له بها :

— لقد قررت إذا نشبت الحرب أن أنخرط فى سلك الجندية . وأنضم الى فرقة الفرسان التى ألفها جيمس هامبتون فى ولاية كارولينا الجنوبية .

فصعدته سكارليت بعينيها وقالت لنفسها :

— ماذا يريد منى هذا الأحمق . . هل يريدنى على أن أهتف له ثلاثا ؟

ولم تجد ما تقوله أو تفعله . . أكثر من أن تنظر اليه . ! وتعجب لحماقة الرجال الذين يتوهمون أن النساء يقمن وزنا لمثل هذه الشؤون .

وظن الفتى أن نظرتها تنم عن الدهشة والاعجاب . فاستطرد بسرعة . وجرأة :

— اذا ذهبت الى ميدان القتال . . فهل تأسفين لفراقى ؟

فاجابت :

— سوف آسف كل ليلة .

وغابت سخريتها على فطنته . فاحمر وجهه سرورا وغبطة . وتناول يدها بين يديه وقال وقد أذهلته جرأته ولطفها :

— وهل تبتهلين الى الله من أجلى

فقالت لنفسها :

— ياإلهى . . ما أشد حماقته !

ثم أجابت :

— طبعاً . . طبعاً . . سوف أبتهل من أجلك ليل نهار

فتريث قليلا ليلتقط أنفاسه . . ويسيطر على حواسه . . ثم أجال حوله نظرة سريعة كانا وحدهما . . ومن المؤكد أنه لن تسنح له فرصة أخرى كهذه .

قال بسرعة . . قبل أن تخونه شجاعته :

— أريد أن أقول لك شيئا ياسكارليت . . انى . . انى أحبك .

ولكنها لم تسمعه . . إما لأن صوته ذهب خافتا مختلجا . . . أو لأنها كانت فى شغل عنه بالبحث عن خوة بين جموع الرجال ترسل منها البصر الى حيث كان أشلى وميلانى . .

قال فى همس . . وهو تمثل بنشوة الفرح . . لأنها لم تضحك ساخرة . . ولم تصرخ . . وتصب بالاغماء . كما خيل اليه أن الفتيات يفعلن فى مثل هذه الظروف :

— نعم .. أنا أحبك .. وأنت .. وأنت . . .

وأسعفه لسانه لاول مرة فى حياته .

— وأنت أجمل وأرق .. وأعذب فتاة عرفتها .. لا أمل لى فى أن تحبى رجلا مثلى .. ولكن إذا قلت لى كلمة تشجيع فانى أفعل كل ما يجبنى اليك .. سوف ..

وكف عن الكلام .. لأنه لم يعرف ماذا يستطيع أن يفعل لكى تحبه .. أو لكى يبرهن لها على قوة عاطفته .. فقنع بان قال فى بساطة :

— فهل تقبلينى زوجا لك ؟!

وانتبهت سكارليت فجأة .. وأفاقت من ذهولها عندما سمعت كلمة (زوجا)

كانت فى تلك اللحظة تفكر فى زواجها من اشلى .. فنظرت الى شارل وهو تستطع اخفاء احتقارها .. ونفورها

لماذا اختار الاحمق هذا اليوم بالذات ليطارحها الغرام .. وهى توشك ان تفقد عقلها هما .. ويأسا ؟

ونظرت فى عينيه السوداوين الضارعتين .. ولم تر فيهما السعادة التى تجرف قلبه .. واللهب الذى يسرى فى دمه .. وفقط رأت أمامها فتى فى العشرين من عمره .. قد احمر وجهه خجلا حتى بات كقطعة من البنجر .. وهذا الفتى الغر يصب فى أذنيها عبارات الغرام فى وقت شغل فيه عقلها وحواسها بأمور أهم

ودت لو فى استطاعتها أن تقول له كم هو أحمق .. ولكنها تذكرت فى الوقت المناسب الكلمات التى علمتها هيلين أوهارا ان تلجأ اليها فى مثل هذه الازمة .. فنكست رأسها فى حياء مصطنع .. وغمغمت :

— ان طلبك يدى يشرفنى يامستر هاملتون .. ولكنك فاجأتنى به .. فلا أعلم ماذا يجب أن أقول .

وهو جواب يدل على البراعة واللباقة .. لانه يرضى خيلاء الرجل . ويبقيه فى ذات الوقت معلقا بخيط الأمل .

هتف الشاب بحماسة :

— سأنتظر اذن حتى تفكرى فى الأمر .. وتسألى قلبك . وتسبرى غور مشاعرك .. وفقط أضرع اليك ان تقولى لى .. هل أستطيع أن أرجو ؟!

وفى هذه اللحظة .. نفذت نظراتها الحادة الى حيث كان اشلى . فرأته يتطلع الى ميلانى ويبتسم لها .

ياالهى .. ! ألا يكف هذا الأحمق عن الكلام .. لعلها تسمع مايقول اشلى لصاحبته؟

هتفت به فى شىء من الغلظة والخشونة :

— صه .

فذهل الشاب وخجل .. ثم لاحظ أن عينيها لا تتحولان عن أخته ميلانى ..

فابتسم ..

وارتفع عندئذ صوت جيمس تارلتون وهو يقول :

— وأنت يا أشلى .. مارأيك ؟

فنظر أشلى الى ميلانى معتذراً .. ثم نهض واقفا .. وخيل لسكارليت وهو يدنو من حلقة الرجال . . وأشعة الشمس تنعكس على شعره الأشقر ان ليس بين القوم من يضارعه أناقة ورجولة .

وصمت الرجال حتى الشيوخ منهم .. انتظارا لرأيه

قال :

— اذا اشتبكت ولايات الجنوب فى حرب . . فلا شك انى أحارب معها . . ولكنى — كأبى — أرجو أن يتركنا أهل الشمال فى سلام ، فلا نضطر الى امتشاق الحسام .

فارتفعت أصوات الاحتجاج والاستنكار من كل ناحية . . وابتسم أشلى فى رفق واستطرد :

— نعم .. نعم .. أعلم أن أهل الشمال أهانونا .. ومحلوا بنا .. وكذبوا علينا . ولكن لو كنا فى مركزهم . . وحاولوا هم أن ينسلخوا عن الاتحاد الامريكى . . لفعلنا بهم غير ما فعلوا بنا .

فمن الخير لنا أن نقلع عن هذه الحماسة الجوفاء . وأن نتجنب الحرب ما استطعنا الى ذلك سبيلا .. ان الحرب هى علة شقاء العالم وبؤسه وآلامه . . وعندما تضع الحرب أوزارها يتساءل الناس فى الغالب لماذا نشبت .. ولماذا اندلعت نيرانها ؟

* * *

ومن حسن الحظ ان أشلى كان معروفا بالشجاعة . . ولولا ذلك ماقنع الشباب المتحمسون بتقطيب حواجبهم . وجمع قبضات ايديهم .

صاح ستيوارت تارلتون وعيناه تتألقان :

— ماذا تقول يارجل .. ان فى مقدورنا أن نبيدهم فى أقل من شهر . . بل وفى معركة واحدة .

وهنا سمع القوم صوتا هادئا يقول :

— هل تسمحون لى بكلمة أيها السادة . .

فتحولوا الى المتكلم .. ورأوا رايت بتلر مستنداً الى جذع شجرة . . ويده فى جيب سرواله .. وعلى وجهه وفى عينيه دلائل الاحتقار وقلة الاكتراث .

قال :

— هل فكرتم أيها السادة فى أنه لايوجد بولايات الجنوب مصنع واحد للاسلحة؟ وهل سألتم كم يوجد فى ولايات الجنوب من مصانع الفولاذ . ومغازل القطن . ومدابغ الجلود ؟ وهل فكرتم فى أننا لانملك سفينة حربية واحدة . . وأن ولايات الشمال تستطيع أن تحصر موانينا فى خلال أسبوع وتمنعنا من بيع قطننا فى الخارج ؟ أنا واثق أيها السادة انكم فكرتم فى كل هذا .

ولاحظت سكارليت ماتنطوى عليه هذه الكلمات من الهزء والسخرية .. ولاحظ ذلك بعض الحاضرين فصعد الدم إلى وجوههم .. وكشروا عن أنيابهم .

وانتقل جون ويلكس من مكانه بخفة ولباقة .. ووقف إلى جانب رايت بتلر . . كأنما ليذكر القوم بأنه ضيفه .. ويجب أن لايصيبه أذى فى بيته .

واستطرد رايت بتلر قائلا :

— ان عيبنا نحن أهل الجنوب . . اننا لانقوم برحلات كافية . . أو اننا لانفيد من رحلاتنا . . وانا واثق ايها السادة انكم قمتم باسفار كثيرة . . فماذا رأيتم فى اسفاركم ؟ ! انكم رأيتم الفنادق والمتاحف . . والملاهى . . وبيوت الميسر . . وعدتم إلى بلادكم وانتم تقسمون بانه لايوجد فى الدنيا مكان افضل من ولايات الجنوب اما انا فقد قضيت عدة اعوام فى الشمال . ورأيت اشياء كثيرة لم تروها . . رأيت آلاف المهاجرين الذين يسرهم ان يقاتلوا مع اهل الشمال لقاء دراهم معدودة . . ورأيت مصانع الاسلحة والفولاذ واحواض السفن ومناجم الحديد والفحم . . مما ليس فى بلادنا شىء منه . والواقع اننا نملك كثيراً من القطن والعبيد والتبجح .. ولا شىء غير ذلك . وانا واثق انهم سوف يضربوننا الضربة القاضية قبل انقضاء شهر واحد . .

« * »

وصمت وساد السكون لحظة . . ثم امتلأ الجو بغمغمة استنكار وغضب . وكأنه قد هز بيده فجأة خلية نحل . .

وشعرت سكارليت فى قرارة نفسها بان هذا الرجل لم يقل الا حقا . . فانها لم تر قط مصنعا من الطراز الذى تكلم عنه . ولم تسمع عن مثل هذا المصنع . .

ومع ذلك اما كان من الكياسة والادب ان يجنب القوم سماع هذه الحقيقة المؤلمة فى مثل هذا الحفل البهيج ؟ !

وشق ستيوارت تارلتون لنفسه طريقا . . ولحق به برنيت على الاثر . . وتوقع الجميع عراكا لاشك فيه وتزاحمت النساء بدافع الفضول ليشهدن كيف يكون العراك بين الرجال

قال ستيوارت بصوت أجش :

— ماذا تعنى ياسيدى . .

فأجاب رايت بتلر فى أدب .. وهو ينظر اليه بعينين ساخرتين :

— انى أعنى ماعناه نابوليون ـ هل سمعت عن رجل بهذا الاسم ؟ ! ـ انى أعنى ماعناه نابوليون حين قال : « ان الله مع الفريق الأقوى »

ثم تحول الى مضيفه . . وقال له فى أدب مصطنع :

— انك وعدتنى بأن تسمح لى بزيارة مكتبتك ياسيدى .. فهل أكون متطفلا اذا رجوتك ان تبر بوعدك الآن ؟ ! ذلك لأن أعمالى تضطرنى الى العودة الى جونزبورو بعد ظهر اليوم ..

وانحنى للقوم انحناءة ساخرة كانت أبلغ فى قحتها من صفعة على الوجه .. ثم دار على عقبيه بخفة .. وقصد مع جون ويلكس الى المكتبة .. تاركا وراءه عاصفة من السخط والغضب

وأسرعت هانيا ويلكس الى حيث كان ستيوارت تارلتون جامدا فى مكانه لايتحرك . . ولم تسمع سكارليت ماذا قالت هانيا .. ولكنها رأت النظرة التى ارتسمت فى عينيها وأحست بما يشبه وخز الضمير

لو انها لم تشجع ستيوارت على مغازلتها حين قابلته فى إحدى الحفلات منذ عام .. إذن لاقترن الشاب بهانيا منذ وقت طويل

ولكنها لم تلبث ان هزت كتفيها ..

هل الذنب ذنبها .. اذا كانت الفتيات الاخريات لايعرفن كيف يحتفظن باصدقائهن ؟ ! ..

« * »

وانفرط عقد المدعوين .. وقصدت السيدات الى البيت التماسا للراحة والنوم فى مخادعه الفسيحة ..

ومشى أشلى الى حيث كان شارل هاملتون وسكارليت اوهارا . وقال وهو يشيع بتلر بنظرة غامضة :

— ياله من شيطان وقح .. انه يذكرنى بأسرة بورجيا ..

ففكرت سكارليت بسرعة .. ولكنها لم تذكر انها سمعت عن اسرة بهذا الاسم فى ولاية (جورجيا) .

قالت :

— انى لا أعرف هذه الاسرة .. هل هو أحد أفرادها ؟ !

فبهت شارل . واعترك فى نفسه حبه لها . وخجله من جهلها . . وأجاب بسرعة :

— ان بورجيا هو اسم أسرة ايطالية اشتهرت بشرورها . .

— آه . .

وهزت كتفيها .. وتطلعت إلى اشلى وعلى شفتيها اعذب ابتسامة .

ولكن أشلى لم ير ابتسامتها . .

كان ينظر إلى شارل وعلى وجهه آية ادراك واشفاق

« • »

هبطت سكارليت السلم بخفة وسرعة ووقفت عند الطابق الأول . . وأرهفت أذنيها . .

لم تسمع غير لغط مبهم وضحكات خافتة منبعثة من الطابق الثانى حيث اضطجعت الفتيات فى التماس الراحة والنوم . . استعدادا للسهرة التى جرت العادة ان تستمر حتى الهزيع الأخير من الليل .

كانت سكارليت — قبل أن تتسلل إلى السلم — قد استوثقت من ان ميلانى وهانيا وكلوديت تارلتون قد خلعن ثيابهن . . وتحررن من قيود الزينة وتمددن فى اسرتهن فخرجت تبغى لقاء أشلى مهما كلفها ذلك . . وأرسلت بصرها من النافذة التى تطل على الحديقة . . ورأت أشلى واقفا بباب الحديقة يودع بعض الضيوف الذين رغبوا فى الانصراف . . فهبطت السلم مسرعة . . وقلبها يثب بين ضلوعها .

يجب أن تراه . . وأن تخلو به . . ولكن كيف وأين ؟ !

وحانت منها التفاتة إلى قاعة المكتبة .

نعم . . فى استطاعتها ان تقبع هناك . . وأن تنتظره حتى يفرغ من ضيوفه . . ويعود الى البيت .. فتدعوه اليها .

• • •

دخلت غرفة المكتبة .. وحاولت أن تهدىء توتر أعصابها وخفقان قلبها . . وان تذكر الخطة التى وضعت تفاصيلها بالأمس .. والكلمات التى عنيت باختيارها . لتقولها لأشلى حين تنفرد به . ولكن الذاكرة خانتها . واستولى عليها الذعر والهلع .

يا إلهى .. ألا يبطىء قلبها فى ركضه . انه يثب فى صدرها .. وينبض فى أذنيها . ويمنعها من التفكير . !

وتضاعف خفقان قلبها حين سمعت وقع أقدام أشلى وهو يصعد السلم .

كم تحبه .. وتحب كل ما يتصل به . من رأسه الأشقر إلى حذائه اللامع . ومن ضحكاته .. الى صمته .

ليته يقتحم عليها الغرفة الآن .. ويحتويها بين ساعديه .. ويوفر عليها عناء التفكير

فيما يجب أن تقوله .

. . .

ومر أشلى بباب الغرفة . ولمحها .. وقال بصوت خيل اليها أنه الموسيقى وسط الهدير الذى يملأ أذنيها :

— سكارليت ! أهذه أنت ؟

ونظر اليها بانعام .. ثم استطرد بلهجة الدعابة :

— عمن تتوارين ؟ عن شارل .. أم عن ستيوارت ؟

اذن قد لاحظ كيف ازدحم الرجال حولها .. وكيف تنافسوا عليها ؟

ولم تقو على الكلام .. ومدت يدها اليه .. واجتذبته الى داخل الغرفة .. فدخل وقد تولاه الدهش والفضول .

لم يرها لامعة العينين .. موردة الخدين .. لاهثة الانفاس . . بادية الاضطراب والانفعال كما رآها فى تلك اللحظة .

أغلق الباب وراءه بحركة آلية .. وتناول يدها بين يديه . وسأل بصوت خافت :

— ماذا ؟ !

ارتجفت عندما لمس يدها . . ومرت برأسها آلاف الخواطر .. ولكنها لم توفق الى صياغة أحدها فى كلمات . . ولم تستطع الا ان تنظر اليه بعينين ضارعتين كأنها تتوسل اليه ان يقول شيئا .

قال :

— ماذا ؟ ! هل تريدين ان تبوحى لى بسر ؟!

وهنا انحلت عقدة لسانها . . ونسيت فجأة كل ما تعلمته عن الكرامة والحياء . . وأجابت :

— نعم .. أريد أن أبوح لك بسر .. انى أحبك ..

وأعقبت هذا الاعتراف فترة سكون شامل .. خيل معها ان كلا منهما قد كف عن التنفس .

ثم زال عنها الذعر . والفزع فجأة .. وأفسحا سبيلا للسعادة والخيلاء .

لماذا لم تفعل قبلا . . مافعلته الآن .. اليست الصراحة أجدر وأيسر من أساليب اللف والدوران التى تلجأ اليها جميع النساء .

ونظرت فى عينيه .. ورأت فيهما الدهشة . . وشيئا آخر . . شيئا رأته فى عينى أبيها يوم سقط عن ظهر جواده .. وكسرت ساقه

وبعد ثوان مرت كأنها دهور . . ابتسم أشلى ابتسامة مرحة وقال :

— ألا يكفى انك غزوت اليوم جميع القلوب ؟ ؟ ؟ وبعد .. فأنت تعلمين ان قلبى لك منذ زمن طويل . .

ولـكنها كانت تتوقع جوابا غير هذا . . جوابا أفصح . . وأصرح ..

هتفت :

— لامحل الآن للدعابة يا أشلى . . أحقا ان قلبك . . أواه يا أشلى . . انى ..

ولم تتم عبارتها . . لانه وضع يده على فمها بسرعة .. وغمغم :

— لاتقولى كلاما كهذا ياسكارليت .. سوف تمقتين نفسك لأنك قلت هذا الـكلام .. وسوف تمقتينى لأنى سمعته .

ولـكنها حركت رأسها بعنف وقالت :

— لن يكون فى مقدورى أن أمقتك .. انى أحبك .. واعلم انك تحبنى .. لأن ..

ورأت على وجهه مسحة بؤس وشقاء . لم ترها على وجه انسان قبلا . فصمتت لحظة .. ثم استطردت :

— قل انك تحبنى يا أشلى .. ألست تحبنى ؟ ؟

فقال فى أدب :

— نعم .. انى أحبك .

ولو قال إنه يمقتها ويحتقرها .. لما حزت كلماته فى قلبها كما حزت هذه العبارة الفاترة تعلقت بساعده لتمنع نفسها من السقوط .. ولم تنطق بكلمة أخرى .

قال أشلى :

— سـكارليت . . ألا نستطيع أن ننصرف من هنا . . وننسى إلى الأبد هذا الحديث ؟

فهمست :

— كلا .. لا أستطيع .. ماذا تعنى ؟ ألا تريد أن .. أن تقترن بى ؟

فأجاب :

— انى سأقترن بميلانى .

. . .

ووجدت نفسها — عند ما ملـكت حواسها — جالسة فى مقعد كبير .. وأشلى ممسك بيديها .. وهو يقول لها كلاما .

وشعرت بان فى ذاكرتها فراغا .. وان ذهنها قد خلا من الافكار والتأملات التى كانت تزدحم فيه منذ لحظة .. ولم تترك كلمات أشلى فى نفسها ووعيها من الأثر إلا مانترك قطرات الماء على لوح من الزجاج .

كان يتحدث اليها فى رفق ودعة واشفاق . كما يتحدث الأب الى ولده ليرفه من ألمه ولم تلق كلماته أذنا صاغية . أو نفسا واعية

قال :

— سيعلن أبى خطوبتنا الليلة . وسنتزوج قريبا . وكان يحسن بى أن أقول لك ذلك . ولكنى حسبتك تعلمين . بل كنت أحسب أن كل انسان يعلم . . ولم يخطر لى قط ببال انك . . . ثم ان لك عشاقا كثيرين . . وفى مقدمتهم ستيوارت الذى . . .

ودبت الحياة فى جسدها من جديد . . وبدأت تحس . وتدرك .

قالت :

— ولكنك قلت فى التو واللحظة انك تحبنى . .

فضغط يدها بين يديه بقوة وأجاب :

— أتريدننى على أن أقول لك أشياء تؤلمك أيتها العزيزة ؟ !

فلم تجب . .

قال :

— انك مازلت طفلة ساذجة لاتعرفين معنى الزواج .

— ولكنى أعرف اننى أحبك .

— الحب وحده لا يكفل السعادة لاثنين مثلنا يختلفان طبعا وخلقا . . ومثلك من تريد الزوج على أن يكون لها جسدا وروحا . وقلبا وفكرا . . فاذا لم يكن لك ماتريدين . امتلأت حياتك شقاء ومرارة . وانى ضنين بكيانى . لا أتنزل عنه لكائن من كان . . فاذا جمع الزواج بيننا صارت حياتك جحيما لايطاق . . واستحال حبك لى الى مقت وكراهية . فلسوف تكرهين الكتب التى أقرأها . . والموسيقى التى أحبها . لا لشىء الا لانها تصرفنى عنك بعض الوقت . . ومن المحتمل . . .

فقاطعته :

— هل تحبها ؟ ؟

— انها مثلى . . ومن ذوى قرابتى . . وفى عروقها مثل الدم الذى يجرى فى عروقى . وكلانا يفهم صاحبه . . ويجب أن تعلمى أيتها العزيزة ان الزواج لا يمكن أن يجلب السعادة . مالم يتشابه الزوجان .

« * »

لقد قال لها بعضهم كلاما كهذا . . ولكن متى كان ذلك . . وأين ؟ ؟

قالت :

— ولكنك قلت انك تحبنى .

— ما كان يجب أن أقول ذلك .

وخيل اليها أن شيئا فى عقلها قد انفصم . وبدأت نار الغضب تستعر فى دمها .

صاحت :

— مادامت تلك قد طوعت لك أن تقول ذلك . فان . .

فامتقع وجهه . وقاطعها :

— نعم . . كان من النذالة أن أقول ذلك . . لقد أخطأت فى حقك . وأخطأت بالا كثر فى حق ميلانى .. ولكن كيف لى ان أنكر اننى أحبك لحيويتك الجارفة التى أفتقر الى كل ذرة منها . . أنت التى تجدين فى مقدورك أن تحبى وأن تكرهى بعنف يستحيل على أن أضارعك فيه ؟ ! انك عنيفة كالعناصر . . . جارفة كالنار

لانحافة ولا ضعف بعد اليوم

وذلك بفضل استعمال هذه المنتجات المصنوعة بنظافة تامة

للسيدات للرجال	ص		ص
علبة مربة المفتقة بالبندق فيها ٤ رطل	١٠	وبالبريد	١٤
علبة مربة المحلب باللوز فيها ٢ رطل	١٠	«	١٤
علبة قرطاس قشطة الشجر للسمنة	١٠	«	١٣
علبة مسحوق الهلال لازالة حب الشباب والنمش	١٠	«	١٣
أقراص نسخة احليل التمساح للرطوبة والضعف التناسلى والعقم للرجال	١٠	«	١٣
علبة مربة الشيخ للرجال ؟	١٠	«	١٤
علبة حبوب شافعى للسمنة	٥	«	٨
علبة حبوب النباتات ١٨١٢ لشفاء السيلان والتهاب المثانة ارفق اذن	١٠	«	١٣

بوستة بقيمة ماتطلبه باسم **ابراهيم ابراهيم شافعى**

بوكالة أبو زيد بالحمزاوى بمصر تليفون ٤١٨١٦

والهواء . . بينما . .

— قل اذن فى صراحة انك جبان . . وانك تخشى الاقتران بى . . قل انك تؤثر الحياة مع تلك المخلوقة البلهاء . . التى لا تستطيع ان تفتح فمها الا لتقول « نعم » أو « لا » . . قل . .

— لا يجب ان تتحدثى هكذا عن ميلانى .

— أيها النذل . . أيها الجبان . . انك جعلتنى اعتقد بانك ستقترن بى .

فقاطعها ضارعا :

— كونى منصفة يا سكارليت . هل حدث يوما انى . .

نعم . . لم يحدث يوما ان تجاوزت الصلة بينهما حدود الصداقة البريئة . . ولكن الصدمة التى اصابت كبرياءها فى الصميم . . قتلت فيها كل شعور بالانصاف . . فاحست بانها امرأة مهينة . . وانها طاردت هذا الرجل فاذلها . . واعرض عنها . . ودمغها الى الابد بميسم العار .

وثبت على قدميها . . وصاحت وشرر الغضب يتطاير من عينيها :

— سأمقتك ما حييت أيها النذل . . أيها الوضيع . . أيها . .

وبحثت فى ذهنها عبثا عن شتمة قبيحة تعبر عن مبلغ ازدرائها واحتقارها .

قال راجيا مستعطفا :

— سكارليت . . بحق السماء . .

ولكنها عاجلته بصفعة كانت لها فى الغرفة الهادئة فرقعة كفرقعة السوط .

وانفثأ غضبها على الأثر . . وامتلأ قلبها حزنا وأسى . .

وتركت يدها على وجهه الابيض المتعب علامة حمراء . . ولكنه لم ينطق بكلمة . . وتناول يدها . . ورفعها الى شفتيه وقبلها . .

وانصرف . . وأغلق الباب وراءه فى هدوء . .

« * »

وتهالكت سكارليت على المقعد . . وقد خارت قواها . .

وسمعت وقع أقدامه وهو يبتعد . . وهالها مافعلت . . لقد فقدته الى الأبد . .

انه سوف يمقتها ويحتقرها . . وسوف يذكر كلما وقع بصره عليها . . انها ترامت على قدميه فرغب عنها . . وزهد فى فتنتها وفتوتها وجمالها . . وضرب بتوسلاتها عرض الأفق . .

« * »

كان هدوء الغرفة لايطاق . . حتى همت بأن تصيح . . لتبدد السكون الذى

يحيط بها . .

يجب أن تفعل شيئا . . او تجن .

ووقع بصرها على آنية من الخزف . . فتناولتها بسرعة . وقذفت بها الموقد بعنف . فانفجرت بصوت مدو . وانتثر حطامها .

وحينئذ سمعت صوتاً من جوف أحد المقاعد يقول بلهجة الاستنكار :

— ان هذا لكثير . .

ولم تشعر سكارليت طيلة حياتها بمثل الرعب الذى شعرت به عندما سمعت هذا الصوت . .

خارت قواها . . وارتجفت ركبتاها ، وجف لعابها .

وقبل أن تملك حواسها . . نهض رايت بتلر من مقعد بين خزائن الكتب . . وصعدها بعينيه الساخرتين . . وقال وعلى شفتيه ابتسامة عريضة :

— يحسب الانسان مضايقة أن يوقظ من نومه ليسمع مثل الحديث الذى سمعته فى التو واللحظة . . أما أن تستهدف حياته بعد ذلك للخطر . . ويستهدف رأسه للاوانى المتناثرة فذلك كثير !

***

لم يكن المتكلم شبحا . .

كان رجلا بلحمه وعظمه . وقد سمع هذا الرجل كل شيء .

« * »

جمعت قواها المتخاذلة . . ولملمت شعث كبريائها المهينة . . وهتفت :

— سيدى . . كان ينبغى عليك أن تشعرنا بوجودك .

فحدجها بعينين جريئتين ضاحكتين وأجاب :

— أحقا تقولين ؟ ؟ ولكنك أنت التى اقتحمت الغرفة على .

لقد شعرت بان القوم يرمون بى . . ويرغبون عن وجودى بينهم . . فانزويت فى هذه الغرفة . . آملا ألا يزعجنى أحد .

ولكن . . وا أسفاه . .

وهز كتفيه العريضتين وضحك بصوت خافت .

وجن جنون سكارليت عند ما فكرت فى أن هـذا الرجل الفظ الوقح عرف سرها وسمع كلاما تتمنى الآن لو أنها ماتت قبل أن تنطق به .

صاحت فى غضب :

ـــ ان الجواسيس . .

فقاطعها :

ـــ ان الجواسيس يسمعون فى بعض الأحيان أشياء غاية فى الطرافة والاهمية . . وقد اقنعتنى تجاربى الطويلة فى الجاسوسية بان . .

فقاطعته ببرود :

ـــ سيدى . . انك لست رجلا محترما . .

ـــ هذه ملاحظة فى محلها . . ولـكنك كذلك لست سيدة محترمة . .

وضحك واستطرد :

ـــ لاتوجد سيدة محترمة تقول ماقلت أوتفعل مافعلت . . وأنا عادة لا اكترث للنساء . ولا أعجب بهن . . انى أعلم فيم يفـكرن . . ولـكنهن لسن من الشجاعة أوفساد التربية بحيث يـكشفن عما يدور فى خلدهن . أويعتمل فى نفوسهن . . وهذا النفاق يثير السأم والضجر . . أما أنت ياعزيزتى الآنسة اوهارا . . فانك نسيجة وحدك فى الصراحة والجرأة . . وانى أرفع قبعتى اكبارا لك . . ولست افهم فى الواقع . . ماذا يستهوى فتاة باسلة مثلك فى مستر أشلى ويلـكس . . لقد كان يجب عليه أن يشكر الله جاثيا على ركبتيه اذ اتاح له فتاة مثلك تضطرم عاطفة وحيوية ولـكنه للأسف مخلوق تعس خائر العزيمة لا . .

فقاطعته فى غضب :

ـــ انك لست جديراً بأن تمسح حذاءه . . .

ـــ ماذا أسمع ! ! لقد حسبت انك ستمقتينه مدى الحياة . . .

وغاص فى احد المقاعد . . . وراح يضحك بصوت خافت . .

ولوكان فى استطاعتها أن تفتك به فى تلك اللحظة لفعلت . .

ووجدت أنه لم يبق لها إلا ان تنقذ مايمكن انقاذه من كبريائها وكرامتها

فرفعت رأسها فى صلف . . وسارت إلى الباب بخطوات واسعة . . وأغلقته وراءها بعنف

***

وصعدت درج السلم مسرعة . وما أن بلغت باب الطابق الأول . . حتى خارت قواها . . وأحست بأنها ستفقد الرشد . . فاستندت إلى حاجز السلم .

إذا أغمى عليها . وسقطت فماذا يقول القوم ؟ ؟ ستذهب الظنون فى أمرها كل مذهب . . وقد يفضح أشلى أوذلك الرجل الخبيث رايت بتلر سرها . . فتسخر منها الفتيات اللائى أثارت حسدهن وغيرتهن . . ويصبح اسمها مضغة فى الأفواه

كلا . . كلا . . لايجب أن تفقد الرشد بحال . .

وتماسكت . . وحاولت أن تسيطر على مشاعرها وتهدىء خفقان قلبها وتكسو ملامحها مسحة من الهدوء والرزانة . . حتى لاتقرأ الفتيات فى وجهها شيئا مما حدث .

وحانت منها التفاتة الى النافذة المطلة على الحديقة . . ورأت الرجال يتهادون ويسمرون بين الأشجار . . فغبطتهم . . وشعرت بالغيرة والحسد . .

ماأجمل أن يكون الانسان رجلا . فلا يستهدف لمثل المذلة التى استهدفت لها منذ دقائق !

وسمعت فى هذه اللحظة وقع حوافر جواد يقترب بسرعة . . ثم رأت فارسا يقتحم طريقه داخل الحديقة

لعله ضيف جاء متأخراً .

ولكن لماذا اقتحم بجواده حقول الزهر التى كانت دائما موضع عناية هانيا ويلكس وخيلائها ؟

ولم تعرف الفارس . ولكنها لاحظت أنه وثب عن ظهر جواده بسرعة وامسك بساعد جون ويلكس وراح يتحدث اليه باهتمام شديد .

وما لبث سائر المدعوين أن داروا بالرجلين . . وجعلوا يمطرون الفارس بالأسئلة وفى حركاتهم وعلى وجوههم دلائل الاهتمام والانفعال

ثم أسرع اكثر الرجال إلى جيادهم . . فامتطوها . . وانطلقوا بها

ينهبون الأرض نهبا .

قالت لنفسها :

— لاشك أن حريقا شب فى مكان ما .

لم يكن يهمها أن تحترق الولاية كلها . . انما المهم أن تتسلل الى فراشها قبل أن يفتضح سرها .. وتفطن الفتيات الى غيابها .

وكانت ثورة عواطفها قد هدأت .. فسارت على أصابع قدميها وهمت بان تفتح باب إحدى قاعات النوم . وعندئذ سمعت صوتا فى الغرفة المقابلة . جعلها تجمد فى مكانها .

كان صوت هانيا ويلكس .. وكانت تقول :

— ان سلوك سكارليت اليوم كان ملفتا للأنظار .

فوثب قلب سكارليت بين جنبيها .. وطفت فى ذاكرتها كلمات سمعتها منذ دقائق « ان الجواسيس يسمعون فى بعض الأحيان أشياء غاية فى الطرافة والأهمية »

وخطر لها لأول وهلة أن تفتح الباب . . وتدخل . . وتخجل هانيا . . على أنه لم تكن هناك قوة فى الوجود تستطيع أن تحركها من مكانها عندما سمعت على الأثر صوت ميلانى وهى تقول :

— لا تقسى عليها ياهانيا . . لئن كان لها عيب فهو انها مرحة عابثة لعوب . . وأؤكد لك انى أحبها

فعضت سكارليت على شفتها حتى أدمتها ..

كان هذا الاطراء آلم لنفسها من وخز هانيا . . ذلك لأنها طبعت على إساءة الظن بجميع النساء عدا أمها . . وكل امرأة فى اعتقادها انما تصدر فى أقوالها وأفعالها . . بل وفى رحمتها واشفاقها عن أنانية ورياء . . وميلانى هذه الفأرة النحيلة .. لا يمكن أن تشذ عن غيرها من النساء .. فهى تعلم انها قد ظفرت بأشلى . . وانه لا يضيرها الآن أن تصطنع الكرم والتسامح . . وقد لجأت سكارليت نفسها إلى هذه الحيلة مراراً فكانت تطرى غريماتها على مسمع من الرجال . . وكان الرجال البلهاء يجلونها لذلك . . ويصفونها بصفاء السريرة وكرم الخلق .

صاحت هانيا بحدة :

— لا بد انك عمياء لا تبصرين يا ميلانى .

فقالت كاترين كالثيرت :

— لاتصيحى هكذا يا هانيا . . ان صوتك يدوى فى أرجاء المنزل .

فاستطردت هانيا بصوت خافت : أرأيت كيف كانت تعبث بالرجال . . وتحاول اغراءهم بنفسها وايقاعهم فى حبائلها ؟ انها لم تتورع حتى عن مداعبة مستر كنيدى . . صديق أختها . . بل وأرادت أخيرا أن تنصب شباكها لشارل هاملتون . .

وتنهدت واستطردت :

— كأنما لم يكفها انها عبثت بقلب ستيوارت تارلتون وأخيه . . وبقلب كل شاب أحب فتاة سواها . . فهى تريد الآن أن تجتذب شارل اليها . . رغم انى وشارل نوشك أن نعلن ...

فقاطعتها عدة أصوات :

— أحقا تقولين ؟ ؟

— نعم . . نعم . . ولكن هذا سر بيننا أرجوكن كتمانه . .

فقالت ميلانى :

— كم يسرنى ان تصبحى زوجة أخى ! !

فشكرتها هانيا . واستطردت بلهجة خطيرة :

— ولكنى اعتقد ان سكارليت لا تعبأ حقا الا برجل واحد . . هو اشلى .

وهنا ساد صمت عميق دام لحظة قصيرة . . ثم اعقبته جلبة عالية . . اختلطت فيها آهات الدهشة . باصوات الاستنكار . وأحست سكارليت بالأرض تميد تحت قدميها . وباطرافها تجمد من فرط شعورها بالخوف والهوان .

كانت هانيا فى صلتها بالرجال بلهاء ساذجة . لم تكسبها التجارب القدرة على فهم الرجل . . وسبر غوره . . والتغلغل فى أعماق نفسه . . ولكنها فيما يتصل ببنات جنسها كانت تنعم بغريزة حادة تنفذ بها الى دخائلهن . .

وتقرأ سرائرهن . . كما تقرأ فى كتاب مفتوح .

ولم تعرف فيها سكارليت هذه الغريزة . . لذلك كان ذعرها لا حد له . .

ان الانسان يستطيع أن يأمل من الرجل — حتى ولو كان من طراز رايت بتلر — أن يحفظ السر ويكتمه . . ولكن لا أمل فى أن تكتم السر فتاة مثل هانيا ويلكس . . لها لسان أنشط من لسان كلب الراعى . . وسوف لا يقبل المساء حتى يكون سر سكارليت قد شاع وذاع . ويكون اسمها قد أصبح مضغة فى الأفواه . .

وتخيلت سكارليت كيف سيرمقها الرجال فى اشفاق أو ازدراء . . وكيف ستقابلها الفتيات ببسمات السخرية والشماتة . وأحست بالعرق يتصبب على جسدها . .

وفجأة . . ارتفع صوت ميلانى فوق الجلبة .

كانت تقول بنبرات هادئة متزنة . . فيها رنة عتب :

— إنك قاسية ياهانيا . . أنت تعلمين أن هذه ليست الحقيقة .

— بل هى الحقيقة ياميلانى . . ولولا أنك فى شغل دائم بالبحث عن مواطن الخير فيمن لاخير فيهم . . اذن لرأيت أن هذه هى الحقيقة . ولشد ما أنا مغتبطة لضياع آمالها . انها جديرة بهذا الجزاء الحق . . فقد كان كل همها خلق المتاعب . وتعكير صفو الناس . . واجتذاب عشاق غيرها من الفتيات . .

أنت تعلمين ماذا فعلت بستيوارت وبرنيت . . وماذا أرادت أن تفعل اليوم بمستر كنيدى . . وأشلى . . وشارل .

ولم تطق سكارليت صبرا . .

قالت لنفسها :

— يجب أن أذهب . ويجب أن أعود الى المنزل .

وودت لو أن لها أجنحة تطير بها الى مزرعة أبيها . . لتلقى بنفسها فى أحضان أمها وتكشف لها عن مكنون صدرها . . . وتلتمس منها العون والنجدة .

وخيل اليها . . أنها اذا سمعت كلمة أخرى . . فلن تتردد فى اقتحام

الغرفة . . لتمزق شعر هانيا . وتبصق فى وجه ميلانى . وتقول للاولى رأيها فيها .. وتقول للثانية كم تحتقرها وتحتقر شفقتها المصطنعة . وكرمها الزائف

. . .

وجمعت أطراف ثوبها حتى لايسمع له حفيف . وهبطت السلم بسرعة . وقد اعتزمت أن تطلق ساقيها للريح حتى تصل الى بيتها .

ولكنها ما كادت تهبط السلم . . وتقترب من الباب حتى خطر لها خاطر آخر . .

لماذا تعود الى بيتها ؟ ولماذا تفر ؟

كلا يجب أن تبقى . . وأن تصمد لأعدائها . وتحمل عارها بصبر وجلد .. حتى لاتفسح لغرمائها سبيل الفوز والشماتة . . وحتى لاتهيىء بفرارها غذاء للحقد الذى يملأ قلوبهن .

قالت بحزم :

— سأبقى هنا . . ولن أعود الى البيت . . وساجعلهن يندمن .

ودارت على عقبيها . . وهمت بان ترقى السلم .. وحينئذ سمعت وقع أقدام خلفها .. فتحولت . . ورأت شارل .

كان مشعث الشعر . . لامع العينين . . بادى التأثر والانفعال .

صاح قبل أن يصل اليها :

— هل تعلمين ما حدث ؟ ؟ لقد جاء بول ويلسون فى النو واللحظة حاملا آخر الأنباء ..

وصمت وهو يلهث . . ولكنها لم تنطق بكلمة .. وظلت تحملق فى وجهه دون أن تفهم ما يعنى .

قال :

— لقد دعا لنكولن رجاله إلى الحرب . . وحشد خمسة وسبعين الف جندى لسحق ولايات الجنوب .

. . .

لنكولن . . دائما لنكولن . . ألا يجد الرجال مايشغلهم غير لنكولن والحرب ؟ ! هل يريدها هذا الغبى على ان تنتفض حماسة لهذا النبأ . . بينما

قلبها يتحطم .. وسمعتها فى مهب الريح ؟

ونظر اليها الفتى بامعان .

كان وجهها أبيض كقطعة من الورق .. وعيناها تتالقان كزمردتين خضراوين .

لم ير قط مثل هذا الضوء يكسو وجه فتاة أو يلمع فى عينيها .

قال لها .. وقد أخطأ فى تأويل انفعالها :

— معذرة عن خشونتى .. كان ينبغى على أن أنهى اليك النبأ فى رفق لقد نسيت ان النساء مخلوقات رقيقات تزعجهن أنباء الحرب .. هل آتيك بقدح ماء ؟ !

فهمست :

— كلا ..

وتلاعبت على ركن فمها ابتسامة ماكرة ..

— هل نجلس على أحد المقاعد ؟ ؟

وتأبط ساعدها .. وخرج بها الى الحديقة .. وأجلسها على مقعد تحت إحدى أشجار السنديان ..

يا الهى .. ما أضعف النساء وما أرق قلوبهن .. ! ان مجرد ذكر الحرب وأعمال القسوة يكفى لأن يوقع فى قلوبهن الذعر .. مهما أوتين من البسالة والجرأة .. ! !

وضاعف هذا الخاطر اعتداده بنفسه .. واعتزازه برجولته .. ولما جلس بجوار سكارليت .. كان قلبه يفيض عطفا وحنانا .

وكان شحوب الفتاة .. وتألق عينيها .. يكسبان وجهها فتنة غير عادية وخطر لشارل — وهو يتأملها — خاطر جعل قلبه يثب فى صدره ..

ترى هل هى حزينة مكتئبة شاردة اللب .. لأنها تشفق عليه من الحرب ؟ !

كلا .. كلا .. ان ذلك أكثر مما يحلم به .. مهما بلغ من الغرور والخيلاء ..

ولكن لماذا ترمقه بهذه النظرات الغريبة .. ؟ ولماذا ترتجف أصابعها .

ويهتز المنديل فى يدها . . ؟ !

وأهدابها الطويلة الرائعة . . لمـــاذا ترتعش حياء وحبا . . كأهداب الفتيات اللائى قرأ عنهن فى القصص . .

« * »

ابتلع لعابه مراراً بصوت مسموع . . وحاول مراراً ان يتكلم فاحتبس صوته وخانته شجاعته . ولم يقو على النظر فى عينيها الخضراوين العميقتين . . فأطرق برأسه .

وحملقت سكارليت فى وجهه . ولـكنها لم تره . . لأنها كانت تفـكر . . وتفـكر بسرعة فى خطة نبتت فى ذهنها . ونضجت باسرع من لمح البصر .

قالت لنفسها :

— انه واسع الثراء . . ويقيم فى (اتلانتا) . وليس له ابوان يضايقانى فاذا اقترنت به . . ادرك أشلى اننى لااعبأ به . ولا اقيم له وزنا . . وان حديثى معه كان لمجرد الدعابة والعبث ، وانفجرت ميـــلانى غضبا لأنها تحب أخاها كثيرا . اما هانيا . . فلا شك انها تموت غيظا وكمدا . . لأنها لن تجد من يخطب ودها بعد ان فقدت ستيوارت وشارل معا . .

وسوف تضطرم نار الحسد والغيرة فى قلوب الجميع متى جئت لزيارة (تارا) فى مركبتى الفخمة . . وثيابى الانيقة يحف بى الخدم والحشم والعبيد وعندئذ لن يجد احد سبيلا للهزء بى والسخرية منى . .

« * »

وكان شارل قد جمع اطراف شجاعته وراح يقول :

— ان هذا معناه الحرب بغير شك ولـكنها حرب لن تدوم الاشهرا أو بعض شهر ربما نرغم لنـكولن ورجاله على السجود . .

واكبر الظن أنه لن يكون رقص هذا المساء . فقد انطلق الرجال إلى (جونزبورو) للانضمام الى فرقهم

فهتفت سكارليت :

— أحقا تقول ؟ !

وكان اضطرابها قد زال . واسترد ذهنها صـفاءه . . وبدأت أفـكارها

تتركز . وتنتظم فى مجرى واحد .

نعم . . لماذا لاتقترن بهذا الفتى الساذج الجميل ؟ انها فقدت أشلى . ولن يهمها الآن من يكون زوجها .

قال شارل :

— اننى حائر لا أعلم هل أنضم الى جيش الكولونل جيمس هامبتون. أو التحق بحرس مدينة (اتلانتا) .

فصعدته سكارليت بعينيها الرائعتين . . وارتجفت أهدابها الطويلة الساحرة ارتجافة كان فيها ضياعه .

هتف :

— هل تنتظرينى حتى أعود ياسكارليت ؟ ؟ لست أطمع فى سعادة أعظم من أن أعلم انك تنتظرينى .

ونظر الى شفتيها وهو محتبس الانفاس .. كأنه ينتظر من فمها كلمة الموت أو الحياة .

وأجابته سكارليت بصوت هادىء :

— كلا . . لا أريد أن أنتظر .

فسقط فكه ، ولم يصدق أذنيه . . وتأملته سكارليت خلسة من تحت أهدابها . . ورأته يفتح فمه ويطبقه مراراً . وذكرها منظره بضفدعة تنقنق

هتف وقد صعد كل دمه الى وجهه :

— أتحبيننى حقا ؟ ؟ أيمكن هذا ؟ ؟

ولكنها لم تجبه . . فملكه مزيج من الفرح والحيرة . . ربما لا يخلق بالرجل أن يلقى مثل هذا السؤال على فتاة ؟ ؟

ولم تكن شجاعته قد ساقته الى مثل هذا الموقف من قبل ، فلم يدر ماذا يجب أن يفعل . . وأحس برغبة شديدة فى أن يصيح ويغنى . ويقبلها وينطلق فى الحديقة باقصى سرعته . . ليبلغ كل من يصادفه بانها تحبه .

بيد أنه لم يفعل أكثر من أن ضغط أصابعها حتى غاصت خواتمها فى لحمها . . وهتف :

— هل تؤثرين أن نعجل بالزواج ياسكارليت ؟ !

فحولت وجهها ولم تجب.. وفهم شارل هذه الحركة على انها حياء وخجل فسأل :

— ومتى أقابل أباك ؟ ؟

فاجابت وهى تريد أن تخلص أصابعها من قبضته بأى ثمن :

— خير البر عاجله . .

فوثب من مكانه بحماسة . وهتف بلهجة خطيرة :

— كلا ... كلا ... لاطاقة لى على الانتظار . . سأبحث عن أبيك فى الحال .

الفصل الرابع

ولم ينقض أسبوعان .. حتى أصبحت سكارليت زوجة . . ولم ينقض شهران حتى أصبحت أرملة .. وهكذا تخلصت بسرعة من المأزق الذى تورطت فيه بعجلتها . وقصر نظرها . ولكنها لم تعرف بعد ذلك طعم الحرية وراحة البال اللتين كانت تنعم بهما قبل الزواج .. وقد كان جزعها وحيرتها لاحد لهما حين اكتشفت على الأثر انها ستصبح أما ..

« • »

وفى الاعوام التالية . . كانت سكارليت تحاول عبثا أن تذكر تفاصيل الحوادث التى مرت بها فى ذلك العهد . . فقد اختلط كل شىء فى ذهنها واتخذ صورة كابوس مفزع لاأصل له ولاحقيقة ، وقطعت سلسلة ذكرياتها بقعة بيضاء . . تمثل الفترة التى انقضت بين لقائها بشارل واقترانها به

ولم تتجاوز فترة الخطوبة اسبوعين . . وفى الظروف العادية . . كانت فترة الخطوبة تمتد عاما واكثر . . ولكن ولايات الجنوب كانت تغلى كالمرجل . . والحوادث تتوالى بسرعة البرق . . وتقوض العادات والتقاليد التى اصطلح عليها الناس فى عهد السلام .. وعبثا دقت هيلين اوهارا كفيها ونصحت لابنتها بالتمهل والتفكير .. فقد صمت سكارليت اذنيها عن صوت العقل . . وصممت على الزواج .. والزواج باسرع مايمكن . ولم يسع هيلين الاان تصمت وتحنى رأسها للعاصفة . . كما فعلت غيرها من الامهات

كان الجنوب ثملا بالحماسة .. والجميع يعتقدون أن الحرب ستنتهى بالنصر بعد المعركة الأولى . . فسارع كل شاب إلى حمل السلاح ليسدد ضربة إلى قلب الشمال قبـــل أن تنتهى الحرب . . وعجل كل شاب بزواجه قبل أن يرحل إلى ميـــدان القتال . . ولم يجد أحد فى غمرة الحوادث متسعا من الوقت للتفكير قبل الزواج . . أو للحزن عند الفراق .

وبين عشية وضحاها . . استحال هدوء البلاد إلى حركة محمومة لم ير الناس لها مثيلا من قبل . . فامتلأت الطرقات بالمركبات والخيل .. وشغلت القطرات ليل نهار فى نقل الجنـد والعتاد إلى (اتلانتا) و (فرجينيا) . . وتحولت الحقـول إلى ميادين للتـدريب . . ونشطت النساء لصنع الملابس العسكرية . . وجوارب الجند . . والاربطة .

وفى هذه الظروف العجيبة الشاذة . . احتفلت سكارليت بزفافها .

وقد تذكرت فيما بعد هذه الحفلة . . كما تذكر حلما قديما .

تذكرت الكنيسة الزاخرة بالمدعوين . . وتذكرت وجه أمها الحنون وهى تنظر اليها فى عطف وحب . وشفتاها الرقيقتان تتحركان فى سكون .. كأنها تبتهل الى الله فى صمت ان يسعد ابنتها ويبارك زواجها . .

ثم تذكرت وجه ابيها .. وهومنتفخ الاوداج من فعل الخمر والخيلاء .. ولـكنها قالت لنفسها عندما وقع بصرها على اشلى وميلانى :

— كل هذا ضرب من الخيال . . كل هذا حـلم . . سوف أستيقظ وأعلم أننى كنت فى حلم . . كلا . . لايجب أن أفـكر فى ذلك الآن . . والا صرخت على مسمع من هؤلاء الناس جميعا . . سأفـكر فيما بعـــد . . فيما بعد . . حين لا اراه أمامى . .

نعم . . . لاشك انها كانت تحلم . . وان اضطراب شارل ولعثمته . . وهدوء أعصابها وجمود شعورها . وتهانى المهنئين .. وقبلة ميلانى وأشلى . كل ذلك كان جزءا من حلم غريب .

على أن الرقص ما كاد يرفض .. وينفرط عقد المدعوين . . حتى تحطم الحلم وتبدد . . كما يتحطم الزجاج تحت المطرقة .. وكما يتبدد الخيال فى ضوء الحقيقة . .

وقد برزت لهـــا الحقيقة فى صورة شارل هاملتون . . وهو يسعى إلى فراشها . . وفى عينيه الصافيتين نظرة الطفل المذنب

. . .

ولم تكن تجهل أن الزوجين يشغلان عادة نفس الفراش . . ولكنها لم تحاول قط أن تطبق هذه القاعدة على نفسها . . فلمـــا رأت هذا الشاب الغريب الذى تنفر منه بقلبها وشعورها . . وهو يسعى إلى فراشها . . بينما قلبها يتحطم ألما وشـــقاء . . أدركت لأول مرة ماذا جلبت على نفسها . . بعنادها وصلفها . . وسوء تقديرها

ومشى شارل الى الفراش مشية المتردد . فرمقته بنظرة بغض واستنكار وقالت بصوت أجش :

— اذا اقتربت خطوة أخرى . . . صرخت بأعلى صـوتى . . . اغرب عنى وحذار أن تمسنى . .

وهكذا قضى شارل هاملتون ليلة الزفاف قابعا فى مقعد بأحـد اركان الغرفة . .

ولكنه لم يغضب . . ولم يحزن . . فقد كان يفهم . . أو ظن انه يفهم مبلغ حياء عروسه . . ورقة شعورها . .

. . . .

ومرت حفلة زفاف سكارليت كما تمر الاحلام الثقيلة . . واعقبتها حفـلة زفاف أشلى وميلانى فى اليوم التالى . فـكانت كابوسا مزعجا . .

وقد ارتدت سكارليت لهذه الحفـــلة ثوبها الأخضر الفضفاض . . . ووجدت نفسها وسط زحام كالذى شهدته فى الليلة السابقة . . وعندما وقع بصرها على ميلانى هاملتون وقد اضاء وجهها الساذج النحيل بنور الرضى والسعادة . . . أحست بان كل سعادتها فى الحياة قد تبددت . . وذابت . . ذوبان الشموع التى تسطع فى جوانب المـكان . .

الآن قد افلت أشلى من قبضتها . . . ولا أمل فى انتزاعه من مخـالب هذه القطة الصغيرة . .

ولـكن كيف افلت ؟ ! ألم يقل انه يحبهـا ؟ ! فما الذى فرق بينهما ؟

ليتها تستطيع فقط ان تذكر . . لقد اختلط كل شيء فى ذهنها المضطرب . واستعصى على عقلها المكدود . .

انها قطعت السبيل على المرجفين باقترانها بشارل . . ولكن أية اهمية لهذا ! ! المهم هو أشلى . . وقد افلت أشلى . . . وبقيت هى زوجة لرجل تحتقره بقدر ماتنفر منه . . فما اشقاها ! ! !

. . . .

ورقصت فى حفلة زفاف أشلى وهى فما يشبه الغيبوبة . . وتكلمت وابتسمت كما لو استطاعت الآلات أن تتكلم وتبتسم . وعجبت فى قرارة نفسها لغباوة هؤلاء القوم الذين يحسبونها عروسا سعيدة . ولا يرون قلبها المحطم . . ونفسها العليلة . وشكراً لله على انهم لا يرون .

. . . .

وعند ما عادت الى البيت . والى غرفتها . . ورأت شارل مقبلا عليها فى خجل . . ووجل . . وهو يبتهل الى الله فى سره . . ألا يضطر الى قضاء الليلة الثانية فى المقعد كما قضى الليلة الأولى . . انفجرت باكية . واستمرت تبكى وهو يواسيها ويرفه عنها . . حتى نضب معين دموعها . . فالقت برأسها على صدره . واطلقت العنان لتأوهاتها وزفراتها . .

. . . .

ولو لم تكن حرب لتوالت المآدب والمراقص اسبوعا كاملا وأقيمت حفلات التكريم للازواج الجدد عند آل فونتين وآل كالفيرت . . وآل تارلتون . . وعرفت سكارليت كيف تعرض فساتينها جميعا قبل أن تنطلق فى رحلة شهر العسل . . ولكن الحرب كانت على الابواب . . . ولا محل للمآدب . . والمراقص . . والرحلات . وهكذا لم يمض اسبوع بعد الزفاف . حتى رحل شارل لينضم الى جيش الكولونل جيمس هامبتون . . . وبعد اسبوعين . . لحق أشلى بفرقته . . واقفرت البلاد من عنصر الشباب .

. . . .

وفى خلال الاسبوعين . اللذين تخلفهما أشلى بعد رحيل شارل . . لم تتح لسكارليت فرصة لمقابلته أو التحدث اليه على انفراد . . بل ولم تتمكن

من أن تهمس فى اذنه كلمة واحدة عند رحيله . .

كانت ميلانى تلازمه كظله . .

وقبل أن يتحرك القطار قالت له :

— يجب أن تقبل سكارليت يا أشلى . انها الآن أختى .

فانحنى أشلى . ومس وجنة سكارليت بشفتيه الباردتين فلم تحرك هذه القبلة الفاترة جانحة من جوانحها . ان لم يكن لسبب آخر ، فلأن ميلانى هى التى اقترحتها واوصت بها .

قالت لها ميلانى :

— اننى سأقيم مع عمتى (بيتى) فى (اتلانتا) . فيجب ان تأتى لزيارتنا ايتها العزيزة . فانه يسرنا أن نعرف المزيد عن زوجة شارل .

. . . .

وانقضت بعد ذلك خمسة اسابيع . بعث شارل فى خلالها طائفة من

السيلان الحديث والمزمن

التهاب المثانة . والبروستات . ضعف الأعصاب . حب الشباب

بقع الجلد . تجعدات الوجه . النحافة تشفى أكيدا

بطريقـــة

الاستاذ كورجى

دكتور العلاج الكهربائى بمصر وطنطا

العيادة بمصر بشارع فؤاد الأول نمرة ٥٤ من جهة بولاق

يوميا بعد الظهر وبطنطا أمام محطة الدلتا كل يوم قبل الظهر

الرسائل عبر بها عن حبه وآماله . وخططه للمستقبل بعد أن تضع الحرب أوزارها . وحماسته للقيام بعمل من اعمال البطولة . . واعجابه بقائده الكولونل جيمس هامبتون .

وفى الاسبوع السادس . . تسلمت سكارليت رسالة بامضاء الكولونل هامبتون . تتضمن أرق عبارات العطف والتشجيع والعزاء . فقد مات شارل على اثر اصابته ببرد تطور الى التهاب رئوى .

وهكذا لم يعصف الموت بآمال الفتى التعس فى السعادة والحب فحسب . بل عصف كذلك بكل ما كان يرجوه من مجد وشرف فى ساحة القتال .

. . .

ووضعت سكارليت طفلها . ولما كان من التقاليد المألوفة ان يطلق على الاطفال اسماء القادة . فقد أسمى الطفل « جيمس هامبتون » نسبة الى قائد أبيه .

. . .

وعند ماعلمت سكارليت بانها حامل ، بكت حزنا ويأسا ، وتمنت أن تموت . ولكنها حملت الطفل ووضعته بأقل ما يمكن من العناء . وغادرت فراشها بسرعة حتى قالت لها مريتها سراً . . ان السيدات يجب فى مثل هذه الحالة أن يتظاهرن بالألم والضعف . وأن يلازمن الفراش مدة أطول .

ولم تشعر سكارليت نحو طفلها بشىء من الحب والحنان . وان حاولت ان تخفى هذه الحقيقة .

كانت زاهدة فى قدومه . فلما جاء . لم تصدق انه طفلها . وانه جزء منها

وعلى الرغم من انها استردت صحتها وغادرت فراشها بسرعة مخجلة . فانها ظلت من الناحية العقلية والفكرية عليلة مذهولة ، فذهب نشاطها . . وانحطت قواها المعنوية . ولم تجدها نفعا أدوية الدكتور فونتان وعقاقيره . حتى اضطر الطبيب الشيخ ان يعترف بعجزه . وان يسر الى هيلين أوهارا . بان المرض نفسانى اكثر منه جثمانى . وان سببه الحزن واليأس . وانكسار القلب . وهى أدواء لاحيلة له فيها .

ولو أن سكارليت أرادت ان تتكلم . إذن لقالت كلاما غير هذا .

ولكنها لم تشأ ان تقول لهم ان السأم والملالة . وغياب أشلى . والانزعاج من انها أصبحت اماً . كل ذلك هو علة سقمها وذبولها .

والواقع . . ان الضجر أصبح داءها العضال . بعد أن طوت الحرب حلبات الرقص . وذهبت باسباب اللهو والمرح . وأقصت عنصر الشباب ولم تترك غير الشيوخ للعمل فى الحقول . وغير النساء للخياطة والتطريز والمعاونة فى فلاحة الأرض وتربية الماشية . .

ولو كان هناك شباب . . وكانت حفلات . ومراقص ما أبدل ذلك من مصيرها شيئا . فقد كان المفروض أنها أرمل . وان قلبها مع زوجها فى قبره . . وانها يجب أن تكون حزينة رزينة محتشمة . فلا تلهو لهو الفتيات ولا ترتدى من الثياب غير ثوب الحداد . ولا تتحدث فى مرح ، ولا تضحك بصوت مرتفع . واذا ابتسمت وجب أن تكون ابتسامتها هادئة حزينة . . واذا أراد رجل أن يخطب ودها . تعين عليها أن تصده بعبارة مختارة تتضمن اشارة الى زوجها الراحل .

كل ذلك كان من أسباب ضجرها . وملالتها . سيما وانها حاولت كثيرا فلم تذكر عن شارل الا انه حين فاتحها بغرامه . . كان منظره أشبه ما يكون بمنظر ثور ينتظر الذبح .

* * *

واستبد بها الضجر حتى زهدت فى الطعام وشحب لونها . . وضاق صدرها ، وعبثا حاول أبوها أن يدخل التسلية والعزاء على نفسها بما كان يجلب لها من الهدايا . وعبثا حاولت مربيتها أن تغذيها بالشهى من الطعام . واستولى القلق على أمها ففزعت الى الدكتور فونتان مرة أخرى . . وهز الطبيب كتفيه وقال :

— دعيها ترحل الى مكان آخر . فقد يفيدها تغيير الجو الذى تعيش فيه

وهكذا رحلت سكارليت وطفلها الى (شارلستون) حيث تقيم خالتها. ولكنها لم تلبث ان عادت فجأة قبل شهر من الموعد المحدد لرحلتها . . ورفضت ان تذكر سببا لعودتها المبكرة . .

كانت خالتها قد رحبت بها .. واكرمتها .. ولكنها ـ وهى امرأة متقدمة فى السن .. هادئة الطباع ـ كانت تقضى جل وقتها فى التحدث إلى زوجها الشيخ عن ماض بعيد لا تذكره سكارليت . . ولاتعبأ به .. فمالبثت الارملة الشابة ان ملت هذه الحياة الهادئة الخالية من اسباب المرح والتسلية . . وقررت أن تعود ادراجها فى الحال . .

« • »

وذعرت هيلين اوهارا . . حين وجدت ابنتها اشد شحوبا . . واكثر ذبولا . . واضيق صدرا مما كانت يوم رحيلها . . وقضت اكثر من ليلة قلقة مسهدة . . تفكر وتعصر ذهنها فى البحث عن وسيلة للترفيه عن ابنتها . .

وكانت ميلانى وعمتها بيتى .. قد كتبتا اليها مراراً ترجوانها ان تسمح لسكارليت بزيارتها فى (اتلانتا) وقد قالت العمة بيتى فى رسالتها الأخيرة : « الآن . . وقد ذهب شارل العزيز . . فانى وميلانى نعيش وحدنا فى بيتنا الكبير . . ونشعر بأن حياتنا تكون أطيب وطمأنينتنا أتم إذا انضمت الينا سكارليت . .وربما وجدت هذه البنية العزيزة بعض ماترجو من عزاء وسلوة فى تمريض الجرحى أسوة بميلانى . . يضاف إلى ذلك اننى وميلانى نتحرق شوقا إلى رؤية الطفل العزيز . . »

وفكرت هيلين اوهارا فى هذه الدعوة مليا . . وقررت أن هذه قد تكون الفرصة الوحيدة لانقاذ ابنتها . .

وفى اليوم التالى . . حزمت سكارليت أمتعتها مرة أخرى . . ورحلت بطفلها وخادمتها الزنجية (ديلسى) إلى اتلانتا

« * »

كانت تنفر وتتململ نفسها مرارة من مجرد التفكير فى الاقامة مع زوجة أشلى تحت سقف واحد . .

ولكنها اصبحت تمقت (تارا) .. وترحب بأى مكان آخر . . لاترى فيه هذه الحديقة . . وهذه الاشجار . . وهذا النهر . . وكل ما يذكرها بأشلى .

القسم الثانى

الفصل الاول

وصل القطار الى (اتلانتا) فى الصباح بعد ليلة عاصفة ممطرة . . ووقفت سكارليت على سلم المركبة . . ونظرت الى الأوحال المتراكمة فى الطريق . . وعز عليها ان يتلوث ثوبها الأسود الحريرى الطويل . .

وانها تهم بالهبوط من المركبة . . اذا بزنجى متقدم فى السن . . مجعد الوجه . . نحيف الجسم . . يتقدم اليها . . وقبعته فى يده . .

سألهـا :

— هل أنت الآنسة سكارليت ؟ ! أنا (بيتر) خادم الآنسة بيتى . . . لاتلوثى حذاءك بالوحل . . دعينى أحملك . .

وحملها . . رغم شيخوخته ونحافته . . كما يحمل طفـلا رضيعا . . ووضعها فى إحدى المركبات . وتبعتهما ديلسى والطفل . .

وتذكرت سكارليت . . وهى بين ساعدى بيتر . . أحاديث شارل عن هذا الزنجى الشيخ وعن اخلاصه للاسرة . .

قال لها إنه رافق أباه فى الحرب المكسيكية . . وأنقذ حياته حين أصيب بجرح عميق . . وتعاون مع العمة بيتى على تربيته هو وأخته ميلانى بعد وفاة والديهما وان العمة بيتى تثق به ثقة عمياء . . ولا تبرم أمراً الا بمشورته . فهو الذى نصح بارساله الى جامعة « هافارد » وهو الذى قال لميلانى انها قد بلغت مبلغ النساء . . وتستطيع أن تطلق شعر رأسها . . وتغشى الحفـلات والمراقص . . وهو الذى يقرر اذا كان الجو يصلح لخروج العمـة بيتى أو لايصلح . . واذا كان ينبغى لها أن ترتدى معطفا أو لاترتديه .

وقد وجدت سكارليت مايؤيد هذا الكلام حين سمعت الزنجى يقول :

— كانت سيدتى تريد أن تستقبلك بنفسها . . ولكنى نصحت لها بالبقاء

حتى لاتتلف الأوحال ثيابها .

* * *

وبدأت المركبة سيرها البطىء فى الشوارع الموحلة . ونظرت سكارليت حولها فى فضول.. وأحست بنشاط وحماسة لم تشعر بمثلهما منذ بضعة شهور

كانت قد زارت (اتلانتا) آخر مرة منذ عام .. ولم يخطر لها قط أن كل هذا التطور العظيم يمكن أن يطرأ على المدينة الصغيرة خلال هذه الفترة القصيرة .

على انها كانت فى شغل بهمومها ومتاعبها طيلة العام الماضى . فلم تعلم أن (اتلانتا) بدأت تتطور بسرعة منذ اللحظة التى أعلنت فيها الحرب . . وأن الخطوط الحديدية التى جعلتها مركزا تجاريا هاما فى زمن السلم . . قد جعلت منها مركزا عسكريا ذا أهمية حيوية فى زمن الحرب .. وان وقوع المدينة وراء خطوط القتال قد جعل منها نقطة الاتصال بين الجيش الذى يقاتل فى (فرجينيا) . والجيش الذى يقاتل فى الغرب . . وبين هذين الجيشين وموارد المؤن فى الجنوب .. وأن ضرورات الحرب قد خلقت منها مركزا صناعيا خطيرا وقاعدة أساسية للمستشفيات . ومخزنا كبيرا لجمع المؤن والذخائر التى تحتاج اليها الجيوش فى ميادين القتال ..

وعبثا حاولت سكارليت أن تجد حولها أثرا للمدينة الصغيرة التى كانت تعرفها حق المعرفة . . فقد أصبحت (اتلانتا) أشبه بطفل نما فجأة . . حتى صار عملاقا .

كانت المدينة تطن كأنها خلية نحل . والعمل يجرى فيها ليل نهار . . لتحويل المراكز الزراعية . . الى مراكز صناعية .

وقبل الحرب . كانت ولايات الجنوب تفخر بانها تخرج الساسة والقواد والزراع . والاطباء والمحامين والشعراء . أما الصناع والمهندسون وغيرهم ممن عنيت بهم ولايات الشمال . فانهم كانوا موضع ازدراء الجنوب وتحقيره .

اما الآن . . بعد أن ضيقت ولايات الشمال الخناق على الجنوب . . وحاصرت شواطئه وموانيه . وحالت دون وصول الواردات الاوربية ماعدا النزر اليسير الذى يقوم المغامرون بتهريبه . فقد أصبح لزاما على ولايات

الجنوب أن تعتمد على نفسها لانتاج حاجتها من الذخائر والمواد الحربية

* * *

وقالت سكارليت لنفسها وهى تحس بالحياة تنبض فى شرايين المدينة كما ينبض الدم فى شرايين جسدها :

— ستطيب لى الأقامة هنا بغير شك . . . وسط هـــذه الحركة وهذا النشاط . . .

وراح بيتر يوضح لهـــا ماترى . . . ويشير الى المصانع والمسالك التى أنشئت حديثا . . . والى الخطوط الحديدية التى مدت بعد اعلان الحرب . والى الفنادق الجديدة التى تزخر بالنزلاء الذين جاءوا لزيارة أقاربهم الجرحى

قال لها فجأة :

— انظرى الى اليمين يا آنسة . . . ان مـدام باركر ومدام ايلزنج يقرئانك التحية . .

وتذكرت سكارليت انها رأت فى حفلة زفافها سيدتين بهذا الاسم . . وقد قيل لها يومئذ انهما من اخلص اصدقاء العمة بيتى . . فنظرت الى حيث اشار بيتر . ورأت السيدتين فى مركبة امام أحد الحوانيت . . وهما تلوحان لها بايديهما . .

كانت مـدام باركر امرأة طويلة القامة . . . ضخمة الجسم . قد وخط الشيب شعرها . . أما مدام ايلزنج فهى اصغر منها سناً . . . وأنحف قواما . . وعلى وجهها مسحة من جمال رائع قديم . .

وهاتان السيدتان . . وسيدة ثالثة هى مدام (ميد) . . زوجة الدكتور (ميد) . . اشهر اطبـــاء المدينة . . هن قوام المجتمع فى (اتلانتا) . . . والمشرفات على جميـع المؤسسات الخيرية والدينية . . ولديهن انباء الأسر . وأسرار العائلات . وقد انصرفن بعد الحرب لتزعم حركة واسعة النطاق . . لتمريض الجرحى فى المستشفيات وتسلية الناقهين . . وخياطة ثياب الجنود . وصنع الأربطة . . واعانة الفقراء واليتامى الذين فقدوا عائليهم فى الحرب . .

وقد ترتب على رغبـــة كل منهن فى الاستئثار بالزعامة أن قامت بينهن منافسة . . . تحولت الى كراهة مستورة . . فكانت كل منهن ترتاب فى

زميلتيها .. وتسعى للحط من قدرها .. ومن قيمة جهودها . وتعمل جاهدة لتحيط نفسها باكبر عدد من نساء المدينة وفتياتها ..

صاحت مدام باركر وهى تبتسم :

— لقد قلت لبيتى .. اننى اريدك للعمل معى فى مستشفاى . فلا تعدى مدام (ميد) بشىء ..

فابتسمت سكارليت .. ولم تفهم ماذا تقصد اليه السيدة . .

الفصل الثانى

ذهبت (سكارليت) الى (اتلانتا) . . وهى خالية الذهن . . لاتدرى كيف ستكون اقامتها هناك . . ومتى تنتهى زيارتها . . فاذا شعرت بمثل الضجر الذى لازمها فى (شارلستون) فانها تعود الى (تارا) بعد شهر على الاكثر . . واذا طابت لها الحياة فى المدينة .. أقامت فيها الى غير أجل .

بيد انها ما كادت تصل الى البيت . . حتى بدأت ميلانى والعمة بيتى حملة بارعة منظمة لحملها على الاقامة معهما دائما . . وتسلحت المرأتان بكل حجة ممكنة . فهما يريدانها لشخصها .. لأنهما يحبانها .. والبيت واسع رهيب .. ووجودها فيه يشجعهما .. وهى ظريفة لبقة تستطيع أن ترفه من أحزانهما وقلقهما . . ومادام شارل قد مات . . فان مكانها الطبيعى هو بين اهله وقرابته . يضاف الى ذلك ان الوطن بحاجة الى جميع الأيدى للعمل فى الخياطة والتطريز .. وصنع الأربطة وتمريض الجرحى . وادخال التسلية على قلوب الناقهين . . .

واصغت سكارليت الى كل هذه الحجج . وابتسمت . ولم تقطع برأى . وارجأت قرارها حتى ترى كيف ستكون حياتها فى (اتلانتا) .

وقد مكنتها الأقامة بين أهل شارل . وفى البيت الذى نشأ وترعرع فيه من أن تفهم المزيد من أمر هذا الشاب الذى جعل منها زوجة وارملة واماً بمثل تلك السرعة . . وتدرك لماذا كان المسكين حيياً خجولا . . . قليل الثقة بنفسه . .

والواقع . . لو أن شارل قد ورث عن أبيه شيئا من شجاعته . . .

وجسارته . . ورجولته . . فان هذه الصفات جميعا كانت جديرة بان تنمحى فى جو الأنوثة الذى نشأ فيه وترعرع . . ذلك لأنه كان شديد الاخلاص والطاعة لعمته بيتى . . وكانت صلته بميلانى اوثق مما ينبغى أن تكون الصلات بين الأخوات .. ولم يكن فى الدنيا انس قيادا .. واكرم نفسا . . وأرق قلبا . من العمة بيتى وميلانى . . فنشأ على غرارهما ولم يجد من نفوذهما مايدعم رجولته . . وقضى أيام الطفولة والشباب فى بيت اكثر نعومة من وكر الطير . . بيت يفتقر الى رائحة التبغ والخمر . . والى الصوت الجهير يأمر فيطاع . . والى مظاهر الكد والنشاط والنضال . .

« • »

وفى هذا البيت الهادىء . وفى هذا الجو الوديع ورعاية ميلانى والعمة بيتى .. تخلصت سكارليت من ضجرها . . واستردت صحتها .. وعاودها نشاطها وحيويتها .

والواقع . . كانت ميلانى وعمتها تتفانيان فى ارضائها واسعادها . . وتتناسيان احزانهما لترفها من حزنها وتهتما بثيابها وطعامها ونزهتها . . وبكل صغيرة وكبيرة تتصل برفاهيتها .. وعلى الرغم من ذلك . . كان من المتعذر على سكارليت أن تقاوم شعورها نحوهما

كانت تحتقر العمة بيتى لسذاجتها وبلاهتها وتمقت ميلانى مقتا أخذ يشتد مع مرور الايام .. حتى كانت تضطر فى بعض الاحيان أن تغادر الغرفة فجأة .. عندما تتحدث ميلانى عن اشلى .. أو عندما تتلو رسائله بصوت مرتفع على أن الحياة كانت فى جملتها سعيدة وادعة . . لاينغصها بالنسبة إلى سكارليت الا وجودها تحت سقف واحد مع المرأة التى تزوجها أشلى . . والا عملها فى المستشفى .

كانت تمقت التمريض .. ولكنها لا تجد مفراً من أداء الواجب الذى اضطلعت به على سبيل التسلية . . بينما اضطلعت به سائر نساء (اتلانتا) وفتياتها . . . بحماسه تقترب من التعصب ..

وقد انضمت الى كل من اللجنة التى ترأسها مدام باركر واللجنة التى ترأسها مدام ميد .. ومعنى ذلك انها كانت تعمل فى مستشفيين أربعة أيام فى

الاسبوع . . من الصباح الباكر حتى المساء . . فى جو تنبعث منه رائحة الجروح العفنة .. والاشلاء الممزقة .. وبين وجوه بيضاء من فعل الالم . . أو صفراء من فعل الملاريا ..

وكان من المحتمل أن تصبر على هذا العمل المقيت .. لو انه سمح لها كذلك بأن تستخدم جمالها وفتنتها للترفيه عن الناقهين . . فقد كان بين هؤلاء كثير من الشباب ذوى الطلعة الحسنة . . والاصل النبيل . . ولكن ذلك كان محظوراً عليها لانها ارملة ولان العناية بالناقهين كانت موكولة الى الفتيات اللاتى منعن من التمريض حتى لاتقع عيونهن على مناظر تخجل العذارى .. وقد استطاعت أكثر اولئك الفتيات — وجميعهن دون سكارليت جمالا وفتنة — أن يجدن لانفسهن أزواجا بين الناقهين

« * »

وفى أحد الأيام .. كانت النساء الثلاث يتناولن طعام الافطار حين فوجئن بزيارة مدام باركر . . ومدام ايلزنج .

وكانت الأولى تشتغل منذ بضعة أيام فى اعداد سوق خيرية لمساعدة المستشفيات .. وقد أضافت سكارليت وميلانى الى معروضات السوق طائفة من الأشغال اليدوية سهرتا فى صنعها بضع ليال . . وكان من أعز أمانى سكارليت ان تشهد هذه السوق والحفلة الراقصة التى ستتلوها .. ولكنها اكتشفت ان ذلك يكاد يكون مستحيلا . . لأنها مازالت ترتدى ثياب الحداد . . وما تزال فجيعتها فى زوجها ماثلة فى الأذهان .

قالت مدام باركر وهى تنقل البصر بين النساء الثلاث :

— قد أذيعت الآن قائمة الخسائر .. وكان اسم مستر والاس ما كلير بين الجرحى .

فهتفت العمة بيتى :

— مسكين . . وهل اصابته خطيرة .؟

فقلبت مدام باركر شفتها وقالت :

— لا أعلم .. انما المهم ان زوجته وابنتيه قد رحلن الى الشمال لاحضاره ويجب أن نجد الآن من يحل محلهن فى حفلة هذا المساء . . اصغى إلى يابيتى

وأنت ياميلانى . . انى أعتمد عليكما للخروج من هذا المأزق .

فهتفت العمة بيتى بلهجة الاستنكار :

— ولكن . . أنت تعلمين اننا لانستطيع الاشتراك فى مثل هذه الحفلة . .

فصاحت مدام باركر فى ضجر :

— لاتقولى انك لاتستطيعين . . اننا لانريدك على أن ترقصى . . ستكون كل مهمتك مراقبة الزنوج الذين يقدمون المرطبات . . وكل مهمة ميلانى أن تشترك فى بيع العروضات .

فقالت ميلانى :

— ولكننا لانستطيع ان نفعل ذلك . . انه لم ينقض على موت شارل اكثر من . .

فقاطعتها مدام باركر :

— انى افهم شعوركما ولكنى افهم كذلك انه لاتوجد تضحية تعز على الوطن . .

— اننا على استعداد لبذل كل معونة . . ولكن العمل فى مقدورنا تدبير بعض الفتيات الحسان للنهوض بهذا العمل ؟ !

فقلبت مدام باركر شفتها وقالت :

— لست ادرى فى الحق ماذا اصاب فتياتنا فى هذه الأيام . انهن لايعرفن الواجب . ولايقدرن التبعات . . وقد ذهبن جميعا يتنحلن الاعذار بيد انى اعرف السبب الحقيقى . انهن يخشين أن يحول عملهن فى السوق دون اشتراكهن فى الحفلة الراقصة . ويخشين فى الغالب أن تحجب الموائد ثيابهن الانيقة . . كم اتمنى لوأن ذلك المهرب . . ماذا يدعى ؟ !

فاجابت مدام ايلزنج :

— انه يدعى الكابتن بتلر

— آه . . نعم . . الكابتن بتلر . . كم اتمنى لوانه عنى بتهريب المزيد من الادوية والعقاقير وحاجات المستشفيات . واقتصد فى تهريب الازياء الجديدة وادوات الزينة ! ! والآن يا (بيتى) ان الوقت لايتسع للجدل . .

لابد أن تأتى . . سوف يفهم كل انسان غايتك النبيلة من الاشتراك فى الحفلة . .

فقالت سكارليت وهى تصطنع الجد والاهتمام :

— اظن اننا يجب ان نذهب ياعمتاه . . فذلك اقل مانستطيع عمله من اجل المرضى . . والمستشفيات . .

ولم تكن مدام باركر قد ذكرت اسمهـــا أو وجهت اليها الدعوة . . أو خطر لها رغم ورطتها أن تلتمس لمثل تلك الحفلة العامة معونة أرملة لم يمض على موت زوجها أكثر من عام . فنظرت إلى سكارليت بحدة . . ولـكن هذه احتملت النظرة ببساطة . وسذاجة . واستطردت :

— نعم . . أظن انه ينبغى علينا أن نساعد على انجاح هذه الحفـــلة الخيرية . . وسأشترك مع ميلانى فى بيع المعروضات . . فما قولك فى ذلك يا ميلانى ؟ ؟

كان الظهور فى حفلة عامة بثوب الحداد أمراً لا تستطيع ميلانى أن تهضمه أو تتصوره . . ولـكنها لمحت الرغبة الـكامنة فى نفس سكارليت . . فهزت كتفيها وأجابت :

— على رسلك . .

. . .

وفى المساء . . وقفت سكارليت خلف احدى موائد الهدايا والمصنوعات المعروضة للبيع . . وهى لا تكاد تصدق حواسها . . ولـكن الشموع كانت تسطع أمام عينيها . . والقاعة الفسيحة المزينة بكل أنواع الزهور تزخر بالرجال والنساء من جميع الطبقات . . وفرقة الموسيقى تعزف بالانغام الشجية . . والقوم يترنمون بأرق الأناشيد الوطنية . . فلم يكن ثمة شك فى انها حفلة عامة . . وحفلة من أعظم وأبهج ما رأت (اتلانتا) .

غاصت فى أحد المقاعد وراء المـائدة . . وراحت تتأمل الفتيات وهن يخطرن فى ثيابهن البديعة . . التى يرجع الفضل فى وجودها إلى جرأة الـكابتن بتلر . . المهرب المشهور . . الذى عرف كيف يتحـدى الحصار البحرى ظيلة الشهور الأخيرة . . وكيف يجلب لجيش الجنوب الأسلحة

والذخائر . . ولنساء الجنوب أحدث الأزياء . . وأجمل أدوات الزينة .

ولم تتمالك . . وهى ترى الوجوه الضاحكة . . والعيون الفاتنة والثياب الأنيقة التى تكشف عن سواعد الفتيات وظهورهن . . من أن تشعر بالحقد على زوجها الشاب . . الذى أورثها الحداد . . وختم حياتها حين كان يجب أن تبدأ . .

على أن جو القاعة كان مشحونا بشىء لم تفهمه سكارليت . .

رأت فى وجوه القوم وفى نظراتهم وحركاتهم حماسة لم تشعر بها . . ولم تجد لها صدى فى نفسها . . ولاحظت بقلب حزين انها لاتشاطر أولئك النسوة الفاتنات خيلاءهن . . واستعدادهن لتضحية كل شىء فى سبيل قضية الوطن . . فقضية الوطن لاتعنى بالنسبة اليها شيئا . . والحرب ليست فى نظرها إلا مذبحة عامة يقتل فيها الرجال بغير شفقة . وتنفق فيها الأموال بغير حساب . . وتهدر فيها راحة النساء . ومتعهن . ومباهجهن . .

ترى ماذا يقول القوم اذا أدركوا مايدور بخلدها . . ويعتمل فى نفسها . . وكم تكون دهشتهم اذا وقفت فوق المائدة وهتفت بأن الحرب يجب أن تضع أوزارها . . لكى يعود كل انسان الى بيته وأسرته . . وحقله . . ويعود السلام . . وتعود الحفلات ! ! !

ولكن ماشأنها هى والحفلات ! ! !

لقد انتهت حياتها . . . . فهى ليست عذراء لكى ترقص وتغازل . . وليست زوجة . . لكى تجلس مع الزوجات . وتنتقد العذارى الراقصات . . . . وليست من الكبر لتكون أرملة .

وهاهى جالسة فى أحد الاركان . . تنظر حولها كالبقرة . وعلى جسدها الغض ثوب أسود لاتزينه حلية . . لا لشىء إلا أن شارل هاملتون أصيب ببرد ومات ، وليته مع ذلك مات فى ميدان القتال . اذن لوجدت بعض العزاء فى الاشادة ببطولته . والتفاخر ببسالته ! !

* * *

وانتبهت من تأملاتها فجأة . . وهى تشعر شعورا غامضا بان هناك من يرقبها .

ووقع بصرها فى الحال على رجل طويل القامة أسمر الوجه ، عريض الكتفين . أنيق الثياب . . قد وقف على كثب منها . وراح يلتهم وجهها بعينين ناهبتين . . وفى نظراته معنى القحة . والسخرية .

وخيل لسكارليت أنها تعرف هذا الرجل . ولكنها لم تذكر على وجه التحقيق من هو . . وأين قابلته .

على أنه كان أول رجل منذ بضعة شعور . رمقها بمثل هذه النظرة . . وأبدى نحوها مثل هذا الاعجاب . وهذا الاهتمام . فابتسمت له ابتسامة مرحة . . قابلها باحناء قامته . حتى كاد رأسه ان يمس ركبتيه .

ولكنه ما كاد يرفع رأسه . ويمشى نحوها برشاقة الهنود الحمر . . حتى رفعت يدها الى فمها . . لتكتم صيحة ذعر . أوشكت أن تفلت من شفتها . ذلك لأنها عرفته . .

وكان أول ماخطر لها أن تطلق ساقيها للريح . وتلوذ بقاعة المرطبات . ولكن الذعر شل حركتها . وسمرها فى مكانها حتى وقف الرجل أمامها وجها لوجه .

قال فى أدب :

— لم يكن لى رجاء فى أن تذكرينى يا آنسة اوهارا .

كان صوته هادئا .. يسر الأذن أن تسمعه . . فنظرت اليه سكارليت ضارعة .. واحمر وجهها خجلا وحياء .

لم يخطر ببالها قط حين جاءت إلى هذه الحفلة .. انها سترى من دون الناس جميعا ذلك الرجل المقيت .. الذى شهد موقفها الأخير مع أشلى ويلكس . .

وكانت ميلانى تجلس أمام المائدة المجاورة . فما كادت تسمع صوت الرجل حتى حولت وجهها .

ولأول مرة فى حياتها حمدت سكارليت الله على وجود غرمتها .

هتفت ميلانى وهى تبتسم وتبسط يدها الى الرجل :

— يا إلهى .. من ذا الذى أرى ؟؟ مستر رايت بتلر.. اليس كذلك .. إننا تقابلنا فى . .

فأكمل عبارتها . . وهو ينحنى فوق يدها :

— فى ذلك اليوم السعيد الذى أعلنت فيه خطوبتك . . لقد كان كرما منك أن تذكرينى . .

— وماذا جاء بك إلى (اتلانتا) يامستر بتلر ؟ ؟

— يخيل إلى أننى مضطر إلى التردد على هذه المدينة بين وقت وآخر . فقد وجدت انه ليس يكفى أن أحضر البضائع . . بل يتعين على كذلك أن أشرف على توزيعها . .

فقطبت ميلانى حاجبيها ورددت :

— تحضر البضائع . .

ثم أشرق وجهها فجأة بابتسامة مرحة واستطردت :

— هل أنت الكابتن بتلر المشهور الذى سمعنا عنه كثيرا فى هذه الأيام ؟! يا إلهى . . ان كل فتاة هنا تدين لك بالثوب الذى ترتديه . . هذا هو محطم الحصار يا سكارليت . . الا يسرك ان . . ماذا بك ؟؟ هل أنت مريضة ؟ !

وأحست سكارليت بالقاعة تدور حولها . . وبالارض تميد تحت قدميها . . فتهالكت فى مقعدها . وأخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة . .

وخف اليها بتلر وهو يقول بلهجة جدية . . دون أن تنطفىء من عينيه جذوة المرح والسخرية :

— ان الجو خانق هنا . فلا عجب اذا أصيبت الآنسة (اوهارا) بدوار . . هل ارافقك الى النافذة يا آنسة ؟

فاجابت سكارليت بخشونة ادهشت ميلانى :

— كلا .

قالت ميلانى :

— ان اسمها الآن مدام هاملتون . .

ورمقت سكارليت بنظرة تفيض عطفا وحنانا . .

فقال بتلر :

— وهل يساهم زوجا كما فى هذه الحفلة ؟! سيكون من دواعى سرورى

ان أجدد التعارف معهما .

فرفعت ميلانى رأسها بكبرياء وأجابت :

— ان زوجى يقاتل فى (فرجينيا) . . أما شارل . . .

وتهدج صوتها . . فقالت سكارليت باقتضاب :

— انه مات فى ميدان القتال .

فهتف بتلر فى تأثر :

— أرجو المعذرة . . فلم يبلغنى نبأ هذه الكارثة . . ولكن اسمحا لى ان اقول لكما ان من يموت فى سبيل وطنه هو حى أبداً . . وحسبكما ذلك عزاء

فابتسمت ميلانى رغم الدموع التى تملأ عينيها . . وأحست سكارليت بالغضب والكراهية ينهشان قلبها .

كانت عبارته لبقة . . ومن الطراز الذى تنتظره المرأة من الرجل المهذب فى مثل هذا الموقف . . ولكنها شعرت بانه لايعنى كلمة مما يقول . . وبان وراء هذه اللباقة سخرية سافرة من شخصها . . ومن شعورها . . فقد كان يعلم علم اليقين انها لم تحب زوجها قط

* * *

وأقبلت جماعة من الفرسان لابتياع بعض المعروضات . . فانصرفت ميلانى الى خدمتهم . . وبقيت سكارليت فى مكانها لا تجسر على التطلع الى وجه الكابتن بتلر

سألها فى رفق :

— هل مات زوجك منذ وقت طويل ؟ !

— نعم . . منذ عام تقريبا .

— معذرة عن فضولى . . فقد انقطعت الصلة بينى وبين أرض الوطن بعض الزمن . . هل دامت حياتكما الزوجية طويلا ؟ !

فأجابت على كره منها :

— لم تتجاوز الشهرين . .

— هذه مأساة بغير شك . .

قبحه الله . . لو لم يعلم سرها لعرفت كيف تصعقه بنظرة . . أو بكلمة

ولكنها كانت موثقة اليدين .. لا تستطيع الا أن تبتلع غضبها وتصمت .

سألها :

— وهذا أول عهدك بالظهور فى احدى الحفلات بعد وفاته ؟

فأجابت بسرعة :

— اعلم انى خرقت التقاليد المألوفة . . ولكن بعض الفتيات اعتذرن فى آخر لحظة . . فتطوعت مع ميلانى لأداء . .

فقاطعها :

— لقد احسنتما صنعا .. فليست هناك تضحية تعز على الوطن .

كانت قد سمعت هذه العبارة من مدام باركر . . وكان لها وقتئذ معنى آخر . . أما الآن . . فقد خيل اليها انها تنطوى على سخرية جارحة .

قال بلهجة المتأمل :

— كنت دائما أرى ان تقاليد الحداد عندنا . . التى تفرض اللون الأسود على الأرملة بقية حياتها . . وتحرم عليها ضروب التسلية واللهو البرىء .. .. لاتقل قسوة ووحشية عن تقاليد الهنود . . . . هل تعلمين ماذا يصنع الهنود بالأرامل ؟ !

فهزت رأسها . . واحمر وجهها خجلا من جهلها . .

كانت تكره من يحدثها فى أمر لاتعرفه . .

قال :

— ان الموتى فى الهند يحرقون . . . ولا يدفنون . . واذا مات الزوج تعين على امرأته ان تلقى بنفسها فوق الجثة لتحرق معها . . .

— ما أفظع هذا ؟ ! ولماذا يفعلون ذلك ؟ ؟ وهل يقف رجال البوليس مكتوفى الأيدى ؟ !

— تلك هى تقاليدهم . . . والزوجة التى لاتحرق نفسها . . . ينبذها ذووها . . ويلفظها المجتمع . . وتتحدث عنها السيدات المحترمات . . . كما يتحدثن عن امرأة متبذلة . . . وكما يمكن ان تتحدث عنك النساء لو انك جئت الليلة فى ثوب أحمر . . . وافتتحت حفلة الرقص . .

وأنا شخصيا أعتقد ان تقاليد الهنود أهون وأرحم من تقاليدنا التى

تدفن الأرامل وهن على قيد الحياة

— كيف تجسر على القول بانني دفنت حية ؟ !

— ماأشد حرص النساء على السلاسل التي تكبلهن ! ! قد يخيل اليك ان تقاليد الهنود متناهية فى القساوة . . ولكن حدثيني هل كنت تجدين الشجاعة على الظهور فى هذه الحفلة . . لو لم يكن الوطن بحاجة الى خدماتك ؟

« * »

ولم يكن لها جلد على مثل هذا الجدل . . ولكنها شعرت شعورا مبهما بان حديثه لايخلو من الصدق . .

اجابت :

— كلا . . طبعا . . والا كان ذلك اهانة لذكرى ... والا توهم الناس انني لم اكن احب ...

واستقرت عيناه الساخرتان على شفتيها . . فلم تقو على اتمام عبارتها . .

كان يعلم انها لم تحب شارل . . ولايمكن ان يخدعه رياؤها اذا زعمت غير ذلك . .

ياالهي . . ماأقسى ان تجد المرأة نفسها تحت رحمة رجل لا يعرف معنى الادب واللياقة . !

ان الرجل المؤدب يتظاهر دائما بتصديق المرأة . حتى ولو علم انهـــا تكذب . .

قال دون أن يحول عينيه عن شفتيها :

— تكلمي . . تكلمي . . انني انتظر بفروغ صبر . .

فاطرقت برأسها . وغمغمت :

— الحق انك وغد . .

فاسند مرفقيه على المائدة . . وهمس :

— لاتخافي ايتها الحسناء . . ان سرك الأثيم فى مأمن معي .

فهمست فى حدة :

— قبحك الله . . كيف تقول كلاما كهذا . .

— لقد اردت فقط أن ازيل مخاوفك . . وأريح بالك . ماذا كنت

تريدينى أن أقول غير ذلك ؟ . هل أقول « أيتها الانثى الجميلة .. أسلميني نفسك والا فضحت سرك ؟ »

فنظرت اليه . ورأت فى عينيه نظرة دعابة وعبث . كنظرات الطفل الشرير . ولم تتمالك من أن تضحك .

* * *

وفى هذه اللحظة . صمتت الموسيقى فجأة . وساد السكون .. وتحولت الانظار الى حيث وقف الدكتور (ميد) فوق منصة مرتفعة .. وتهيأ للكلام ..

قال بصوته الهادىء الرزين الذى طالما أشعل الحماسة فى قلوب سامعيه :

— يجب علينا جميعا أن نشكر السيدات الفضليات اللائى هيأن بجهودهن النبيلة ووطنيتهن الملتهبة أسباب النجاح لهذه السوق الخيرية .

فارتجت جوانب القاعة بالتصفيق . واستطرد الدكتور :

— انهن لم يدخرن وقتا ولا جهدا . وهذه الأشياء الجميلة المعروضة على المزائد . يتضاعف جمالها فى ناظرنا . لأنها صنعت بايدى نسائنا الفاتنات

ورددت الجدران مرة أخرى دوى التصفيق والهتاف .

قال الطبيب :

— ولكن كل ذلك لا يكفى .. وأولئك السيدات النبيلات اللائى يتعهدن مستشفياتنا .. ويرفهن عن جنودنا .. ويضمدن جروح أبطالنا .. يعرفن حق المعرفة مانحن بحاجة اليه .. ولا سبيل الآن لتعداد حاجاتنا .. ويحسن أن أقول إنه يجب علينا أن نحصل على مزيد من المال لابتياع الادوية والعقاقير .. ومنكم أطلب هذا المال .

انى اسألكم التضحيـــة .. ولكنها تضحية ضئيلة تافهة اذا قيست بتضحيات رجالنا البواسل فى ميادين القتال

أيتها السيدات .. انى أطلب حليكن . الوطن يطلب هذه الحلى .. وأنا واثق أن مطلب الوطن لن يقابل بالاعراض .

ما أجمـــل بريق الذهب وتألق اللآلىء على أجياد الحسان ! ! ولكن

التضحية أجمل من كل ما على الأرض من ذهب ولآلئ .

سنبيع اللآلئ . .وسنصهر الذهب . . وســـنبتاع الادوية والعقاقير لنجدة الابناء البررة الذين خفوا لنجدة الوطن .

ايتهـا الآنسات والسيدات . . سيمر بكن الآن اثنان من جرحانا البواسل . . وفى يد كل منهما سلة . . فمن ..

وضاع صوته وسط عاصفة من الهتاف والتصفيق

« • »

وكان اول ماحست به سكارليت عقب نداء الدكتور (ميد) هو الشعور العميق بالارتياح .. فقد كانت بحكم الحداد لاتتزين بشىء من حليها الثمينة ..

وبدأ الجنديان الجريحان طوافهما بالحاضرين . . وابصرت سكارليت بالفتيات والسيدات يتزاحمن حولهما . ويتعاونن على خلع اقراطهن وأساورهن ويعطين الوطن . . دون ان يفخرن بما اعطين . ومضى احد الجنديين حتى اقترب من مائدة سكارليت . ولما مر بالكابتن بتلر .. وضع الكابتن يده فى جيبه بقلة اكتراث .. والقى فى السلة علبة تبغ ذهبية ثمينة ووقف الجندى امام سكارليت . . فقلبت يديها دلالة على انها لاتملك شيئا تستطيع ان تهبه . . وخالجها شعور بالحرج والحيرة . . لانها الشخص الوحيد الذى لم يعط . .

وفجأة . . وقع بصرها على خاتم الخطوبة الذى يزين اصبعها . . ومرت بها لحظة . حاولت فيها أن تذكر وجه شارل . . وكيف كان منظره حين وضع هذا الخاتم فى اصبعها . . ولكنها لم تجد فى ذاكرتها الاصورة باهتة مضطربة . . يكاد يمحوها شعورها بالضجر والسخط . . وهو شعور كان دائما يلازم ذكرى هذا الزوج الذى انهى حياتها قبل الاوان وفرض عليها الشيخوخة وهى لاتزال فى ربيع الحياة . .

وهم الجندى بالانتقال الى حيث كانت ميلانى فهتفت به :

— صبرا . . فعندى شىء لك

ونزعت الخاتم من اصبعها . . وعندما همت بان تلقى به فى السلة مع كومة الاقراط والاساور والدبابيس واللآلئ .. اصطدمت عيناها بغتة بعينى

الكابتن بتلر . ورأت على شفتيه ظل ابتسامة . ولكنها هزت كتفيها بقلة اكتراث . . ووضعت الخاتم فى السلة

وحينئذ دنت منها ميلانى . . وضغطت على ساعدها بقوة . . وهمست وفى عينيها بريق الاعجاب والفخر والحب :

— يالك من فتاة باسلة . . صبرا ياسيدى . . فعندى كذلك شىء لك .

وراحت تعالج الخاتم الذى لم يفارق أصبعها منذ وضعه أشلى فيه .

لم يكن هناك من يعلم . . كما تعلم سكارليت . . مبلغ حرص ميلانى على هذا الخاتم . . واعتزازها به .

كان كأنه قطعة من قلبها .

نزعته من أصبعها . . واحتفظت به لحظة فى راحة يدها . . ثم وضعته فى السلة بلطف ورفق . . كأنها تشفق عليه ان تخدشه اللآلىء

وشيعت الصبيتان الجندى وهو يبتعد . . وفى عينى احداهما نظرة تحد وقلة اكتراث . . وفى عينى الثانية نظرة أبلغ من الدموع . ولم تغب النظرتان ودلالتهما عن ملاحظة الكابتن بتلر . .

قال بصوت هادىء :

— ما أكرم هذه التضحية . . وما أحراها بأن تشجع جنودنا البواسل .

فمعت عينا سكارليت . . . وغلى الدم فى عروقها . . . وتحيرت الشتائم على شفتيها . . . ولكنها كظمت غيظها فى اللحظة الأخيرة . . وسيطرت على عواطفها .

كانت كل همه ينطق بها تنطوى على السخريه والتحدى . . فنفرت غرائزها الايرلندية لمقابلة التحدى بمثله . . . . وأضجرها أن يظل سرها سلاحا فى يده لاذلالها وتحقيرها . . . وهمت بأن تضعه فى مكانه . . . . . وتصارحه برأيها فيه . . . ولكنها تذكرت كلمة قالتها أمها ذات يوم وهى أن السكر يتصيد من الذباب عادة أكثر مما يتصيد الخل . . فقررت ان تتصيد هـــذه الذبابة وتحطم كبرياءها . . . وتتخلص من مضـايقاتها الى الأبد . .

تجاهلت سخريته . . وقالت بلطف .

— شكراً لك . . ان مجاملة كهذه . . . تصـــدر عن رجل له شهرة الـكابتن بتلر يجب أن يكون لهـا وزنها ..

فدس يديه فى جيوب سرواله وقهقه ضاحكا . . وقال :

— لمـاذا لاتقولين رأيك بصراحة ... لماذا لاتقولين اننى وغد زنيم .. واننى اذا لم أغرب عن وجهك دعوت الخدم ليقذفوا بى الى عرض الطريق

وسيطرت سكارليت على غضبها مرة أخرى . وقالت وهى تبتسم :

— رويدك يا كابتن بتلر . . انك تسىء فهم كلماتى . ان كل انسان يعلم كم أنت مشهور . وكم أنت جرىء . . وكم ..

فقاطعها :

— لقد خاب رجائى فيك .

— خاب رجاءك ؟ . وكيف ؟ .

— نعم . . عندما رأيتك أول مرة . خيل إلى أننى قد وجدت أخيرا فتاة لا تمتاز بالجمال والفتنة فحسب . ولـكنها تمتـاز كذلك بالشجاعـة . . والجرأة . ولـكن واأسفاه انى أرى الآن انك جميلة فقط .

فقالت وهى تزمجر :

— هل ترمينى بالجبن ؟ .

— نعم . فانت تنقصك الشجاعة للتعبير بصراحة عمـا يدور بخلدك . وعندما قابلتك أول مرة قلت لنفسى « هاهى فتاة قل أن يوجد لها نظير انها ليست كأولئك الحمقاوات الصـغيرات اللائى يؤمن بكل ماتقوله لهن أمهاتهن .. ويخفين المشاعر التى تضطرم فى أعمـاقهن . والاحزان التى تحطم قلوبهن .. وراء باقات من معسول القول . وعذب الـكلام ان الآنسـة اوهارا فتاة بارزة الشخصية . تعرف ماتريد . وتصرح بما تريد . وتقـذف بالأوانى اذا لزم الأمر . »

فتفجر غضبها وقالت :

— اذن سأصارحك برأيى فى الحال .. لو كنت على شىء من كرم الخلق وسلامة الذوق لما خطر لك قط أن تأتى الآن وتتحدث الى . . ولأدركت اننى لا أريد أن يقع بصرى عليك . ولـكنك مخلوق قذر تفتقر الى الذوق

والكياسة . أفتظن — لأن قواربك الحقيرة تستطيع التسلل من الحصار — ان من حقك أن تأتى الى هذا المكان لتسخر من الرجال البواسل . ومن النساء اللائى يضحين بكل شىء فى سبيل قضية الوطن . . وان . . .

فقاطعها ضارعا :

— كفى . . . كفى بحق السماء . انك بدأت بداءة طيبة . . وأفصحت عن رأيك بصراحة بديعة . ولكن لا تحدثينى عن قضية الوطن . . فهذا حديث قد سئمته . وانى أراهنك على أنك آخر من . . .

— لماذا ؟ ؟ كيف علمت . .

فقاطعها بدوره :

— قبل ان يقع بصرك على . . كنت أرقبك . . وأرقب غيرك من الفتيات . . خيل الى ان وجوههن جميعا قد صبت فى قالب واحد . . وانهن جميعاً يصدرن عن عاطفة واحدة . . ويحركهن شعور واحد . . أما أنت فان لك وجها تسهل قراءته . . وقد قرأت فى قسمات وجهك انك لاتفكرين فى قضية الوطن . . ولا تعملين لخير المستشفيات . . ولا يهمك إلا أن ترقصى وتقضى وقتا طيبا . . ويضايقك انك لا تستطيعين ذلك . . كل هذا كان مكتوباً على وجهك . . فاعترفى . . ألم أقل الصدق ؟

فأجابت . . وهى تحاول ان تلم شعث كبريائها وكرامتها :

— ليس عندى ما أقوله لك يا كابتن بتلر . . انما يجب ان تعلم ان غرورك وخيلاءك . . وتبجحك بأنك أبرع مهربى البضائع . . كل هذا لايجوز لك ان تهين السيدات .

— أبرع مهربى البضائع ! ! ! هذه دعابة ظريفة . . . وانى ارجو ان تسمحى لى ببضع دقائق من وقتك الثمين لأوضح لك موقفى . . . فانى لا أريد وطنية حسناء مثلك ان تنخدع بطبيعة الخدمات التى أؤديها لقضية الوطن . . .

— لايهمنى ان أسمع ثرثرتك . . .

— ان التهريب أصبح مهنة بالنسبة الى . . . مهنة تجلب لى ربحا وفيرا . . . ولكنى لا أتردد فى هجرها . . . . اذا تضاءل ربحها . . أو قل

فما رأيك فى ذلك ؟ !

— رايى انك نفعى حقير . . كسائر أهل الشمال . .

— صدقت . . . ومن الانصاف لأهل الشمال ان اعترف بأنهم يساعدوننى على مضاعفة أرباحى . . . ومنذ أسبوعين فقط ذهبت بقواربى الى ميناء نيويرك . . . وشحنتها بمختلف البضائع . .

فهتفت وقد غلبها الفضول :

— ماذا تقول ! ؟ الم يطلقوا عليك النار ؟ !

— كلا بالطبع ياصغيرتى الساذجة . . ان بين اعدائنا كثيرين لا يضيرهم أن يربحوا بعض المال من الاتجار معنا . . فانا أذهب الى نيويرك وابتاع البضائع من ولايات الشمال . . وادفع الثمن نقدا بطبيعة الحال . . ثم أعود ادراجى فى سلام . . اليس ذلك أهون وايسر من ابتياع البضائع من انجلترا ؟ !

— ذلك لايدهشنى . . . فاهل الشمال وصوليون نفعيون من طرازك .

— وماذا يهمهم اذا أصابوا بعض الربح الحلال من الاتجار معنا ؟ ! انهم يعلمون أن ذلك لايغير من النتيجة . . وان الجنوب مصيره حتما إلى الهزيمة . . .

— الهزيمة ؟ !

— طبعا . . .

— هل لك أن تغرب عن وجهى . . . او هل من الضرورى أن اغادر هذا المكان للتخلص منك ؟ ! .

— يالك من متمردة صغيرة . .

وأحنى قامته باحترام . . . وتركها تتميز غيظا وحنقا . .

تبا له من خائن . . . إنه جدير بان يرمى بالرصاص . . كيف يجسر على أن يتوقع الهزيمة لهؤلاء الرجال المخلصين . . واولئك النساء الباسلات . . وكلهم يعملون بنفوس مطمئنة . . وقلوب عامرة بالثقة فى المستقبل . . والأمل الوطيد فى النصر والظفر .

واقتربت منها ميلانى وهمست :

— فيم كنتما تتحدثان ؟ ! ان مدام باركر لم تحول بصرها عنكما . . وانت تعلمين ياعزيزتى انها امرأة ثرثارة . . . يطيب لهـا أن تخلق اشيـــاء من لاشيء . .

فاجابت سكارليت :

— ان الرجل وغـد زنيم . . . جـــدير بان يصفعه كل من يراه . . اما مدام باركر . . فدعيها تثرثر ما طاب لها أن تفعل . . لقد تعبت من القيام بدور الراهبات . .

فهتفت ميلانى فى دهشة واستنـكار :

— ما هذا الذى تقولين ياسكارليت . . هل . . .

— صه . . ان الدكتور (ميد) يتأهب للـكلام . .

وتكلم الطبيب مرة أخرى . . فشكر السيدات على الهبـات الثمينة التى تبرعن بها عن طيب خاطر .. واستطرد :

— والآن أيها السادة .. سأفاجئكم بشيء جديدقديثيراستنكاربعضكم . ولـكنى ارجو أن تذكروا بان رائدنا هو خير المستشفيات . . . وهنـاء مرضانا وجرحانا . .

ستبدأ الآن الحفلة الراقصـة .. وانى أعلم أن كلا منكم يود أن يكون له شرف افتتاح الحفلة مع الحسناء التى يختارها لمراقصته . . فعلى من يريد أن يحظى بهـذا الشرف أن يدفع أعلى ثمن . . . . وسيضاف المال الى خزانة المستشفيات . .

فساد صمت عميق . . واحمر وجه بعض النساء . . وتبـادلت العجائز نظرات الامتعاض والاستنكار . . وفجأة . . دوى المـكان بتصفيق الضباط والجنود . . ووثبت الفتيات من مقاعدهن فى دهشة وفضول . .

وهمست ميلانى فى اذن سكارليت :

— ما أشبه هذا بما يجرى فى أسواق الرقيق . . . حيث يبـاع العبيد ويشرون ! !

فلم تحر سكارليت جوابا . . وتألقت عيناها . . وأحست بالألم يحز فى قلبها . .

لو لم تكن أرملة . . لعرفت كيف تحجب غيرها من الفتيات فى هذه الحفلة . . وتنتزع منهن شرف افتتاح حلبة الرقص . . ولتنافس عليها الفتيان . . ودفعوا فى المساومة عليها ثمنا لا يحلم به الدكتور ميد . .

ولكنها زهرة يانعة . . قدر لها أن تذبل فى ثوب الحداد . . حين كان يجب أن تبهر عيون الناظرين . . كأول حسناء فى اتلانتا .

وتأوهت . .

« • »

وبدأت المنافسة على مراقصة الحسان . . وافتتح المساومة ضابط فى مقتبل العمر . . قصير القامة . . صغير الجسم . .

هتف بصوت ثاقب وسط السكون الشامل :

— عشرون دولاراً للآنسة انابيل باركر . .

فاحمر وجه أنابيل . . واعتدلت مدام باركر فى مكانها . . وابتسم الدكتور ميد . . وتجاهل همسات العجائز . . ونظرات الاستنكار التى ارتسمت فى عيونهن . .

وكانت مدام باركر قد صرحت بلهجة قاطعة بانها لن تسمح لابنتها بان تكون سلعة فى سوق الرقص . . ولكنها ما كادت تسمع اسم أنابيل يتردد مراراً . . وما كاد المبلغ يصل إلى سبعين دولارا . . حتى خارت عزيمتها . . وكفت عن الاحتجاج . .

وارتفعت الأصوات والضحكات من كل جانب . . واحتدمت المنافسة واسندت سكارليت مرفقيها على المائدة . . وراحت ترقب هذا الجمع الحافل البهيج . . والغيرة تأكل قلبها . .

وحانت منها التفاتة الى حيث كان الكابتن بتلر . . فرأته يرقبها عن كثب . . ولكنها قلبت شفتها باحتقار ، وأشاحت بوجهها

وفجأة . . سمعت اسمها يدوى فى جوانب القاعة . .

قال صوت تعرفه حق المعرفة :

— مائة وخمسون دولارا . . ذهبا . . لمدام شارل هاملتون . .

فساد صمت عميق على أثر ذكر هذا المبلغ . . وهذا الاسم . . وتحولت

جميع الأنظار الى سكارليت التى أخذت على غرة . . فجمدت فى مكانها . . ولم تستطع حراكا .

ورأت . . وهى فيما يشبه الحلم . . أن الدكتور ميد ينحنى فوق الكابتن بتلر ويهمس فى أذنه كلاما . . ولعله يذكره بأنها تحد على زوجها . . ويستحيل عليها فى هذه الظروف أن ترقص . .

وهز بتلر كتفيه بقلة اكتراث . . ولم يجب . .

صاح الدكتور ميد :

— مائة وخمسون دولارا ذهبا . . هل من يدفع المزيد ؟ !

وساد الصمت . . فقال بتلر :

— كلا . . مدام هاملتون تفتتح الحلبة . .

وأذهل سكارليت أن تجد نفسها مرة أخرى محط الأنظار . . وموضع الاعجاب . . وخفق قلبها بشدة . . حتى خيل اليها أنه يكاد يثب من حلقها . . وخرجت من مكانها الى الحلبة وهى تتعثر فى خطواتها . . وتشفق من فرط اضطرابها أن لا تقوى قدماها على حملها . .

ولم تر . . وسط لجة الاحساسات التى تتقاذفها . . أن ميلانى ترمقها فى دهشة شديدة . . كأنها لا تصدق عينيها . .

وقابلها بتلر فى منتصف الطريق . . وعلى شفتيه تلك الابتسامة الساخرة المقيتة . . .

ولكنها لا تكترث لسخريته . . وسفالته . . . المهم انها ستفتتح الحفلة . . . وسترقص . . . وسيشرق نجمها فى المجتمع بعد أفول . .

وعزفت الموسيقى . . .

* * *

قالت له . . . وهما يذرعان الحلبة وسط الراقصين والراقصات :

— كيف جسرت على التشهير بى يا كابتن بتلر ؟ !

— لا احسبنى فعلت ايتها العزيزة اكثر من اننى حققت أمنية كانت تنم عنها حركاتك ونظراتك

— كيف جسرت على ذكر اسمى وسط هذا الحفل الحاشد ؟ !

— كان فى استطاعتك أن تعتذرى عن الرقص اذا شئت . .

— ولكن . . . ولكنى قبلت فى سبيل الوطن . . . لاتضحك . . . جميع الناس ينظرون الينا . .

— فلينظروا ماشاءوا . . ولكن لاتلتمسى من قضية الوطن عذرا . . لقد كنت تريدين الرقص فهيأت لك الفرصة . . هذا الشوط قد قارب النهاية . . اليس كذلك ؟ !

— نعم . . . ويجب الآن أن اكف عن الرقص وأعود إلى مكانى . . .

— لماذا ؟ ! هل تعبت ! ؟

— كلا . . ولكنى اشفق من لوم الناس .

— وهل يهمك ذلك حقا ؟ !

— الواقع . . .

— انك لاتقترفين اثما . . فلماذا لاترقصين معى فى الشوط الثانى . .

— اذا علمت أمى . . .

— أما زلت مشدودة الى حبال أمك . .

— قبحك الله . . ان لك طريقة عجيبة فى تحقير ما اصطلح الناس على احترامه . . .

— لو مرت بك مثل التجارب التى مرت بى . . لعلمت أن احترام الناس شىء لا قيمة له . . . هل تعلمين اننى منبوذ فى (شارلستون) وانه لايوجد فى المدينة كلها بيت واحد يستقبلنى ؟ !

— هذا مخيف ! !

— كلا . . ليس فى استطاعتك ان تعرفى معنى الحرية الا اذا فقدت سمعتك . .

ما هذا السفه ؟ !

— انه سفه . . ولكنه الحقيقة . . فى استطاعة كل انسان ان ينعم بالحياة بغير سمعة . . طالما لديه الشجاعة والمال . . .

— ان المال لايبتاع كل شىء . .

— لابد ان بعضهم قد لقنك هذه العبارة الجوفاء . . ويستحيل أن

تكون هذه الفلسفة الافلاطونية من ثمار تفكيرك . . أى شىء لا يشترى بالمال ؟ ؟ .

— السعادة . . والحب . . مثلا .

— انهما يشتريان بصفة عامة . . واذا عجز المال عن شرائهما . . فانه لا يعجز عن تدبير ما يغنى عنهما . .

— وهل تملك مالا كثيرا يا كابتن بتلر ؟ .

— يالله من سؤال ينم عن فساد الذوق ! ! ولكنى أجيبك عنه ارضاء لفضولك يامدام هاملتون . . نعم . . انى أملك ثروة خليقة بان تقر بها عين شاب بدا كفاحه فى الحياة وهو صفر اليدين . وأظن أنه سيكون فى مقدورى قريبا بفضل صناعة التهريب أن أصبح صاحب مليون من الدولارات . .

فهتفت :

— أحقا تقول ؟

— نعم . . ان أكثر الناس لايرون أن الاثراء من هدم المدنية أيسر وأهون من الاثراء من تشييدها .

— ماذا تعنى ؟ ؟

— أعنى ان أسرتك وأسرتى وكل انسان فى هذه الحفلة قد أصاب ثروة من تحويل البرارى الى مزارع . . والقفار الى مدائن . . وذلك ما يدعوه علماء المجتمع « تشييد الامبراطوريات » . فمجال الاثراء فسيح عند تشييد الامبراطورية . . ولكنه افسح عند هدمها .

— عن اية امبراطورية تتكلم ؟ ؟

— عن هذه الامبراطورية التى نعيش فيها . . امبراطورية الجنوب . . ومملكة القطن . . انها تنهار تحت أقدامنا . . والغبى من لا يرى ذلك . . وينتهز فرصة الانهيار . . انى اكدس ثروتى من الحطام . .

— واذن أنت تعتقد حقا بأننا سنهزم ؟ !

— ولماذا نشيح بوجوهنا عن الخطر وندفن رؤوسنا فى الرمال كالنعام ؟ ؟

— لقد ضقت بهذا الحديث . . الا تقول شيئا طريفا يا كابتن بتلر ؟ ؟

— هل يروقك ان أقول لك ان عينيك كبوتقتين من العاج تترقرق فيهما قطرتان كبيرتان من ماء شديد الاخضرار والصفاء . . وان . .

— كلا . . كلا . . لست ممن يجوز عليهن الاطراء . . ما قولك فى هذه الموسيقى ورقتها ؟ ! بودى ان أرقص الى آخر العمر .

— إنك أجمل راقصة احتوينها بين ساعدى .

— كابتن بتلر لا تجتذبنى اليك هكذا . . ان الجميع ينظرون الينا .

— وهل كان يهمك ذلك . . اذا لم يكن هناك من ينظر الينا ؟ !

— كابتن بتلر . . إنك تنسى نفسك .

— كلا . . كيف أنسى نفسى وأنت بين ساعدى . . ما هذه الاغنية التى تعزف الموسيقى أنغامها ؟ ! هل تعرفينها ؟

— ليست بديعة . . انها « عندما تنتهى هذه الحرب » . . ما أبرعك فى الرقص يا كابتن بتلر . . ان أكثر كبار الاجسام لا يجيدون الرقص . . وأسفاه . . قد تنقضى بضع سنين قبل ان أرقص مرة أخرى .

— بل سترقصين مرة أخرى بعد بضع دقائق . . سأدعوك للرقصة التالية . . والتالية . . وما بعدها . .

— كلا . . كلا . . لا تهدم سمعتى . .

— انها أصبحت اطلالا . . ولن تضيرك رقصة أخرى . .

— نعم . . نعم . . سأرقص . . وسأضرب عرض الأفق بكلام الناس . . لقد ضقت بالانزواء فى ركن البيت . . لا تجتذبنى اليك هكذا يا كابتن بتلر . . سأغضب إذا فعلت . .

— إن الغضب يزيدك فتنة . . سأجتذبك مرة أخرى لتغضبى . . انت لا تعلمين كم كنت فاتنة ساحرة . . يوم غضبت . . وقذفت بالآنية فى مزرعة (أوكس) . .

الفصل الثالث

قطبت العمة (بيتى) حاجبيها . ولزمت ميلانى الصمت . . وتحفزت

سكارليت للدفاع.

قالت بلهجة التحدى :

— لست ابالى بما يقول الناس . . وحسبى أننى جلبت من المال للمستشفيات اكثر مما جلبت أية فتاة أخرى فى الحفلة . . بل واكثر من ثمن المعروضات التى بيعت .

فقلبت العمة بيتى يديها فى حيرة ودهشة . . وأجابت :

— وما قيمة المال يا بنيتى العزيزة . . وأؤكد لك اننى لم أصدق عينى حين رأيتك ترقصين . . ولما يمض عام على موت شارل المسكين . . ومع من ترقصين؟ ! مع الكابتن بتلر . . الرجل المخيف ذى الشهرة السيئة . . لقد قيل لى ان اسرته نبذته وان جميع اهل (شارلستون) يتجنبونه ولا يستقبلونه فى بيوتهم ويقرنون اسمه بمأساة فتاة تعسة . .

فقاطعتها ميلانى بلطف :

— لا احسبه رديئا الى هذا الحد . . بل على العكس . . اعتقد انه رجل كريم المحتد نبيل الخلق . . ثم انه جرئ باسل . . الا ترين كيف يتحدى الاعداء وينفذ من الحصار . . و . .

فقلبت سكارليت شفتيها باحتقار وقالت :

— كلا . . إنه ليس على شيء من البسالة . . واذا كان يتحدى الاعداء وينفذ من الحصار فانما يفعل من أجل المال . . لقد صارحنى بذلك . وقال انه لايقيم وزنا لقضية الوطن. وان مصيرنا حتما الى الهزيمة. ولكنى اعترف بانه راقص بارع . .

فصمتت المرأتان دهشة واستنكاراً .. واستطردت سكارليت :

— اننى سئمت الجلوس فى البيت . . ولكنى لن أفعل ذلك بعد الآن .. واذا كان الناس قد تقولوا عنى بالأمس . . فمعنى ذلك اننى اضعت سمعتى وليس ثمة مايجب ان احسب له حسابا . . .

ولم تلاحظ انها انما تردد خواطر بتلر . .

فهتفت العمة بيتى :

— يالهى . . ماذا ستقول امك اذا علمت بما حدث . .

فذعرت سكارليت حين تخيلت ماسوف يكون من حزن امها وجزعها اذا علمت بسلوكها الفاضح . . ولكنها شعرت بالطمأنينة اذ تذكرت أن بين (اتلانتا) و (تارا) خمسة وعشرين ميلا . .

قالت ميلانى .. وهى تحيط عنق سكارليت بساعدها :

— هونى عليك ولا تنزعجى أيتها العزيزة . . انى أفهم وأقدر الحافز النبيل الذى دفعك الى فعل مافعلت ليلة أمس .. واذا تجاسر إنسان على أن يذكرك بسوء فاننى أعرف كيف أرد كيده الى نحره . . الحق ياعمتى أن من القسوة أن تقضى سكارليت حياتها قابعة فى ركن البيت . . بعيداً عن متع الحياة ومباهجها .. إنها لاتزال فى مقتبل العمر .. وربما كان من حق أنفسنا علينا جميعاً أن نشترك فى الحفلات الساهرة فى بعض الأحيان . . إن هذه العزلة التى فرضناها على أنفسنا بدافع الحزن لاتخلو من الأنانية .. ففى المدينة جنود بواسل فى دور النقاهة . . لا أهل لهم هنا ولا أصدقاء .. فماذا علينا اذا ساهمنا فى الترفيه عنهم ودعونا بعضهم الى تناول الطعام عندنا بين الفينة والفينة ؟!! كلا ياسكارليت . . لا تنزعجى ولا تحزنى . . إن زمن الحرب ليس كسكل الأزمان . . والناس لن يتناولوك بكلمة سوء . . متى فهموا الناحية الانسانية فى عملك .. ثم اننا جميعا نعلم كم كنت تحبين شارل !!!

وهمت سكارليت بأن تجيب . ولكن الباب فتح فى تلك اللحظة ودخل الزنجى (بيتر) وفى يده رسالة قدمها الى ميلانى

وقلبت ميلانى الرسالة بين يديها ثم فضتها وقرأتها بسرعة . واغرورقت عيناها بالدموع .. فصاحت العمة بيتى فى جزع :

— هل قتل اشلى ..

وأرخت ساعديها .. وتأهبت للأغماء ..

وصرخت سكارليت :

— يا الهى . .

وفر لونها . .

فقالت ميلانى :

— كلا . . . كلا . . معذرة اذا كنت أزعجتكما . . . ان أشلى بخير ..

وقد كنت أبكى سرورا . . .

ورفعت الى فمها شيئا وقبلته . .

وتبينت سكارليت ذلك الشيء . . . فاذا هو الخاتم الذى تبرعت به ميلانى فى الليلة السابقة . .

قالت ميلانى وهى تناولها الرسالة:

— خذى . . واقرئى . . يا الهى . . ما أكرمه . . وأنبله . .

ودهشت سكارليت وتناولت الرسالة وقرأت فيها :

« ان الوطن قد يكون بحاجة الى دماء رجاله . . ولكنه ليس بعد بحاجة الى قلوب نسائه . . . فتقبلى ياسيدتى هذا الخاتم عربونا لاحترامى . . . وتقديرى لشجاعتك . واعلمى أن تضحيتك لم تذهب سدى . . فقد افتديت

اعلان مفيد جدا للشعر

زيت الأناضول

اولا — زيت الأناضول يزيل القشر من الرأس ويمنع سقوط الشعر

ثانيا — زيت الأناضول يطول الشعر ويكسبه نعومة

ثالثا — زيت الأناضول — يعطى للشعر لمعانا ورونقا جذابا ودوام استعماله يمنع بياض الشعر فى حالة الكبر

رابعا — زيت الأناضول يغنى عن استعمال البريانتين والفازلين وخلافه

خامسا — زيت الأناضول رائحته زكية وثابتة جدا يغنى عن استعمال الروائح والكولنيات وخلافه

سادسا — زيت الأناضول مستخرج من أشجار ونباتات الأناضول بواسطة كماوى الأتراك بفابريقة فلوريا باستامبول

سابعا — زيت الأناضول — يوجد فقط بمحلات روائح عثمان بك نورى بالموسكى بمصر

الخاتم بعشرة أمثال ثمنه »

« رايت بتلر »

ووضعت ميلانى الخاتم فى أصبعها وقالت ووجهها المخضل بالدموع يشرق بابتسامة عذبة :

— ألم أقل لكما انه نبيل الخلق كريم المحتد ! ! وهل غير الرجل النبيل الكريم الحساسية من يفهم كم آلمنى ان أنزل عن هذا الخاتم ؟ ! يجب ان تدعيه لتناول الغداء على مائدتنا يوم الأحد ياعمتى . . . حتى يتسنى لى أن أشكره . .

« . »

ولم تفطن المرأتان الى أن بتلر لم يرد خاتم سكارليت كما رد هذا الخاتم .. ولكن هذه الحقيقة لم تغب عن فطنة سكارليت . وقد أدركت ان بتلر لم يصدر فيما فعل عن نبل وكرم كما توهمت المرأتان . . . ولكنه أراد فقط ان يدعى الى البيت . . وعرف كيف يصل الى مايريد .

الفصل الرابع

واستمرت الحرب .. واتسعت رقعتها . . وتعددت ميادينها . . وزادت شدة وهولا . . وواصل الجنوب كفاحه الباسل بنجاح . . ولكن الناس كفوا عن التهوين من شأن أعدائهم . . بعد إذ عركوا بأسهم وقوتهم . . وكانوا فى البداية يقولون « معركة واحدة تكفل لنا النصر » ولكنهم وجدوا الآن انه لا بد من معارك كثيرة قبل أن يدحروا عدوهم العنيد .

وكانت معركة (تنسى) من أشد معارك الحرب الأهلية . وأهولها . . وفيها انتصر الجنوب بقيادة الجنرال مورجان بعد قتال دام بضعة أسابيع .. ولكنهم دفعوا ثمن النصر غاليا .. فامتلأت مستشفيات (اتلانتا) وبيوتها بالمرضى والجرحى . . وتضاعف عدد اليتامى والأيامى . . وامتدت صفوف القبور خارج المدينة الى أبعد مما تصل اليه العين .

وهبطت قيمة النقد هبوطا مزعجا .. وارتفع ثمن الطعام والثياب . . واختفى الدقيق الأبيض . وقلت لحوم الأبقار والخراف حتى بات لا يأ كلها

إلا الأغنياء .

وضيق الأعداء الحصار على الموانىء . . فانقطع ورود الشاى والبن . . والحرير وسائر الكماليات . . وشعرت المستشفيات بأزمة الكينين واليودين والكلوروفورم . والافيون . ووقعت على عاتق النساء والفتيات مهمة شاقة مؤلمة .. هى غسل الأربطة الملوثة بالدماء .. لاعادة استعمالها حتى تبلى .

على أن الحرب ومتاعبها . . كانت بالنسبة الى سكارليت . بعد طول انزوائها . . ضربا من اللهو والتسلية . ومجالا للحركة والنشاط . . فلم يزعجها نقص الطعام .. ولم تضايقها ندرة الثياب .. وكلما عادت بها الذاكرة الى العام السابق والأيام الطويلة المملة التى قضتها فيما يشبه العزلة .. خيل اليها أن الزمن قد أوسع خطاه . . وأن الحياة تطوى نفسها بسرعة لا يدركها العقل . . فكل يوم يشرق على مغامرات جديدة . . وفى كل مساء تلقى عشرات من الرجال يخطبون ودها . . ويهمسون فى أذنها كلمات الاعجاب . ويقولون لها كم هى جميلة فاتنة . وكم يسرهم أن يقاتلوا .. وأن يموتوا فى سبيل الوطن الذى يضمها ..

والواقع .. أن الحرب قربت بين افهام الناس وقلوبهم .. وجمعت مختلف الطبقات والبيئات فى صعيد واحد . وبسطت العلاقات الاجتماعية بين البشر . فرأت الأمهات رجالا غرباء مجهولى الحسب والنسب يزورون بناتهن . . ويدعونهن للطعام والنزهة . ورأين بناتهن يتأبطن سواعد أولئك الرجال فى غير غضاضة أو حياء . وقد انزعجت مدام باركر ولم تصدق عينيها . وهى التى لم تقبل زوجها قط قبل الزواج . عند ما رأت ابنتها تقبل الضابط القصير القامة الذى راقصها فى الحفلة الخيرية . وكان انزعاجها أعظم . حين رفضت ابنتها أن تخجل

ورأت مدام باركر . . . كما رأت غيرها من الامهات .. ان الجنوب ينحدر نحو كارثة أخلاقية . . ولكنهن قلبن ايديهن حيرة وعجزا . . . وقررن أن اللوم يجب أن يقع على الحرب . .

وهكذا كانت الحرب بالنسبة إلى سكارليت متعة وتسلية وترويحا . .

ولم تلبث ان نسيت انها كانت زوجة ذات يوم . . وانها حملت . . ووضعت . . فقد مر بها الزواج والوضع دون أن يمسا وترا من اوتار قلبها . . وتركاها كما كانت . . فتاة حسناء . . لعوبا . . لاتقيم لمتاعب الحياة ومنا كدها ومسئولياتها وزنا . .

* * *

وفى خلال الشهور التى اعقبت الحفلة الخيرية . . كان بتلر يزورها كلما ذهب الى (اتلانتا) . . فيرافقها فى مركبته الى الاسواق والمراقص . . وينتظرها بباب المستشفى حتى تفرغ من عملها . . فيعود بها الى البيت . . واطمأنت سكارليت اليه . . وزال خوفها من ان يفضح سرها . . ولكنها ظلت تذكر دائما وبشىء كثير من القلق . . انه رآها فى اسوأ حالاتها . . وشهد موقفها مع أشلى . . وعرف خبيئة نفسها . . ولهذا كانت تضبط لسانها . . وتصمت على مضض كلما ضايقها . . وكثيرا ماضايقها . .

كان فى العقد الثالث من عمره . . وأسن من جميع العشاق الذين حاموا حولها . . فكانت تشعر بانها أمامه طفلة لاتقوى على ترويضه والعبث به . . كما طالما روضت عشاقها الاحداث وعبثت بهم . وخيل اليها ان لاشىء فى الدنيا يدهشه . . وانها لاتستطيع مهما فعلت أن تغضبه أو تخرجه عن طوره . . وذلك ما كان يزعجها اكثر من اى شىء آخر . .

وكان كلما عاد الى (اتلانتا) من احدى رحلاته . . حمل الى العمة (بيتى) مختلف الهدايا . . وقبل يدها باحترام واجلال كما يقبل احد الناس يد مليكته . . وبذلك عرف كيف يجتذب اليه قلب هذه العانس الساذجة . . وكيف يجعل زياراته لبيتها حدثا محببا مرتقبا بفروغ صبر . .

ولكن سكارليت كانت ترى ما فى سلوكه من سخرية وتهكم . .

كانت تشعر فى قرارة نفسها بانه لايحترم امرأة سوى ميلانى . . وتحس تحت نظراته الجريئة الوقحة كأنها تجردت من ثيابها . . ليس لانه يقرن نظراته بكلمة او اشارة . . وانما لأنه كان ينظر الى النساء بعينين ناهبتين وقحتين . . كما لو كن جميعا رهن اشارته . . وفى استطاعته ان ينعم بهن متى أراد

على أن هـذه النظرة كانت تختفى من عينيه حالما يتحول الى ميـلانى . . وإذا تحدث اليها . . تجرد صوته من تلك السخرية اللاذعة التى طالما أثارت حنق سكارليت وموجدتها . ودلت كل نبرة من نبراته على الاحـترام . والاجلال .

قالت له سكارليت ذات يوم :

— انني أجمل كثيرا من ميلانى . ولـكنك تخصها بالمزيد من عنايتك واحترامك .

— هل تشعرين بالغيرة ؟!

— يا للغرور !!!

— واأسفاه . كنت أرجو أن تـكون الغيرة قد وجدت سبيلها الى قلبك . انني أحترم ميـلانى لأنها تستحق الاحترام . لأنهـا امرأة مخلصة نبيلة كريمة الخلق ظاهرة السريرة لا تعرف الرياء والأنانية . انها رغم حداثة سنها سيدة عظيمة من طراز يندر أن يعثر به الانسان فى هذه الأيام

— هل تريد أن تقول انني لست كذلك سيدة عظيمة ؟

— أظن* اننا اتفقنا عنـد ما تقابلنا لأول مرة . . على أنك لست سيدة على الاطلاق .

— من السفه والاسفاف أن تتشدق دائما بتلك الغضبة الصبيانية . لقد انقضى وقت طويل على هذا الحادث وكدت أن أنساه . لولا انك تنبشه من طوايا الماضى ولا تـكف عن ترديده بين الفينة والفينة

— لا أعتقد انها كانت غضـــبة صبيانية . ولا أظن انك تغيرت كثيراً . . فانت ما زلت على استعداد لقذف الاوانى اذا عجزت عن تحقيق غرضك . . ولـكن أغراضك تتحقق بسهولة فى هذه الأيام . . ولا حاجـة بك الى تحطيم الأوانى .

— تباً لك . . انك . . لو انني كنت رجلا لدعوتك الى المبارزة . .

— لـكى يكون نصيبك القتل . . انني أصيب قطعة النقود على مسافة خمسين مترا . . فمن الخير لك ان تقنعى باسلحتك الخاصة . . كالبسمات . . والرنوات . . والقاء الأوانى . . وما يشبه ذلك

— أنت وغد ..

— هل تحسبين أن هذه الكلمة ستغضبنى وتثيرنى ! ! يؤسفنى ان أخيب رجاءك . . فليس فى وسعك ان تغضبينى إذا أسميتنى باسمى ووصفتنى بصفاتى . . وهل يضيرنى ان أكون وغدا ؟ ! نحن فى بلد حر . . ولا جناح على الرجل ان يكون وغدا متى شاء . . والمنافقون أمثالك ياسيدتى العزيزة . . هم وحدهم الذين يزعجهم ويغضبهم . . ان يوصفوا بصفاتهم الحقيقية .

« * »

وهكذا . . كانت تجد نفسها دائما عاجزة أمام برود وصفاقته . وابتسامته الهادئة . وترى أسلحة الاحتقار . والاعراض . والأهانة تتحطم فى يدها . . دون ان تنال منه منالا .

وقد علمتها تجارب الحياة . . ان أشد الناس حماسة فى الدفاع عن صدقه هو الكذاب . . وأقدرهم على وصف شجاعته هو الجبان . . ولكن بتلر لم يكن كذلك . . كان يعترف بكل ما تنعته به . . ويتحداها أن تقول المزيد .

الفصل الخامس

كان الامل فى الظفر ملأ كل قلب فى صيف سنه ١٨٦٣ . ورغم الجوع والفقر وضروب الحرمان . وأفاعيل المضاربين فى أقوات الناس .. ورغم الموت والمرض والآلام التى تركت أثرها فى كل بيت وفى كل أسرة . فقد عاد أهل الجنوب يرددون أنشودتهم القديمة « معركة أخرى ونكسب الحرب » .. وكانوا فى هذه المرة يرددونها بمزيد من الثقة والايمان . . ذلك أنهم أصابوا فوزا ساحقا فى معركة « فردريكسبورج » .. حيث أحصى الاعداء قتلاهم وجرحاهم بعشرات الالوف .. واقترن هذا الفوز بنصر آخر أصابه الجنرال «فوربست» فى ظروف عجيبة . . فقد جرد الاعداء جيشا من خيرة فرسانهم للأغارة على ولاية «جورجيا» . . وقطع المواصلات بين «تنسى» .. و « اتلانتا » وتخريب المصانع فى هذه المدينة الأخيرة التى

تعتبر مركزا أساسيا للأمدادات والمؤن . . ومفتاحا لولايات الجنوب . . وهى خطة جريئة كان من شأنها لو نجحت أن توقع الاضطراب فى مواصلات الجنوب . . وتقطع خط الرجعة على جيش الجنرال « لى » . . ولكن الجنرال « فوريست » خف الى لقائهم على رأس جيش صغير من الفرسان واستطاع بعد مناورات استمرت ليل نهار اسبوعا كاملا أن يحيط بالمغيرين من كل جانب . . ويقهرهم على التسليم .

وأحدث هذا النصر المزدوج رجة فى « اتلانتا » وسائر مدن الجنوب فاقيمت صلوات الشكر وحفلات الابتهاج فى كل مكان . . وأيقن القوم أن كفة النصر أخذت ترجح اخيرا فى ناحيتهم .

صحيح أن الاعداء كانوا يحاصرون مدينة « فكسبورج » منذ شهر مايو . . وأن ولايات الجنوب خسرت أشجع وأبرع قوادها بمصرع الجنرال « كوب » فى « فردريكسبورج » واصابة الجنرال « ستونوول جاكسون » فى « شانسلورفيل » . . ولكن كان من الواضح أن الأعداء لايقوون على احتمال هزيمة جديدة من طراز هزيمة « فردريكسبورج » . وانهم إذا فقدوا المعركة التالية . . فسيلقون السلاح . . وتنتهى هذه الحرب القاسية . .

وفى الأيام الأولى من شهر يوليه . . راجت إشاعة ايدتها البرقيات فيما بعد . . بان الجنرال « لى » قد انحدر بجيشه على « بنسلفانيا » . . ونقل الحرب إلى أرض الأعداء . . فصفق الناس جذلا . . وقالوا ان هذه هى المعركة الأخيرة . .

وجن الناس فرحا فى « اتلانتا » . . وامتزج فرحهم وغبطتهم بالظمأ إلى الانتقام .

نعم . . سيعرف الأعداء الآن معنى الحرب بعد اذ انتقلت إلى أرضهم . . سيعرفون معنى تخريب الحقول . . وسرقة الماشية . . ونهب الممتلكات . . واحراق البيوت . وسجن الشيوخ . . وتشريد النساء و الاطفال فى الطرقات .

كان كل إنسان يعلم ماذا فعل الاعداء فى « مسورى » و « كنتوكى »

و «تنسى» و « فرجينيا » .. وصغار الأطفال انفسهم يروون بلهجة البغض والفزع . . فظاعات الاعداء فى البلاد التى احتلوها . . وكانت « اتلانتا » تزخر بالمهاجرين من أهل ولايات « تنسى » . . التى استهدفت اكثر من غيرها لثقل هجوم الاعداء . . وقد بدأ المهاجرون ينادون بالانتقام . . ويطالبون بان يروا (بنسلفانيا) شعلة من النيران . .

على أنه لم يكد يذاع أن الجنرال (لى) حظر نهب الممتلكات الخاصة فى بنسلفانيا . . وفرض عقوبة الأعدام على جرائم السطو . . وقرر أن يبتاع الجيش حاجاته نقدا . . حتى ذهل الناس وجمدوا فى أماكنهم .. ولولا شهرة الجنرال . . ورسوخ قدمه فى فنه . . لطالب الرأى العام بعزله . . واحلال آخر محله . .

وتساءل الناس هل جن الجنرال (لى) . . ولماذا لايطلق ايدى جنوده فى هذه الولاية العظيمة الغنية . . وجنوده كما يعلم جياع . . وفى أشد الحاجة إلى الأحذية والثياب والجياد . .

وقد علم القوم بشقاء الجند وسوء حالهم . من رسالة تسلمها الدكتور (ميد)من ولده (دارسى) وتداولتها الأيدى .. فاثارت فى(اتلانتا) موجة غضب واستنكار . . وفى هذه الرسالة يقول الشاب لابيه : « هل لك أن تدبر لى حذاء ياأبى ؟ ! انى امشى حافى القدمين منذ اسبوعين . . ولا أمل فى الحصول على حذاء .. ولولا ضخامة قدمى . . لانتعلت حذاء أحدالقتلى من أعدائنا كما فعل زملائى .. ولكنى لا أجد بين قتلى الأعداء من له قدم كبيرة كقدمى . . وسأكتب لك فيما بعد عن مكانى ، نحن الآن فى (ماريلاند) . . والجميع يقولون إننا نقصد الى (بنسلفانيا) .

« كنا نود يا أبى ان نذيق الاعداء جرعة من دوائهم . . ولكن الجنرال (لى) يرفض . . وأنا شخصيا . لا أبالى ان أعدم رميا بالرصاص . اذا تهيأت لى فرصة لاشعال النار فى بعض بيوت الاعداء .

« لقد اجتزنا اليوم ياأبى . . أعظم حقل للحنطة وقع عليه بصرى . . ويجب أن أعترف لك . . باننا سطونا سرا على هذا الحقل لنملأ بطوننا الجائعة . ولكن الحنطة الخضراء لم تفدنا . ان أكثر الجنود يعانون من

(الدوسنتاريا) . . فساءت حالهم بعد أن أكلوا الحنطة .. وانه ليهون على الجندى فى ميدان القتال أن يفقد ساقه ولا يصاب بالدوسنتاريا .

« حاول أن تدبر لى حذاء يا أبى . لقد رقيت الى رتبة ضابط . . ولابد للضابط من حذاء . وان أعوزه الطعام والثوب الجميل »

« * »

ولكن الجيش كان فى (بنسلفانيا) . . وذلك هو المهم . . نصر آخر وتنتهى الحرب . ويحصل دارسى ميد على مايريد من الأحذية . . ويعود الشباب الى بيوتهم . ويهنأ كل انسان .

« * »

وفجأة . . صمتت أسلاك البرق .. وانقطعت أنباء جيش الشمال .

واستمر هذا الصمت يومين كاملين . . ثم بدأت الانباء تتسرب الى (اتلانتا) عن معركة عنيفة تدور فى بنسلفانيا بالقرب من مدينة (جنسبورج) . وقيل ان الجنرال (لى) قذف الى هذه المعركة بكل قواته وحازف بكل جيشه :

ومر يومان آخران ، دون أن يرد نبأ من جبهة القتال . فاستحال القلق الى ذعر . وهرع الناس الى الكنائس وتمنوا على الله أن لا يكون أبناؤهم فى (بنسلفانيا) . أما أولئك الذين كانوا يعلمون أن أبناءهم زملاء لدارسى ميد . . فانهم رفعوا رؤوسهم كبرا وخيلاء . وقالوا إن من الفخر لأبنائهم أن يخوضوا المعركة التى سوف تمحو الأعداء وتبيدهم .

. . .

وجلست النسوة الثلاث . . ميلانى وسكارليت والعمة بيتى . يتبادلن نظرات الخوف والجزع .. ولم تقو إحداهن على الكلام .

كان أشلى فى فرقة دارسى ميد .

« . »

وفى اليوم الخامس .. وردت اسوأ الأنباء . . ولكن من جبهة الغرب لا من جبهة الشمال . . فقد سقطت (فكسبورج) بعد حصار طويل مؤلم . وبسقوطها أصبح وادى (المسيسبى) من (سانت لويس) الى (نيو أورليان)

الرّجل الخفي

تأليف هـ . ويلز وتعريب الاستاذ اسماعيل كامل

٣٢٠ صفحة — **٥٠** مليما

لاغنى عن الترجمة الحرفية لضمان النجاح

الكمية محدودة فاحجز نسختك من الآن

تصدر الترجمة الحرفية للروايات الثلاث المقررة على طلبة الثقافة هذا العام :

يوم الاربعاء
٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٠

فِرُوزُو

يوم الاربعاء
٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٠

تأليف انتونى هوب وتعريب الاستاذ محمود عزمى حسيب

و

رُوبَرتا فِنتزو

تأليف انتونى هوب وتعريب الاستاذ شفيق اسعد فريد

فى قبضة الأعداء . . وانشطرت ولايات الجنوب إلى شطرين .. ولو جاءت هذه الأنباء فى وقت آخر لتقوبلت بما تستحق من الخوف والهلع . . ولكن الناس كانوا فى شغل بجيش الجنرال (لى) . ولن يصبح سقوط (فكسبورج) كارثة خطيرة اذا استطاع « لى » أن يكسر الأعداء فى (بنسلفانيا) . ويشق طريقه الى (فيلادلفيا) و (نيويورك) و (واشنجتون)

. . .

ومرت الساعات ببطء .. وخيم على (اتلانتا) سكون محزن . وانعقدت جماعات الناس أمام أبواب البيوت والحوانيت . . وراحوا يتفسون عن أنفسهم . ويشجعون بعضهم بعضا .. الى ان سرت فى المدينة كالبرق اشاعة مخيفة . . تقول إن الجنرال (لى) خسر المعركة وقتل . . وأن الخسائر فى الأرواح فادحة لم يسبق لها مثيل وان قائمة باسماء القتلى ستذاع بعد قليل فارتجت المدينة . واكتسحتها موجة ذعر وهلع . . وفزع الناس الى ادارات الصحف ومحطات السكك الحديدية . ومكاتب التلغراف يطلبون الانباء الصحيحة . . أية أنباء . . طيبة أو سيئة . . وهرعت النساء الى الشوارع ممتقعات الوجوه . شاردات اللب . يسألن كل عابر سبيل عما عنده من الانباء .

لم يكن فى (اتلانتا) بيت واحد لم يرسل الى هذه المعركة ابنا .. أو أخا أو أبا . . أو زوجا . . فهرعت النساء الى مصادر الأنباء . ليعلمن أن الموت قد دخل بيوتهن . وانتزع أعزاءهن .

كن جميعا ينتظرن الموت . ولكنهن لا يتوقعن الهزيمة أو يفكرن فيها وربما كان رجالهن وفتيانهن يحتضرون الآن تحت وهج الشمس . . فوق أعشاب بنسلفانيا . وربما كان الجيش يتراجع وينهار . . ولكنهن واثقات مؤمنات . بان الوطن لا يمكن أن ينهار . وقضيته لا يمكن أن تضيع

« . »

وقبعت سكارليت وميلانى والعمة بيتى فى مركبة أمام جريدة « الديلى كزاميتر » وانتظرن صدور قائمة القتلى .

وكانت سكارليت ممتقعة الوجه . . شاردة اللب . والعمة بيتى ترتجف

كالريشة فى مهب الريح . وأنفها الاحمر الصغير يرتعش كأنف الارنب . . أما ميلانى . . فكانت جامدة فى مكانها كتمثال من الرخام . لا تأتى بحركة ولا تنطق بكلمة .

كل ما قالته خلال ساعتين انها همست فى رفق :

— تستطيعان ان تنصرفا . . اذا شق عليكما الانتظار . . أما أنا فلن أبرح هذا المكان حتى أعرف ما . . حتى أعرف الحقيقة . .

ولكن لم تكن هناك قوة تستطيع ان تزحزح سكارليت الى مكان لاتكون فيه أول من يتلقى نبأ عن أشلى . .

« . »

وانهن فى الانتظار . . اذا بالكابتن بتلر يحمل اليهن نبأ ورود القائمة الأولى الى الجريدة . .

وبعد نصف ساعة أخرى . . فتح باب الجريدة . . ولاحت الصفحات التى تتضمن اسماء القتلى . . فاندفعت الجماهير المحتشدة الى الأمام . . واقتتلت فى سبيل الحصول على نسخة من القائمة . . أو قطعة من نسخة . . وحينئذ وثب الكابتن بتلر عن ظهر جواده . . وألقى بنفسه بين الحشد . . ورأت النسوة الثلاث كتفيه العريضتين القويتين تدفع الجموع ذات اليمين وذات اليسار . . وما هى إلا دقيقة حتى ارتد وفى يده حزمة من نسخ الجريدة . فألقى نسخة الى ميلانى . . ووزع بقية النسخ على السيدات اللاتى كن ينتظرن فى مركباتهن . . وبينهن مدام باركر . . ومدام ميد . . ومدام ايلزبج . .

وصاحت سكارليت وقلبها يكاد يثب من حلقها :

— اقرأى ياميلانى . . اقرأى بسرعة . .

ولكن الصحيفة كانت ترتجف بشدة فى يد ميلانى . . فكانت القراءة مستحيلة . .

همست :

— اقرأى أنت ياسكارليت . .

فاختطفت سكارليت الصحيفة . . والقت بصرها على الأسماء

وهى تهتف :

— أشلى ويلكس . . أين حرف (الواو) . . ويليمز . . وين . . زيبريج . . . . وافرحتاه . . لايوجد اسم ويلكس . . انجدى العمة بيتى ياميلانى . . لقد أغمى عليها .

فاحتوت ميلانى عمتها بين ساعديها . . ودموع الفرح تنهمر من عينيها .

وأقبلت سكارليت على ميلانى تضمها الى صدرها . . وقلبها يرقص طربا حمداً لله . . ان أشلى لايزال على قيد الحياة .

وسمعت على مقربة منها صيحة ألم . . فرفعت رأسها . . ورأت أنابيل باركر تتهالك بين ساعدى أمها . . فتلاشت الابتسامة عن شفتيها . وهمست :

— واأسفاه . . قد مات خطيبها . . .

ثم وقع بصرها على مدام ميد . . وهى تقرأ القائمة بقلق . . وتقاطيع وجهها الشاحب تدعو الى الاشفاق . . فهمست :

— رباه . . رحمة بها .

ونظرت فى القائمة التى بين يديها . . وقرأت اسم (ميد) . (دارسى ميد)

والتقت عيناها بعينى الأم الثكلى . . فهمست مدام ميد :

— انه الآن ليس بحاجة الى حذاء . .

فلم تتمالك سكارليت من البكاء .

« * »

وتحركت المركبة . . بين نساء يبكين فرحا . . وأخريات ألجمهن الحزن . وادهلتهن الكوارث . . ورأت سكارليت قائمة القتلى بين يديها . . فراحت تقرأها بسرعة . . باحثة عن أسماء أصدقائها ومعارفها .

لقد اطمأنت الآن الى سلامة أشلى . . وفى مقدورها ان تفكر فى غيره من الناس .

يا إلهى . . ماذا تقرأ . . كالفيرت . . ريفورد كالفيرت . . وجوزيف

فونتان . . والكابتن لافايت . . مسكينة كاترين . . لقد فقدت اخاها وخطيبها .

وما هذا . . تارلتون . . توماس . . وبرنيت . . وستيوارت . . وبويد تارلتون . . الأخوة الأربعة ! ؟

ولم تجسر على القراءة بعد ذلك . وأشفقت ان تجد فى تلك القائمة المخيفة أسماء فتيان آخرين . . ممن نشأوا معها . . وراقصوها . . وغازلوها . . وقبلوها .

وتمنت لو ان فى استطاعتها ان تبكى بصوت مرتفع وان تفعل شيئا يريحها من تلك الاصابع الفولاذية التى تطبق على عنقها .

قال بتلر . . وكان يرافق المركبة ممتطيا جواده :

— إننى آسف لك ياسكارليت . . هل فقدت كثيرين من أصدقائك ؟

وكانت قد نسيته . . فنظرت اليه بحدة . . وأجابت فى حزن :

— لا توجد أسرة أعرفها لم تنكب فى أحد بنيها . . وقد فقدت أسرة تارلتون أولادها الأربعة .

فقال فى هدوء . . ولا أثر للتهكم والسخرية فى صوته أو عينيه :

— وهذه هى القائمة الأولى . . وستتبعها غداً قوائم أخرى

ثم استطرد بصوت خافت

واخيرا تزوجا

قصة شاب وفتاة فى رسائل من أول نظرة الى أن تزوجا

رسائل هى

السحر الحلال

ثمن النسخة ١٠ مليمات خالصة الاجرة ـ تطلب من

مكتبة الاستقلال

بشيكولانى بشبرا بمصر

يمكن ارسال الثمن طوابع بريد

لا تسمعه ميلانى :

— لقد علمت من مصدر يوثق به أن الجنرال (لى) خسر المعركة وارتد الى (ماريلاند)

فنظرت اليه مدعورة . . ليس لأن الجنرال خسر المعركة وتقهقر . . وانما لأن هناك قتلى آخرين ستنشر أسماؤهم غدا . .

غداً . . إنها لم تفكر فى الغد . . ومن المحتمل أن يكون اشلى الآن جثة هامدة . . ولكنها لن تعلم ذلك إلا غداً . . وربما بعد غد . . أو بعد اسبوع .

هتفت :

— ياإلهى . . لماذا يقتتلون ! ! لتحرير العبيد !! ألم يكن الأفضل لو أن (لنكولن) ابتاع العبيد . . أو لو اننا نزلنا له عنهم بغير مقابل !!؟

— كلا ياسكارليت . . انهم لايقتتلون من أجل حرية العبيد . ولكنهم يتخذون العبيد ذريعة . . وستبقى الحروب ما بقى الانسان . . ولن يعدم الانسان ذريعة لقتل أخيه .

الفصل السادس

ارتد الجنرال (لى) الى (فرجينيا) بعد هزيمته الساحقة فى (جتسبورج) وعسكر بجنوده فى (رابيدان) حيث اعتزم أن يقضى فصل الشتاء

وقبيل عيد الميلاد . . عاد أشلى الى (اتلانتا) فى أجازة قصيرة يقضيها بين ذويه .

وأبصرت به سكارليت بعد غياب عامين . . وهالها عنف العاطفة الكامنة فى أعماقها .

كانت تظن . . عندما زف الى ميلانى . . انها تحبه من كل قلبها الكسير . . وبكل جارحة من جوارحها . . حبا لايقبل المزيد . . ولكنها أدركت الآن . . ان ماحسبته فى ذلك الوقت حبا لم يكن إلا عبثا ولهواً . . اذا قيس بهذه العاطفة الملتهبة الجامحة . . التى نفخ فى لهبها طول التفكير والانتظار . . وضبط النفس واللسان . .

وقد رأت فى أشلى الضابط الذى لفحت الشمس وجهه . . رجلا آخر

غير أشلى الأشقر الهادىء الذى عرفته قبل الحرب . . وأحبته حتى العبادة . .

رأته مديد القامة . . مفتول الساعدين . . مرفوع الرأس . . قد تدلى شاربه حول فمـــه . . واستحال خمول نظراته . . الى بريق ثاقب ينم عن اليقظة والنشاط . . ولم يزده هذا التحول إلا فتنة ورجولة . . ولم يزدها إلا افتتانا به . . وحبا له . .

كانت قد حزمت أمرها على قضاء عيد الميلاد فى (تارا) . . فلما جاءت برقية أشلى . . لم تكن هناك أية قوة على الأرض تستطيع أن تزحزحها من (اتلانتا) . . ولو قد اعتزم أشلى الرحيل الى مزرعة أبيه . . إذن لأسرعت الى « تارا » لتكون هناك على مقربة منه . . ولـكنه أرسل الى أبيـه وأخته يستقدمهما الى « اتلانتا » . . فكيف إذن تذهب الى « تارا » . . وتضيع فرصة رؤيته والتحدث اليه بعد فرقة عامين ! ! كيف لاتسمع صوته الذى يضاعف نبضات قلبها . . وكيف لا ترى عينيه لتقرأ فيهما انه لم ينسها ! ؟؟

وسألت نفسها وهى تتأمله .. كيف جاز لها أن تظن خلال هذين العامين أن فى الدنيا رجلا سواه جديرا باهتمامها وتفكيرها ؟ ؟ ؟ وكيف أمكنها ان تسمح لغيره من الرجال بان يخطبوا ودها . . ويحدثوها عن الحب وهو على قيد الحياة ؟

هاهو الآن امامها . . لايبعد عنها الا خطوة واحدة . . وهاهى تتجلد لـكيلا تذرف الدمع فرحا وسرورا . .

ليتها فقط تستطيع أن تجلس لصقه . . وتتأبط ساعده . . وتجفف دموعها بمنديله . . كما تفعل ميلانى ! !

« . »

ووضعت يدها على خدها . . حيث قبلها . . وخيل اليها انها ما تزال تحس حرارة شفتيه . .

لم تـكن هى طبعا اول من تلقى قبلاته . . فقد سبقتها ميـــلانى إلى احضانه . . وتهالـكت بين ساعديه . . واحاطته بيديها كأنها لاتريد أن تتركه ابدا . .

ثم تبعتها أخته (هانيا) . .

ثم تبادل مع ابيه قبلتـــين رزينتين تنمان عن الشعور العميق المتبادل بينهما . .

ثم قبل العمة بيتى . .

واخيرا تحول اليها وهتف « وانت ايتها المخلوقة الجميلة » . .

وقبل خدها . . وتبخرت مع القبلة كل ما كانت تدخره من عبارات الترحيب . . ولم تفطن الا بعد بضع ساعات . . الى أنه طبع القبلة على خدها . . ولم يطبعها على شفتيها . .

ولـكن لابأس . . لايزال لديها متسع من الوقت . . لايزال لديها اسبوع كامل . . تستطيع خلاله ان تخلو به . . وتقول له : هل تذكر نزهاتنا الحلوية معا ؟ هل تذكر كيف كان القمر يطل علينا وانت تتلو على قصائد الشعر فى حديقة (تارا) ؟ ! هل تذكر يوم سقطت عن ظهر جوادى . . فحملتنى بين ساعديك الى البيت ؟ يالهى . . ما أكثر العبارات الحلوة التى يمكن أن تقـال تحت عنوان « هل تذكر » ! ! . وما أكثر الذكريات العزيزة التى تعيد الى ذهنـه أياما سعيدة قضياها معا قبـل أن تظهر ميلانى على خشبة المسرح !!

« • »

وحاولت سكارليت أن تخلو به فى ذلك اليوم ولـكن ميلانى وهانيا كانتا تلازمانه كظله وتتبعانه البصر أينما ذهب

وفى المساء . بعـد أن تناولوا طعام العشاء . دار الحديث حول الحرب . فتـكلم أشلى باسهاب . وبروح الدعابة . وتناول حديثه خاصة الناحية المرحة من حياة الجندية . وتـكلم بقـلة اكتراث عن الجوع والبرد والأمطـار والأوحال ومختلف المتاعب التى يستهدف لها الجنـدى فى ميدان القتال . ولم تره سكارليت مسرفا فى الـكلام والمرح كما كان فى ذلك المساء . وخيل اليها أنه يواصل الحديث عمداً . ليمنـع السامعين من القاء الأسئلة . وعندما رأت أهدابه تهتز . وعينيه تضطربان وتطرقان . أمام نظرات أبيـه الفاحصة . خامرها الشك فى أمره . . وأدركت أنه يظهر غير ما يبطن . ويخـفى وراء

هدوئه وطمأنينته قلقا لا يريد الافصاح عنه

ولكن سرعان ما تبددت شكوكها ومخاوفها . فقد كان قلبها مفعما بالسعادة . وعقلها فى شغل بالبحث عن وسيلة للخلوة به

« * »

وأخيراً بدأ القوم ينشاءبون . واستأذن جون ويلكس وابنته هانيا فى الانصراف الى الفندق الذى نزلا به . وصعد اشلى وميلانى وسكارليت والعمة بيتى الى الطابق الثانى . وتريثوا قليلا فى الردهة الوسطى . ليتبادلوا تحية المساء

وحينئذ فقط . . أحست سكارليت بان أملها لم يكن إلا حلما ، وسعادتها لم تكن إلا سراباً

كانت حتى تلك اللحظة تؤمن بان اشلى ملك لها ، وملك لها وحدها ، وان لم تبادله كلمة واحدة على انفراد طيلة النهار

ولكنه ما كاد يحييها ويقصد مع ميلانى الى مخدعهما . . ويغلق الباب بينها وبينهما . . حتى أحست بالوحدة والوحشة . . وأدركت أنه ليس ملكا لها . . وليس فى مقدورها مادامت ميلانى على قيد الحياة ان تتأبط ساعده وتخلو به وراء باب يعزلهما عن بقية العالم

« • »

وحان موعد رحيل أشلى الى « فرجينيا » . . والى المستنقعات والاوحال . . والى الجوع . والبرد وأهوال الحرب . . حيث يمكن فى لحظة واحدة ان يسقط رأسه الجميل . . ويتمزق جسده النبيل تحت أقدام الجنود وسنابك الخيل . . وانقضى كالحلم البديع أسبوع زاخر بالهناء والسعادة والأمل . . حرصت سكارليت فى خلاله على ان تسجل فى ذهنها كل صغيرة وكبيرة من حركاته وسكناته وأحاديثه . . كأنما لتدخر كل ما تستطيع من ذكريات تتزود بها فى غيبته .

« • »

ووقفت سكارليت فى ردهة الطابق الارضى . . لتقدم اليه هدية أعدتها

له . . وضرعت الى الله ان يهبط السلم بمفرده لكى تخلو به ولو دقيقة واحدة . .

كانت تلك فرصتها الأخيرة . . وقد تفوتها هذه الفرصة أيضا اذا خطر لميلانى أن ترافقه الى الباب الخارجى

لقد حاولت عبثا طيلة الاسبوع ان تنفرد به . . ولكنه كان دائما محوطا بالاصدقاء والاقارب . . من الصباح حتى المساء . . محوطا بعيون ميلانى وهانيا وأبيه فى كل لحظة وفى كل مكان .

وفى خلال هذا الأسبوع .. لم ينظر اليها الا كما ينظر الأخ الى أخته .. ولم يتحدث اليها الا كما يتحدث الصديق الى صديقته . ولكنها لا تستطيع ان تدعه يذهب . . قبل أن تسبر غوره . . وتعجم عواطفه . . وتعلم هل مازال يحبها . حتى اذا قتل فى الحرب كان فى وسعها ان تنعم بالذكرى حتى آخر يوم من حياتها . .

(*)

وبعد دقائق مرت كأجيال . . سمعت وقع اقدامه وهو يهبط السلم . .

حمدا لله . . انه وحده . . لابد ان يكون الحزن قد برح بميلانى . . فلم تبرح غرفتها . .

الآن تستطيع ان تحتكره لنفسها بضع دقائق .

. . .

ورآها . . وحاول أن يبتسم .. فكانت ابتسامة كالحة كالتى تصعد الى شفتى رجل يشعر بجرح داخلى . .

قالت له ضارعة :

— أشلى . . هل ارافقك إلى القطار ؟ !

فاجاب :

— ارجوك ان لاتفعلى . . ان ابى واختى هناك فى انتظارى . . وانى اوثر ان اذكر وداعك لى هنا . . على أن اذكرك وانت ترتجفين من البرد فى المحطة . .

وعدلت عن خطتها فى الحال .

ان هانيا تمقتها . . وتعرف سرها . . ولن تسمح لها بان تبادله كلمة واحدة . .

قالت :

— اذن سأبقى . . انظر ياأشلى . . قد اعددت لك هدية . .

وبسطت بين يديها شملة (كوفية) من الحرير . . صنعتها له خصيصا من وشاح حريرى كان بتلر قد أهداه اليها . .وقد عملت فى زخرفتها طيلة الليالى الاخيرة بصبر وأناة . حتى جعلت منها تحفة جديرة به . .

هتف :

— ما أجملها ! ! هل صنعتها بيدك يا سكارليت ؟ . اذن سيتضاعف تقديرى لها . وحرصى عليها . عاونينى على وضعها أيتها العزيزة . . سوف يموت زملائى كمدا وحسدا متى رأوها .

فوضعت الشملة حول عنقه . وتراجعت خطوة الى الوراء . . وراحت تتأمله فى اعجاب وخيلاء .

قال :

— انها بديعة . .ولكنى واثق من أنك قطعتها من ثوب أو وشاح لكى تصنعها . ما كان يجب أن تفعلى ذلك ياسكارليت . . ان الأشياء الجميلة نادرة فى هذه الايام .

فهتفت :

— أواه يا أشلى . . انى . .

وهمت بان تقول : انى أقطع قلبى . . لأصنع منه دثارا لك .

ولكنها أتمت عبارتها :

— انى أفعل أى شىء من أجلك ياأشلى .

فقطب حاجبيه وأجاب :

— أحقا تقولين ؟ اذن فهناك شىء تستطيعين أن تفعليه من أجلى ياسكارليت . . شىء سوف يرفه عنى ويريح بالى فى وحدتى .

فاحست بانها على استعداد لان تعده بالمعجزات . وهتفت فى جذل :

— وما هو ؟ .

— هل تعدينى بالعناية بميلانى ياسكارليت ؟

— بالعناية بميلانى ؟ !

وغاص قلبها بين جنبيها يأسا وقنوطا .

أهذه أمنيته الوحيدة .. أو هـذا كل مايرجوه منها .. وهى التى كانت على استعداد لأن تعده بما هو أعظم وأجل !

لقد كانت ترجو ان تختلس هذه اللحظات لنفسها فقط . . فاذا بشبح ميلانى يقف بينها وبينه . . حتى فى هذه الفترة القصيرة . .

ولم ير آية اليأس التى ارتسمت على وجهها . . فقـد تخطاها وراح ينظر الى الأفق البعيد كعهدها به .

قال :

— نعم . . أعنى بها . . فانها هزيلة نحيلة . . وستفنى جسدها فى التمريض والحياكة وخدمة المرضى فى المستشفيات . . وليس لها من تلوذ به بعـدى سواك . . اما العمة بيتى فانها امرأة ساذجة كالأطفال . .

ان ميلانى تحبك ياسكارليت . . ليس لأنك كنت زوجة أخيها . . وإنما لأنك أنت . . انها تحبك لشخصك . . وتحبك كأخت . . وليس فى مقدورك أن تتصورى مبلغ جزعى كلما فكرت فيما قد يصيبها اذا أنا قتلت . . ولم تجـد من تلوذ به وتركن اليه . . فهل تعدينى ؟ !

واستولى عليها الجزع عندما تحدث عن احتمال قتله . . وشغلها الفزع عن عبارته الأخيرة . .

لقـد كانت تقرأ قائمة القتلى كل يوم . . وتقرأها وقلبها ينبض فى حلقها . . لأن موته معناه انهيار حياتها . . وانهيار الدنيا حولها .

ولـكنها كانت دائما تشعر شعوراً خفيا بأن جيش الجنوب قد يفنى كله . . أما هو فلن يصاب بسوء . .

ولـكن هـذا الشعور تبدد فى طرفة عين حين تـكلم بنفسه عن احتمال موته . .

هتفت :

— كلا . . كلا . . لاتتكلم عن الموت . . بل ولا تفـكر فيـه . .

فذلك يجلب النحس ..

فابتسم ابتسامة حزينة . وقال :

— انما أطالبك بهذا الوعد يا سكارليت .. لأنى لا أعلم ماذا قد يصيبنى غدا .. أو ماذا قد يصيب أحدنا . . انني لم أتكلم طيلة هذا الاسبوع إلا كذبا . . كما يفعل جميع الجنود فى الأجازة . . ولماذا ازعج ميلانى والعمة بيتى بما هما الآن فى غنى عن معرفته ؟!! أما الحقيقة فهى أننا نسير فى طريق الهزيمة .. وقد كانت معركة (جتسبورج) بدء النهاية .. ولكن الناس هنا لا يعلمون .. نعم يا سكارليت . . ان الناس لا يعلمون أن جنودنا يقاتلون فوق ثلوج (فرجينيا) وهم حفاة .. وأنا كلما رأيت الاطمار البالية التى يحزمون بها أقدامهم اتقاء البرد .. ورأيت آثار الدماء التى تتركها أقدامهم على الثلج ووجدت انى من دونهم انتعل حذاء . . خطر لى أن القى بحذائى وأمشى حافيا أسوة بهم . .

— اواه يا أشلى .. عدنى ألا تفعل ذلك ؟!

— أرجو ألا ترددى شيئا مما أقول .. فانى لا أريد ازعاج الآخرين .. واذا كنت قد بسطت لك الحقيقة . فما ذلك الا لكى أحصل منك على وعد بالعناية بميلانى .. سيكون من دواعى طمأنينتى أن اعلم انها فى كنفك وتحت رعايتك .. فهل تعدينى ؟!

فهتفت :

— نعم .. نعم يا أشلى .. انى أعدك .

فنظر اليها طويلا . ثم تناول وجهها بين كفيه وقبل جبينها وهو يقول:

— كم أنت نبيلة وباسلة . . وكم يسرنى أن أفكر فى انى ربما كنت الشخص الوحيد الذى يعرف الغرائز الكريمة النبيلة الدفينة فى أعماقك .

وسقطت يداه عن وجهها . . وظلت عيناه عالقتين بعينيها . . فحبست أنفاسها انتظارا للكلمة الساحرة أن تفلت من بين شفتيه . . ولكنها انتظرت طويلا . . ثم تطلعت الى وجهه . . وقرأت فيه أن حديثه قد انتهى وأحست للمرة الثانية بضياع الأمل . وانكسار القلب .

قال لها بصوت هادىء :

— وداعا . .

ومشى إلى الباب .. حتى وصل اليـه . . ثم حول رأسه ورمقها بنظرة طويلة يائسة . . وكأنه يريد قبل الفراق أن يسجل فى ذهنه كل قسمة من قسمات وجهها . .

ورمقته سكارليت من خلال دموعهـا . . ورأت والعبرات تخنقها انه يهم بالخروج من البيت . . ومن حياتها . . دون أن ينطق بالـكلمة التى تحن إلى سماعها . . فوثبت اليه . . والقت بيديها على كتفيه وهمست :

— قبلنى . . قبلنى قبلة الوداع . .

فأحاطها بساعديه فى رفق وأحنى رأسه فوق وجهها . . وما أن أحست بشفتيه فوق شفتيها . . حتى القت ساعديها حول عنقه . وضمته الى صدرها بعنف . . وانقضت لحظة سريعة . . خيل اليها فيها انه أصبح جزءا من كيانها . وأصبحت جزءا من كيانه .

وفجأة . . أسقط قبعته . . وأرخى ساعديه . . وانحنى ليلتقط القبعة .. ثم أمسك بيديها بقوة آلمتها . وقال بصوت خافت :

— كلا . . كلا .. ياسكارليت . .

— اننى أحبك . . كنت دائما أحبك . . وما أحببت أحدا سواك . . وقد اقترنت بشارل . . لـكى . . لـكى أولمك . . اواه ياأشلى . . ان حبى لك يزين لى أن أمشى على قدمى كل خطوة فى الطريق الى (فرجينيا) . . لـكى أكون بقربك . . فاطهى طعامك . . وانظف حذاءك . . وأغنى بجوادك . . قل فقط انك تحبنى ياأشلى . . كلمة واحدة . . أتزود بهـا بقية العمـــر . .

ونظرت إلى وجهه فاذا هو اتعس وجه وقع عليه بصرها . .

كان مسطرا على وجهه حبه لهـا . . . وسعادته بحبها له . . وقد امتزج هذا وذاك بالخجل واليأس والشقاء . .

قال بصوت أجش :

— وداعا . .

وفتح البـاب . . ونفذت منه لفحة من الهواء البـارد اكتسحت جو

البيت . . وهزت الستائر . .

واصغت سكارليت وهى محتبسة الأنفاس . . إلى جلجلة حسامه وهو يبتعد . .

الفصل السادس

كانت الشهور الثلاثة التالية من اسوأ مامر بمدينة (اتلانتا) . . فقد اقترنت الأمطار المنهمرة والبرد القارص بالقلق والجزع بعد الهزيمتين الساحقتين اللتين منى بهما الجنوب فى (جتسبورج) و (فكسبورج) . . وكان من أثرهما أن اصبحت ولاية (تنسى) كلها فى أيدى الاعداء . . وتقوس خط الدفاع الأمامى إلى الداخل . .

ولكن رغم هذه الهزائم . . وما اقترن بها من خسائر فى الأرواح والممتلكات . . فان الروح المعنوية فى الجنوب لم تتحطم . . وكل ماحدث ان الأمل العظيم فى الفوز . . استحال إلى عناد أعظم . . وتصميم على الثبات والدفاع عن كل شبر من الأرض

ثم حدث فجأة . . ماجعل الناس يرون خيطا من النور وسط السحب المدلهمة . . فقد ارادت جيوش لنكولن أن تواصل زحفها . . وتشق طريقها فى ولاية (جورجيا) . . ولكنها صدت وطردت بعد معركة عنيفة تكبدت فيها خسائر جسيمة .

وقد لعبت (اتلانتا) وخطوطها الحديدية فى هذه المعركة دورا حاسما . . لأنها كانت حلقة الاتصال بين (فرجينيا) وحدود (تنسى) . . ومن (فرجينيا) جاء الجيش الذى هزم الأعداء بقيادة الجنرال (لونجستريت) .

كانت مركبات السكك الحديدية تمر بأتلانتا فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار . . وعليها عشرات الألوف من جنود (فرجينيا) جاءوا بغير طعام أو شراب او أحذية او جياد . . ليخوضوا المعركة حال وصول القطار . .

وقد كان الجنوب فى أشد الحاجة إلى هذا الانتصار الجزئى لتشديد العزائم وتقوية الروح المعنوية خلال شهور الشتاء .

لم يكن هناك من ينكر أن الاعداء محاربون اشداء . . وان قادتهم من الطراز الأول . . فلديهم الجنرال جرانت . . وهو جزار لايبالى بالارواح فى سبيل النصر . والجنرال (شريدان) . . الطاغية الذى طالما أوقع اسمه الذعر فى قلوب أهل الجنوب . . وأخيرا . . الجنرال (شيرمان) . . بطل معركة (تنسى) . . وقد برهن على دهائه . . وقوة شكيمته . . بيد أن أحداً من هؤلاء . . بل كل هؤلاء ما كانوا ليقارنوا بالجنرال (لى) . .

كانت الثقة بالجنرال وجيشه لاحد لها . .

ولكن الثقة وحدها لاتكفى . .

كان من الواضح أن الحرب ستمتد أعواما أخرى . وهذا معناه مزيد من الشقاء والأحزان ومزيد من القتلى والجرحى واليتامى والايامى .

وزاد الطين بلة . . أن النقد هبط مرة أخرى . . ومرة أخرى حلقت الأسعار وبيع رطل اللحم بخمسة وثلاثين دولاراً . . ورطل الشاى بخمسمائة دولار واختفت الثياب الجديدة من الأسواق . ورقعت النساء ثيابهن بورق الصحف . . وأربى ثمن الحذاء المصنوع من الورق على مائتى دولار

كان الجنوب يعول فى حياته ورخائه على بيع القطن وشراء المواد التى لا يصنعها ولا ينتجها . ولكن الحصار الذى اشتد فى الشهور الأخيرة . جعل البيع والشراء ضربا من المستحيلات

وقد تكدس لدى جيرالد اوهارا ـ وهو انموذج لزراع الجنوب ـ قطن ثلاثة أعوام متوالية . وثمن هذا القطن فى ليفربول مائة وخمسون ألف دولار ولكن لا سبيل الى ارساله الى ليفربول .. وهكذا وجد جيرالد نفسه قد انحدر من مزارع ثرى . الى رجل حائر لا يدرى كيف يطعم أسرته وعماله وزنوجه خلال شهور الشتاء

وما يقال عن جيرالد أوهارا . يقال كذلك عن غيره من الزراع

وقد وجد المضاربون والنفعيون فى انقطاع الواردات فرصة للاثراء سارعوا الى اقتناصها . ولما قل الطعام والثياب . واطرد الغلاء .. ارتفعت صيحات السخط والغضب فى كل مكان . ولم تصدر جريدة فى تلك الأيام

السوداء من عام ١٨٦٤ إلا حملت على المضاربين وشبههم بالجوارح الناهبة والخفافيش التى تمتص دماء الناس . وأهابت بالحكومة ان تأخذهم بالشدة وتضربهم بيد من حديد

وعلى الرغم من هذه الشدائد والمتاعب . . لم تزدهر (اتلانتا) فى كل تاريخها كما ازدهرت فى تلك الأيام

كان أهلها يعانون الحرمان والمرض والموت كسائر أهل الجنوب . أما المدينة ذاتها فانها كسبت من الحرب أكثر مما خسرت . وتضاعف سكانها فى أقل من عامين . وتركزت فيها كل الأهمية التى كانت للموانىء من قبل . وأصبحت هى قلب الجنوب الخافق . وخطوطها الحديدية كالشرايين تنبض بفيض لا ينقطع من الرجال والذخائر والمؤن

« • »

ولو كان العهد غير العهد . . لبرمت سكارليت بثيابها الرثة وأحذيتها المرقعة . . ولكنها لا تبالى الآن طالما الشخص الوحيد الذى يهمها ليس موجوداً . . ولا يراها

كان قلبها مفعما بالسعادة . . أفلم تشعر بقلب أشلى يضطرب بين ضلوعه حين أحاطته بساعديها ؟! ألم ترى فى عينيه نظرة أبلغ من الكلام . وأصرح من الاعتراف ؟!

انه يحبها . . وهى واثقة من ذلك وثوقا يحملها على الرفق بميلانى . . والرثاء لحماقتها . وقصر نظرها

« • »

وكانت لا تزال تنعم بذكرى ذلك اللقاء السعيد . . وتفكر فيما ادخره لها القدر من هناء متى وضعت الحرب أوزارها . . ومتى عاد أشلى ليبقى . . حين أصيبت آمالها وأحلامها فجأة بصدمة قاصمة . . أحالت طمأنينتها جزعا . . وسعادتها شقاء . .

فقد جاءتها ميلانى ذات يوم . . ووجهها الصريح يطفح بشراً . . وقالت لها انها حامل . واستطردت :

— والدكتور « ميد » ينتظر الطفل فى أواخر اغسطس . . أو أوائل

سبتمبر . . كنت أشعر بأنني حامل . . ولكني لم أكن على يقين . . أيتها العزيزة . . أليس بديعا أن أرزق منه بطفل ؟ ؟

وكانت سكارليت تتأهب للرقاد . . جمدت في مكانها . . وسقط ساعداها الى جنبيها . . وانقضت فترة طويلة قبل ان تفهم وتصدق . . وحينئذ هتفت :

— يا الهي . .

قالت ميلاني :

— كنت أعلم أنك ستدهشين . . وسوف يدهش أشلي كذلك . . ولكني لا ادري كيف انبئه . . هل يجب ان أكتب اليه ؟ ؟ ؟ ماذا فعلت أنت ؟ ؟ هل كتبت الى شارل . . أم تركت لوالدتك الاضطلاع بهذه المهمة ؟ ؟ . . لو كانت لي أم . .

فقاطعتها سكارليت بعنف وغضب :

— صه . . صه . .

فدهشت ميلاني . . ثم خيل اليها انها فهمت سر هذا الغضب . . وقالت :

— معذرة ياسكارليت . . ان السعداء دائما أنانيون . . ولم يكن من الكياسة ان أذكرك بزوجك المسكين . .

فهتفت سكارليت مرة أخرى . . وهي تحاول جاهدة ان تسيطر على تقاطيع وجهها وعواطفها حتى لاترتاب ميلاني في أمرها :

— صه . . صه . .

وأحزن ميلاني . . وهي أحرص الناس على شعور الغير . . أن تكون قد نبشت الماضي عن غير عمد فأمت سكارليت وأزعجتها . .

قالت في مذلة وتواضع :

— هل اساعدك على خلع ثيابك ايتها العزيزة .

فصاحت سكارليت بخشونة . . ووجهها جامد كالصخر :

— دعيني وشأني . .

فانفجرت ميلاني باكية . وفرت من الغرفة . . وبقيت سكارليت

وحدها نهبة الألم والغيرة . . وخيبة الأمل .

فكرت فى انها لاتستطيع بعد الآن ان تعيش تحت سقف واحد مع امرأة التى تحمل طفل أشلى فى احشائها . . وانها لايمكنها أن تنظر إلى ميلانى بعد الآن دون أن تقرأ ميلانى سرها مسطوراً على وجهها . . وصحت عزيمتها على الرحيل فى اليوم التالى إلى (تارا) . .

. . .

وفى صباح اليوم التالى . . بينما كانت النسوة الثلاث يتناولن طعام الافطار فى جو من البرود والفتور . . اذا بالعم (بيتر) يحمل برقية إلى ميلانى . .

وجمدت ميلانى لحظة قبل أن تتناول البرقية . . وتبادلت مع زميلتيها نظرة تنم عن الحيرة والفزع .

ثم فضت البرقية . وقرأت فيها :

(يؤسفنى أن انبئك بان الكابتن أشلى ويلكس مفقود منذ ثلاثة أيام)

(الكولونل سلون)

. . .

ونسيت سكارليت انها كانت معتزمة الرحيل . . وجثت فى غرفتها وحاولت أن تبتهل الى الله . . ولكن اصابها عى . . فلم تدر ماذا تقول ولا كيف تبتهل . وشاع الرعب فى قلبها . وشعرت شعورا مبهما بان الله قد تخلى عنها لاثمها وخطيئتها .

لقد أحبت رجلا متزوجا . وعملت جاهدة لانتزاعه من احضان زوجته فعاقبها الله بقتله .

أرادت ان تبتهل .. ولم تجسر على ان ترفع عينيها الى السماء

وأرادت ان تبكى .. ولكن الدموع امتنعت على عينيها . . وخيل اليها انها تغمر صدرها .. وتحرق قلبها .. ولكنها لا تفيض من مآقيها .

وفتح باب الغرفة ، ودخلت ميلانى.. ووجهها البرىء أبيض كقطعة من الورق .. وعيناها مفتوحتان كعينى طفل مذعور ترك فى الظلام الدامس .

قالت وهى تبسط يديها مستعطفة :

— سركاليت . اغفرى لى ما بدر منى ليلة أمس .. فأنت الآن .. كل ما بقى لى . . اواه ياالختاه . انى أعلم انه قتل .

والقت بنفسها بين ساعدى سكارليت . وبكت المرأتان معا . وامتزجت دموعهما .

وهمست ميلانى :

— كل عزائى الآن . انى احمل طفله .

وقالت سكارليت لنفسها :

— أما أنا . فلا عزاء لى .. لا عزاء لى غير النظرة التى رأيتها فى عينيه عندما ودعنى .

« • »

جاء عنه فى النشرات الأولى انه «مفقود . ويظن أنه قتل» .. وأبرقت ميلانى الى الكولونل سلون عشر مرات . وأخيرا تسلمت منه رسالة يعبر فيها عن اسفه وعطفه ، ويقول إن اشلى خرج على رأس شرذمة من الجند للكشف والاستطلاع .. ولكنه لم يعد .

ثم جاء عنه فى النشرات التالية انه « مفقود . . ويظن انه وقع فى الأسر » فشاع الفرح والامل فى البيت الحزين . . وفشل كل مجهود لمنع ميلانى من قضاء ساعات النهار أمام مكتب التلغراف وفى محطة السكة الحديد . انتظارا لبرقية أو رسالة . وعلى الرغم من تعبها . واعيائها . . وتضخمها . فانها رفضت باصرار أن تصغى لنصائح الدكتور « ميد » .

كانت نهبة قلق مؤلم . يأبى عليها الا أن تظل فى حركة دائمة . . وفى خلال الليل . كانت سكارليت تسمع وقع خطواتها وهى تسير فى غرفتها جيئة وذهابا ولا يقر لها قرار .

وفى عصر أحد الايام . . عادت الى البيت محمولة بين ساعدى الكابتن بتلر . فقد أغمى عليها فى مكتب التلغراف . وتصادف مرور بتلر . فنقلها الى البيت .. ومددها فى فراشها . وقال لها وهو يرمقها بنظرة العليم بحالها :

— يجب أن تعنى بنفسك ياسيدتى . فهذا النشاط ضار بك وقد يؤذى طفلك . واذا سمحت لى فانني استخدم نفوذى لمعرفة مصير زوجك .

ان لى أصدقاء فى « واشنجتون » . فاذا كان زوجك أسيرا ، فسوف أعلم ذلك منهم . انما يجب أن تعديى بالعناية بنفسك . والا نفضت يدى من شؤونك .

« * »

وكان عند وعده . فلم ينقض شهر حتى حمل الى النسوة الثلاث نبأ ملأ قلوبهن فرحا لأول وهلة . ثم انقلب فرحهن قلقا وجزعا عندما فكرن فى الامر مليا .

قال لهن ان أشلى جرح وأسر . ونقل الى السجن الحربى فى الجزيرة الصخرية . فسرهن أنه لا يزال على قيد الحياة . ولكن ما كادت تهدأ نفوسهن . حتى نظرن الى بعضهن بعضا وهتفن : « فى الجزيرة الصخرية ! » كما لو قد قيل لهن انه فى جهنم !

« * »

كان (ابراهام انكولن) قد رفض ان يتبادل الاسرى مع الجنوبيين أملا فى ان يضيق الجنوبيون باطعام الاسرى وحراستهم . . فيعجل ذلك بنهاية الحرب .

ولم يكن لدى الجنوبيين من الأقوات والعقاقير مايقتسمونه مع أسراهم فكان الأسرى يموتون بالمئات كل يوم . . وعلم الشماليون بذلك . . فثارت ثائرتهم . . وقرروا ان يعاملوا أسراهم بالمثل . . ولم يجدوا جحيما للأسرى أسوأ من (الجزيرة الصخرية) حيث الطعام قليل . . والأغطية محدودة العدد . . والجدرى والتيفوئيد يفتكان بالناس فتكا ذريعا .

وقد كان أشلى سجينا فى هذه الجزيرة المخيفة .

هتفت ميلانى :

— اليست هنالك وسيلة يا كابتن بتلر . . ألا تستطيع أن تستخدم نفوذك لاستبدال (أشلى) مع أحد الأسرى ؟ !

فأجاب بتلر متهكما :

— ان مستر لنكولن . . الرجل العادل الكريم . . الذى يبكى رحمة بالزنوج . . لا يجد دمعة واحدة يرسلها من أجل آلاف الشماليين الذين يحصدهم الموت فى سجوننا . . فهو يرفض تبادل الاسرى . . ولو هلك مواطنوه جميعا فى سجوننا . . ولكن ألم أقل لك ان زوجك قد عرضت له فرصة للخلاص فرفضها ؟

فصاحت ميلانى وهى لا تكاد تصدق أذنيها :

كلا . . وكيف كان ذلك ؟

— ان حكومة الشمال تبحث عن رجال لحراسة الحدود . . ومقاومة الهنود الحمر . وتجند أولئك الرجال من بين الاسرى . . وكل أسير يقسم يمين الطاعة والولاء ويعد بالخدمة فى حراسة الحدود عامين . . يطلق سراحه ويرسل إلى الحدود الغربية . وقد رفض أشلى ويلكس هذا العرض .

فصاحت سكارليت :

— يالهى . . ولماذا رفض ؟؟ لماذا لم يقسم اليمين . . ثم ينتهز أول فرصة للفرار . . فيهرب ويعود الينا . .

فنظرت اليها ميلانى مؤنبة . وقالت بحدة :

— كيف يخطر لك شىء كهذا ؟ ؟ أيخون وطنه ويقسم تلك اليمين . ثم يحنث بيمينه ويلوذ بالفرار ؟ ؟ انى اوثر أن يقال لى انه مات فى الجزيرة الصخرية على ان يقال انه اقسم يمين الطاعة والولاء لاعداء وطنه

انى أفخر به اذا مات فى السجن . . ولكنى أشيح عنه بوجهى اذا ارتكب هذه الخيانة

انه حسنا فعل

* * *

وعندما انصرف الكابتن بتلر . . رافقته سكارليت الى الباب وسألته :

— اذا وقعت أسيرا فى قبضة الشماليين . . فهل تقسم لهم يمين الطاعة والولاء لتنجو من الموت فى تلك الجزيرة المخيفة ؟

فابتسم وأجاب على الفور :

— طبعا .

— اذن لماذا لم يفعل أشنى ذلك ؟ ؟

فأجاب :

— لأنه رجل نبيل

وعجبت سكارليت كيف استطاع بتلر ان يودع هذا الجواب المقتضب كل هذا الاحتقار . . وهذه السخرية !!

القسم الثالث

الفصل الاول

عانى الجنوبيون أعظم هزائمهم فى النصف الاول من عام ١٨٦٤ فسقطت مدينة « دالتون » وأعقبتها مدينة « شيكاموجا » . . وارتدت جيوش الجنوب الى « ريسا كا » بقيادة الجنرال جونستون . الذى عرف كيف يخلق النصر من الهزيمة . ويجعل من التقهقر فنا رائعا . . وكلف أعداءه من الخسائر أضعاف ماخسر .

والتقى الجيشان مرة أخرى فى « ريسا كا » وصمد جونستون للاعداء بضعة أسابيع . ثم اضطر فجأة أن يتخلى عن مركزه . ويمعن فى التقهقر خوفا من أن يحيط به جيش الجنرال « شيرمان » الذى اجتاز نهر « أوستانولا » ليقطع الخط الحديدى . ويضرب جيش جونستون من الخلف . .

ووصل جونستون فى تقهقره الى « كالهون » . ولكن الأعداء لم يتركوا له فرصة لالتقاط أنفاسه . واشتبكوا معه فى كالهون قبل أن يحصل جنوده على قسط من الراحة . فخاض الجنوبيون المعركة وهم نيام من فرط التعب والاعياء . وارتدوا كذلك وهم نيام . . وبدأت « اتلانتا » تمتلىء بالجرحى . وغصت شوارعها بفلول جيش مهلهل الثياب . . منهوك القوى من التعب والجوع والبرد .

. ولأول مرة منذ بداية الحرب . سمع سكان « اتلانتا » قصف المدافع على مقربة منهم . وكان الدوى يرتفع فى بعض الاحيان . فيحجب الحركة والضجيج فى الشوارع . . . ويحاول الناس أن يصموا آذانهم عن سماعه . . وأن يتحدثوا . . ويضحكوا ويواصلوا عملهم كالمعتاد . . فتأبى آذانهم الا ان تنصت . . وتأبى قلوبهم الا ان تشب فزعا ورعبا كلما خيل اليهم ان قصف المدافع يدنو من المدينة . .

وعلى الرغم من مظاهر الهدوء والسكينة . . فقد كانت الاعصاب متوترة الى حد الانفصام . .

لم يكن هناك من يتحدث عن الخوف والهزيمة . . ولكن الانفعال وتوتر الاعصاب . . حمل الناس على الجهر بآرائهم . . والحملة على الجنرال جونستون . . ونقد خططه واساليبه . .

وتردد فى كل مكان قولهم : « نريد قائدا لا يتقهقر .. نريد قائدا يصمد ويقاتل حتى الرمق الاخير . . »

كانوا يعلمون ان تراجعا آخر يوقع « اتلانتا » فى قبضة الأعداء . .

« . »

وفى يوم شديد القيظ من أيام شهر يوليو . . استيقظ الناس على دوى كقصف الرعد . . فهبوا من مضاجعهم فزعين . . وأدركوا والذعر يملأ قلوبهم ان الحرب قد وصلت الى أبواب المدينة . .

وغصت شوارع المدينة فجأة بفرق الجيش المنهزم . .

كان الجنود فى حالة يرثى لها من العرى والجوع والتعب بعد قتال دائم . . وانسحاب متواصل استمر ستة وسبعين يوما . . ولكنهم كانوا يسيرون بانتظام . . وأعلامهم الحمراء المهلهلة تخفق فوق رؤوسهم . . وتدفق سكان المدينة الى الشوارع لاستقبال الجنود وتحيتهم . . والهتاف لهم . .

كانوا أبناء الوطن على كل حال . . فى النصر أو فى الهزيمة .

« . »

واحتشدت النساء على أسطح المنازل لشهود معركة (اتلانتا) .

ولكن ما ان أخذت القنابل تتساقط على الدور والشوارع حتى فزع

النساء الى الاقبية وشاع الذعر فى جوانب المدينة .

وفى مساء ذلك اليوم . . بدأت هجرة النساء والاطفال والشيوخ من « اتلانتا » . وكانت العمة « بيتى » فى مقدمة المهاجرين .

لم تكن هناك أية قوة تستطيع أن تحملها على البقاء وسط قصف المدافع . . بل ان علمها بان (ميلانى) قد أشرفت على الوضع . . لم يكن من شأنه ان يقنعها بارجاء الرحيل ولو يوما واحداً . . فحزمت أمتعتها وشدت الرحيل الى (ما كون) برفقة خادمها الزنجى (بيتر)

وبكت ميلانى أسى . . وعجزاً وقالت :

— كم كنت أود ان أرحل كذلك . . ولكن . .

ونظرت الى بطنها المتضخم واستطردت :

— لقد حظر على الدكتور « ميد » ان أتحرك أو ان أبذل جهداً . . أواه ياسكارليت . . بالله لاتدعينى وحدى فى هذا الضيق . انى أموت اذا حان الوقت ولم أجدك بجانبى . . لو كانت لى أخت ما أحببتها كما أحبك . . وبعد . .

وهنا تلاعبت على شفتيها ابتسامة رقيقة وأردفت :

— وبعد . . فانك وعدت أشلى بالعناية بى . . لقد قال لى انه سيطالبك بهذا الوعد .

فملقت سكارليت فى وجهها فى دهشة . وعجبت — وهى التى تكره ميلانى بكل قوتها كراهة لا تكاد تقوى على كتمانها — كيف يمكن لميلانى أن تحبها وكيف تبلغ من البلادة وقصر النظر الى هذا الحد . . فلا ترى ولا تدرك حبها لأشلى وشغفها به . .

والواقع . . أن ميلانى لم تر ولم تدرك شيئا . . لأنها طبعت على أن لا ترى فى الناس الا جانب الخير . .

قالت سكارليت :

— نعم . . انى وعدته . . وسأفى بوعدى . . ولن أهجرك . واذا كان لابد من الرحيل . فاننا نرحل معا الى (تارا)

وفى الأيام الأولى التى أعقبت حصار « اتلانتا » . وأخذ الأعداء يرتطمون بحدود المدينة . لم يكن فى مقدور سكارليت الا أن تتكمش فى ذعر . وتضع اصابعها فى أذنيها . كلما سمعت انفجار القنابل .

وفى بعض الأحيان . . كانت تفزع الى غرفة ميلانى . . وترمى فى فراشها فتتعانق المرأتان . . وتبكيان معاً . . وتصب سكارليت اللعنات فى سرها على ميلانى . لأنها تغل يديها . وتعوقها عن الفرار الى مناطق الأمان كانت تحن الى (تارا) والى أمها . كما لم تحن اليهما من قبل .

وكلما اشتد قصف المدافع . وتوالى انفجار القنابل على الدور والشوارع ذهبت الى غرفتها وهى مصممة على أن تقول لميلانى فى اليوم التالى . . أنها لاتستطيع البقاء فى (اتلانتا) ساعة أخرى . وان فى مقدورها — أى ميلانى — أن تنتقل الى بيت الدكتور « ميد » اذا شاءت .

ولكنها لاتكاد تأوى إلى فراشها حتى تذكر أشلى . . وتذكر نظراته الضارعة اليها . . وتبرات صوته حين سألها : « هل تعدينى بالعناية بميلانى ؟ »

وكانت أمها قد كتبت اليها مراراً تستقدمها فردت عليها تطمئنها . . وتهون من اخطار الحصار . . وتوضح لها حالة ميلانى . . وتعدها بالرحيل إلى « تارا » بعد الوضع . . ولم يسع هيلين اوهارا الا أن تقر وجهة نظرها ولكنها الحفت عليها فى أن تبعث اليها بطفلها جيمس هاملتون .

وأصاب هذا الرأى هوى من نفس سكارليت . . فقد كان ابنها مصدر قلق لها . . وكلما انفجرت قنبلة . . ذعر الطفل . . وملأ الدنيا صراخاً . . فصحت عزيمتها على ارساله إلى « تارا » برفقة خادمتها الزنجية « ديلسى » .

ولكنها ما كادت تحزم أمتعة الطفل . . حتى جاءت الأنباء بأن الجنرال « شيرمان » قد انحدر بجيشه نحو الجنوب ليستولى على « جونزبورو » . ويعزل « اتلانتا » . . وبعد ثلاثة أيام . . تسلمت سكارليت رسالة من جيرالد اوهارا لحمتها الغرور . . وسداها الخيلاء الكاذبة . . وفيها يفخر أبوها بان الأعداء قد صدوا عن الخط الحديدى . . كما لو كان هو الذى صدهم بمفرده .

وبعد ثلاث صفحات كلها اطراء لجيش الجنوب . . قرأت سكارليت فى ذيل الرسالة عبارة مقتضبة . . جاء بها أن « كارين » مريضة . . وأن أمها

تظن أنها مريضة بالتيفوئيد . . ولكن لاضرورة للازعاج .

* * *

وفى تلك الليلة . . جلست سكارليت فى غرفتها وقرأت رسالة أبيها للمرة الرابعة . . وتخيلت « تارا » وربوعها الهادئة . . وما يمكن أن ينزل بها اذا أدركتها الحرب . . وجرى ذهنها . . الى الايام السعيدة التى قضتها فى أحضانها . . وتذكرت الاشقاء الأربعة . . ستيوارت وبرنيت وتوماس وبويد . . وقالت لنفسها والعبرات تخنقها . . انها لن ترى بعد الآن وجوههم الباسمة الفتية . . ولن تسمع هذرهم . . وسخافاتهم . . ووقع حوافر جيادهم .

وفجأة . . سمعت حركة عند الباب الخارجى . . فجففت دموعها . . واطلت من النافذة . . ورأت رايت بتلر يجتاز الحديقة

لم يكن قد وقع بصرها عليه منذ بضعة أسابيع . . ورغم نفورها منه . . واشمئزازها من خشونته وقحته وسخريته . . فقد سرها ان تجد فى تلك الليلة من يجاذبها اطراف الحديث . . ويشغلها عن تأملاتها المحزنة . .

هتف عندما رآها :

— كيف هذا ؟ ! ألم تهربى الى (ماكون) . . قيل لى ان العمة (بيتى) قد شدت رحالها الى هناك . . فأيقنت انك ذهبت فى رفقتها . . وأدهشنى ان أرى النور يسطع فى غرفتك . . فلماذا تخلفت ؟ ؟

فأجابت :

— تخلفت لأعنى بميلانى . . انها لا تستطيع حراكا .

— ياللشيطان ؟ ؟ هل تعنين ان ميلانى لا تزال هنا ؟ ؟ ذلك هو عين السخف . . ان بقاءها أخطر عليها من الرحيل .

فقالت بصوت ينم عن الامتعاض :

— ليس من اللياقة ان تتجاهل الخطر الذى يحيط بى كذلك . .

فلمعت عيناه . وقال ساخرا :

— انى على استعداد للوقوف الى جانبك أمام الاعداء جميعا .

هزت كتفيها وقالت :

— لست أرى موضع المجاملة فى هذا الجواب .

— اننى لم أقصد الى المجاملة . . يا الهى . . متى تكفين عن التماس المجاملات فى كل عبارة ينطق بها الرجال ! ؟

فابتسمت بدورها واجابت :

— لن اكف عن هذا حتى أسلم الروح .

— يا للغرور !! والخيلاء !؟ ولكنى أعجب بهذه الصراحة .

وأشعل لفافة تبغ . وراح يدخن فى هدوء . . ثم ضحك فجأة . ضحكة خافتة ناعمة . وقال :

— اذن قد تخلفت للعناية بميلانى ؟ ! هذا أعجب موقف شهدته طول حياتى . .

فتحركت فى مكانها بقلق . وأحست بانه يتأهب للتحرش بها .

قالت :

— لست أرى فيه موضعا للعجب .

— أتقولين حقا ؟! اذن انت تفتقرين الى موهبة النظر الى الامور بالعين التى ينظر بها الغير . . لقد كان شعورى دائما انك لا تطيقين زوجة اشلى ويلكس . وانك تعتبرينها بلهاء حمقاء . وقلما تفوتك فرصة للحط من قدرها . . افليس عجيبا اذن ان تتجردى من انانيتك بغتة . . وتؤثرى ملازمتها فى هذا الجو العاصف . تحت وابل الرصاص والقنابل ؟ ! حدثينى فى صراحة . لماذا فعلت ذلك ؟ !

فاجابت سكارليت ، وهى تصطنع الهدوء . وقلة الاكتراث :

— لأنها اخت شارل . ولأنى اعتبرها كأختى .

— تعنين لأنها زوجة أشلى . . وربما ارملته .

فثارت ثائرتها وصاحت فى غضب :

— انك رجل حقير بغريزتك . ولا أمل فى اصلاحك أو تهذيبك . . وقد كدت ارفض مقابلتك لولا اننى كنت أشعر بالوحدة والحزن .

— اجلسى ورفهى عنك . . فانى ما جئت لاغضابك .

ثم سألها فى رفق :

— لماذا كنت تشعرين بالحزن ؟ ؟

— لقد جاءتنى اليوم رسالة من أبى . . يقول فيها إن الأعداء يقتربون من (تارا) وان أختى مريضة بالتيفوئيد . . فلو كان فى استطاعتى الرحيل الى (تارا) لمنعتنى أمى . . حتى لاتنتقل الى عدوى المرض .

فقال بلطف :

— لاتحزنى . . ان (اتلانتا) أسلم لك من (تارا) . . حتى ولو دخلها الأعداء . .

ان الأعداء لايؤذونك . . أما التيفوئيد . .

— كيف لايؤذوننى . .

— انهم ليسوا أبالسة كما تتوهمين يابنيتى العزيزة . . انهم كأهل الجنوب . . وفقط يختلفون فى لهجتهم . . وخشونتهم . .

— ماذا تقول ؟ ؟ اذا دخلوا المدينة فانهم . .

— يعتدون عليك ؟ ؟ كلا . . لا أظنهم يفعلون . . حتى ولو أرادوا . .

فصاحت وقد احمر وجهها خجلا :

اذا لم تكف عن هذه البذاءة . .

فقاطعها :

— كونى صريحة . . ألم يكن ذلك ماجال بخاطرك ؟ ؟

— كلا . .

— أؤكد لك ان هذا ما كنت تفكرين فيه . . لماذا يغضبك ان أقرأ خواطرك ؟ ؟ وبعد . . فذلك مايشغل أذهان جميع النساء فى اتلانتا . .

فعضت شفتها . .

كان ذلك حقا موضوع همس كل امرأتين تلتقيان على انفراد . .

أفلم يعتد الشماليون على أعراض النساء . ويدفنوا الحراب فى أمعاء الأطفال ويحرقوا البيوت فى كل مكان نزلوا به . . فى « فرجينيا » و « تنسى » و « لويزيانا » ؟ ؟

كل انسان كان يعرف هذه الحقيقة وان لم يجهر بها . ولو كان بتلر على

شيء من نبل الخلق لصمت على هذه الحقيقة وسكت أدبا واحتشاما .

ان من المزعج حقا أن يعرف الرجل فيم تفكر النساء وفيم يتحدثن . وكل فتاة تشعر أمام مثل هذا الرجل انها عارية فكراً . وجسدا . ولذلك اغضها أن يقرأ بتلر أفكارها . ويعرف مايدور بخلدها .

كان يروقها دائما أن تكون لغزا فى نظر الرجال . ولكن هذا الرجل المخيف كان يراها شفافة كالزجاج .

قال :

— وبهذه المناسبة . أليس هنا من يحميك ؟ ؟ ألا تأتى مدام « ميد » أو مدام « باركر » لزيارتك ؟

— ان مدام ميد تزورنا كل ليلة . . ولكنها لم تحضر هذا المساء .

فقال بصوت هادىء :

اذن أنت وحدك هنا . . ما أسعدنى !

كان فى صوته شيء جعل قلبها يسرع فى نبضه . وجعل الدم يصعد الى وجنتيها .

لقد لاحظت هذا الشيء فى أصوات رجال كثيرين . وعلمتها التجارب انه كان دائما مقدمة للاعتراف بالحب .

ما أبدع هذا ! اذا باح لها بحبه . . فستعرف كيف تثأر لنفسها عما عانته من سخريته طيلة هذه الشهور .

ستعرف كيف تصفى مابينهما من حساب . حتى حساب ذلك الهوان الذى شعرت به . . يوم سمع حديثها مع أشلى .

ومتى شبعت من حلاوة الانتقام . قالت له فى لطف انها لا تستطيع أن تكون له الا أختا اذا شاء . ثم تنسحب من المعركة . وعلى رأسها أكاليل النار . .

وضحكت غبطة وسرورا . . فى انتظار ماسوف يكون . .

سألها :

لماذا تضحكين ؟ ؟

وتناول يدها . . وقبل راحتها . . فاضطربت حواسها . . وشعرت

بحرارة القبلة تشيع فى جسدها . . وحاولت أن تجتذب يدها . .

كلا . . انها لم تحسب حساب هذا الشعور الغادر الذى ودت معه أن تتحسس باصابعها شعر رأسه . . وان تحس بشفتيه فوق شفتيها . .

قالت لنفسها فى قلق واضطراب . . انها لاتحبه . . ولا تحب احدا غير اشلى . . ولكنها لم تستطع تفسير ذلك الشعور الغامض الذى يوشك أن يذهلها عن نفسها . .

قال لها وهو يضحك :

— لاتجذبى يدك . . فلن اوذيك

فانتفضت غضبا وصاحت :

— تؤذينى ؟ انى لااخافك يارايت بتلر . . ولاأخاف مخلوقا ولدته امرأة . .

فابتسم كأنما سره غضبها وقال :

— هذا شعور نبيل . . فقط خفضى صوتك حتى لاتسمعك ميلانى .

وصمت لحظة ثم قال :

— انت لاتمقتيننى . . اليس كذلك ؟ ؟

اذن فقد صدق حدسها . . وهاهو يخطو نحو الفخ . .

أجابت فى حذر :

— انى امقتك فى بعض الاحيان . . حين تعمل وتتحدث كالأوغاد .

فضحك . وضغط يدها على خده . . وقال :

— بل الاصح انك تحبيننى لأنى اعمل واتحدث كالأوغاد . . انك لم تقابلى فى حياتك الآمنة الوادعة . . كثيراً من الأوغاد . . لذلك تجدين فى اختلافى عن جميع من قابلت شيئا من التسلية والاغراء .

ورأت أن الحديث ينحرف عن الغاية التى تنشدها . فحاولت مرة أخرى أن تجذب يدها . . ولكن بغير جدوى .

قالت :

— ليس هذا صحيحا . . انما أحب فى الرجال الظرف والأدب .

فقبل راحتها مرة أخرى . . ومرة أخرى أحست كأن شفتيه تلمسان كل

مكان فى جسدها .

سألها :

ـــ هل فى مقدورك أن تحبينى ياسكارليت ؟!

فاحست بنشوة الظفر وقالت لنفسها : « الآن .. قد انزلق »

ثم أجابت فى تؤدة وبرود :

ـــ لا أظن .. اللهم إلا اذا أصلحت من سيرتك . وهذبت سلوكك .

ـــ ليس فى بيتى ان أهذب سلوكى . . ومعنى هذا أنه ليس فى مقدورك أن تحبينى . . اليس كذلك ؟! ان هـذا ما كنت أرجوه . . فان عشرتك تطيب لى . . ولـكنى لا أحبك . . ولا شك أنه من المحزن والمفجع بالنسبة اليك .. أن تعانى خيبة الأمل فى الحب مرتين متواليتين .

ـــ ألا تحبنى ؟!

ـــ كلا .. هل كنت تأملين فى أن أحبك ؟!

. . كفى غروراً ..

ـــ بل كنت تأملين فى ان أحبك ! ! ! فياخيبـة الأمل ! ! لقـد كان يجب ان أحبك . . فانت جميـلة فاتنة . . . موهوبة . . ولـكنك لا تصلحين لشىء . . وبين النسـاء كثير من الحسـان الموهوبات الفاتنات . . وهن مثلك لا يصلحن لشىء . . فلمـاذا أحبـك دون غيرك ؟ ؟ ولـكنى أشعر نحوك ببعض الميل والمودة . . لمرونة ضميرك . . ولأنانيتك التى لا تحـاولين اخفاءها . . لاتغضبى . . ولا تقاطعينى . . انى أميل اليك . . لأن لى مثل صفاتك . . وشبيه الشىء ينجذب اليه .

وأكبر الظن أنك ما زلت تقدسـين ذكرى بطلك العظيم . . أشـلى ويلـكس . . الذى يحتمل ان يكون قد غيب فى التراب منذ ستة شهور . . ولـكن لابد ان يكون فى فراغ قلبك متسع لى كذلك . . دعينى أصارحك ياسكارليت .. إننى أردتك منذ وقع بصرى عليك لاول مرة وأنت تحاولين اغراء شارل هاملتون المسكين . . اردتك كما لم أرد أية امرأة أخرى . . وانتظرتك أطول مما انتظرت أية امرأة ..

فانقطعت أنفاسها دهشة وعجبا .

اذن فهو يحبها رغم ما يصطنع من تهكم وقلة اكتراث . . يحبها . . ويعترف بحبه . . ولا يريد ان يصوغ اعترافه فى العبارات المألوفة التى اصطلح عليها الناس . . حتى لاتضحك منه . . وتهزأ به .

حسنا . . انها ستلقى عليه درساً لن ينساه

سألته :

— هل تريدنى على ان أقترن بك ؟ ؟

فترك يدها . . وضحك ضحكة عالية جعلتها تنكمش فى مكانها . وهتف :

— تقترنين بى ؟ ؟ يا إلهى . . كلا . . ألم أقل لك مراراً انى لست بالرجل الذى يصلح للزواج ؟ ؟

— اذن . . اذن . . ماذا . .

فنهض واقفا . . وقال وهو يحنى رأسه باحترام واجلال . . كمن يحدث انسانا عظيم القدر :

— هل توافقين أيتها العزيزة على أن تكونى عشيقتى ؟

عشيقته ! !

وانفجرت الكلمة فى ذهنها كالقنبلة . . وصرخ صوت فى أعماقها يقول انها اهينت . . ولكنها لم تشعر بوطأة الاهانة فى الحال . وكان أول ما أحست به هو السخط والغضب . لأنه اهان ذكاءها .

لاشك انه ظنها بلهاء لكى يتقدم اليها بمثل هذا العرض . بدلا من أن يعرض عليها الزواج .

وأعماها الغضب عن الصواب . فنطقت باول عبارة املاها السخط قبل أن تفكر فى الاعتبارات الخلقية التى تسوغ لها زجره . وانتهاره .

قالت :

— عشيقتك ؟ ؟ وماذا أفيد من ذلك غير شر دمة من الأطفال . .

وسقط فكها على إثر هولا مما قالت .

وأغرق بتلر فى الضحك حتى انقطعت أنفاسه . وهتف :

— من أجل ذلك أحبك . انك المرأة الوحيدة الصريحة التى أعرفها

المرأة الوحيدة التى تنظر إلى الامور من ناحيتها العملية . دون أن تقيم وزنا لاعتبارات الخلق والفضيلة . أية امرأة أخرى فى مكانك كان يجب أن يغمى عليها أولا . ثم تطردنى بعد ذلك .

فوثبت سكارليت من مقعـــدها وقد أحمر وجهها غضبا وخجلا وصاحت :

— اننى أطردك أولا . اخرج . كيف تجسر على أن تقـول لى شيئا كهذا . وماذا فى أقوالى أو أعمالى قد شجعك على أن . . اخرج ودعنى لا أراك هنا ثانية . سأنبىء ابى . وسوف يقتلك .

فالتقط قبعته . ومشى إلى الباب متثاقلا . وأرادت سكارليت أن تغلق الباب وراءه بعنف . ولـكن مشبك الباب استعصى عليها .

قال لها :

هل تسمحين لى أن أساعدك ؟

وحرك مشبك الباب . وأغلقه وراءه بعنف . كأنما ليوفر عليها العناء

الفصل الثانى

وانقضى أسبوع كأنه جيل . قبل أن تتسـلم سكارليت رسالة أخرى من أبيها . .

كانت رسالة قصيرة . ضاعفت قلقها ومخاوفها . وقد جاء فيها :

« ابنتى العزيزة .

« ان أمك وأختيك مريضات بالتيفوئيد . وقد اشتدت عليهن وطأة المرض . ولـكن يجب أن نأمل خيرا .

« وقد طلبت أمك أن أكتب اليك لأثنيك عن القدوم الى هنا مهما كانت الظروف . لـكيلا تنتقل عـدوى المرض اليك والى ولدك . .وهى تبلغك تحيتها . وترجو أن تبتهل الى الله من أجلها »

تبتهل الى الله من أجلها ! !

وأسرعت الى غرفتها . وهى تتعثر فى أذيالها . وجثت أمام فراشها . . وراحت تبتهل الى الله من أجل أمها .

أمها مريضة . وهى هنا لاتستطيع شيئا بجانب امرأة حامل . . لاتمت اليها بصلة ! .

ولكن . . لا يمكن أن تكون أمها مريضة . انها لم تمرض قط . كانت دائما تعنى بالمرضى .. وترد عليهم الصحة والعافية .

* * *

وتعذر عليها ان تصدق النبأ .. لأنه يزعزع طمأنينتها .. ويتصل بحياتها عن قرب . . وودت لو أن لها أجنحة تطير بها الى « تارا » .

يا الهى . . ألا تضع ميلانى طفلها المرتقب ! !

الاجسام المصرية

تحصل على نتيجة ١٠٠ فى ١٠٠ باستعمال النباتات المصرية الآتية

		ص		ص
١	زجاجة زيت حبة البركة المفطرة للسكحة والسعال	٥	وبالبريد	٨
٢	زجاجة دهان الشعر ١٠١ (S . S) لنمو وغزارة الشعر وحفظه من السقوط والتقصيف والشيب	٥	»	٨
٣	علبة حبوب شافعى للسمنة وفتح شهية الأكل	٥	»	٨
٤	علبة مسحوق الهلال لازالة النمش وحب الشباب	١٠	»	١٤
٥	قرطاس شافعى لنمو وتكبير الثدى للسيدات	١٠	»	١٤
٦	زجاجة خلاصة النباتات الهندية ضد السرعة للرجال	١٠	»	١٤
٧	علبة أقراص نسخة احليل التمساح للضعف التناسلى والعقم للرجال	١٠	»	١٤
٨	علبة حبوب النباتات ١٨١٢ لشفاء السيلان الحديث والمزمن والتهاب المثانة	١٠	»	١٤

ارفق اذن بوستة بقيمة ماتطلبه باسم

ابراهيم ابراهيم شافعى

بوكالة أبو زيد بالحزاوى ت ٤١٨١٦

كل طلب غير مصحوب بالقيمة لايلتفت اليه

وأخيرا . . وفى يوم قائظ خانق من أيام شهر اغسطس . . جلست سكارليت بجانب ميلانى . . وراحت تشجعها وتشدد عزيمتها . . بينما انطلقت « ديلسى » فى البحث عن مدام « ميد » . .

وانقضت دقائق كأنها دهر . . وميلانى تملأ الجو أنينا كلما استبد بها الألم . . وتضغط يد سكارليت بين يديها حتى لتكاد ان تهشمها . . وسكارليت تعض شفتها ضجرا . . وألما . . وغيظا . . وتود لو فى استطاعتها أن تضع الوسادة على فم ميلانى . . لتكتم أنينها المزعج . . وتخمد أنفاسها الى الأبد . .

ولما طال انتظارها . . أسرعت الى النافذة . . ورأت ديلسى مقبلة نحو البيت . . وهى تمشى ببطء . . وتخطر فى مشيتها . . فعضت شفتها غيظا . . وهبطت السلم مسرعة . وقابلت الزنجية بالباب . وصاحت بها :

— أين مدام « ميد » ؟ ؟ ومتى ستحضر ؟ ؟

— انى لم أجدها ياسيدتى ؟ ؟

لم تجديها ؟ ؟

قال لى الخادم . . انها خرجت فى الصباح الباكر . . لتشرف على نقل جثة ابنها الثانى . .

— ابنها فيليب ؟ ؟

— نعم . انه قتل فى معركة على حدود المدينة .

يا الهى . . ومدام باركر ؟ !

— وجدت بيتها مغلقا . وقيل لى انها رحلت .

— قبحك الله . الا تحملين نبأ طيبا ؟ !

وراحت تعصر ذهنها وتفكر فيمن ينقذها من هذا المأزق . وقررت ان تستنجد بالدكتور ميد .

« . . »

وانطلقت الزنجية الى المستشفى فى البحث عن الطبيب . . وعادت سكارليت الى غرفة ميلانى . فالفتها تتقلب فى فراشها . ووجهها شاحب كوجوه الموتى .

قالت :

— ان مدام ميد ليست فى بيتها . ولكن مدام باركر ستأتى فى التو واللحظة . هل تتألمين كثيرا ؟ !

— كلا .

ولكنها ما كادت تنطق بهذه الكذبة حتى أفلتت من فمها صرخة ألم . وتصبب العرق على جبينها . فدب الذعر فى قلب سكارليت .. وسألت نفسها ماذا يكون اذا جاء الطفل الآن . . قبل ان يجىء الطبيب ؟ !

كانت تحسب حساب هذا المأزق طيلة الاسبوعين الأخيرين . وتعتمد على (دياسى) فيما اذا تخلف الطبيب وانقطعت اسباب النجدة ، ولكن اين ديلسى الآن ، واين الطبيب ؟

وانقضت ساعة اخرى ، وارتفعت الشمس فى كبد السماء حارة ملتهبة . وليس من نسمة تحرك اوراق الشجر .

وأخيرا عادت ديلسى . خفت سكارليت للقائها ، وبادرتها الزنجية بقولها ، والذعر مرتسم على وجهها :

— ان الجيش ينسحب من الدينة ياسيدتى . فماذا يكون مصيرنا اذا دخل الأعداء ؟

— صه . . صه . . وإلا سمعتك ميلانى . . أين الدكتور ميد ؟

— لم أره ياسيدتى .

— ماذا ؟ ؟

— انه ليس فى المستشفى . وقيل لى انه ذهب الى المحطة لاستقبال الجرحى الذين يتدفقون من « جونزبورو » .

فقطبت سكارليت حاجبيها . وسمعت فى هذه اللحظة صراخ ميلانى . . فقالت :

— اذن لا أمل فى النجدة . ويجب أن تقومى بمهمة الطبيب وسأعاونك

فجمدت ديلسى فى مكانها . . ونظرت الى سيدتها فى ذعر وهلع . . وصاحت سكارليت :

— لاتقفى هكذا كتمثال من الرخام . هلمى بنا .

— ولكن ياسيدتى . يجب أن ندعو طبيبا . انى لا أعرف شيئا عن

الولادة

فانقضت عليها سكارليت كالنبؤة . وراحت تهزها بعنف . وتصيح بها . وشرر الغضب يتطاير من عينيها :

— أيتها الكاذبة . ألم تفخرى مرارا وتكرارا بالمامك بفن الولادة ؟ تكلمى . .

فانكمشت الزنجية فى مكانها ولزمت الصمت . فصفعتها سكارليت بعنف وصرخت الزنجية ألما . وسمعت سكارليت صوت ميلانى وهى تدعوها :

— سكارليت . . سكارليت . . اسرعى

فلم تحرك سكارليت ساكنا . . وأحست كأن نيرا ثقيلا قد سقط على عاتقها .

وحاولت أن تذكر ماذا صنع القوم بها عندما وضعت طفلها ولكنها لم تذكر الا القليل . فقد أذهلها الألم حينذاك عن كل شىء .

قالت للزنجية بلهجة صارمة :

أوقدى نارا . . واغلى ماء . . واحضرى لى مقصا . . اسرعى . .

الفصل الثالث

هبطت سكارليت السلم ببطء . . كعجوز تتلمس طريقها . وامسكت بحاجز السلم لكيلا تسقط ..

كانت ساقاها ترتجفان من فرط التعب .. فتهالكت على مقعد فى الحديقة .. وجففت العرق المتصبب على جبينها .. وراحت تستعرض ماحدث .. وما فعلت ..

انتهى كل شىء . وجاء الطفل ولم تمت ميلانى ، وادهش سكارليت انها لم تمت .. بعد كل هذا الذى عانته ..

ولحقت بها ديلسى بعد لحظة .. ونظرت اليها بعينين تتألقان سرورا وقالت وعلى وجهها الاسود ابتسامة عريضة :

— لقد احسنا صنعا ياسيدتى .. وما كان فى وسع الطبيب ان يفعل خيرا مما فعلنا . .

فحدجتها سكارليت بنظرة سخط وغضب ومنعها التعب من الكلام . ولولا ذلك لعددت اخطاءها وقالت لها انها كذبت وخانت .. وسكبت الماء على الفراش .. وأضاعت المقص فى احرج الظروف . وجعلت الطفل يسقط من بين يديها .. فكيف تجسر على القول بانها احسنت صنعا ؟

وأحست الزنجية بان سيدتها محنقة غضبى . فتسللت من الحديقة فى سكون

وبقيت سكارليت فى مكانها . حتى هدأت أنفاسها . واستقام تفكيرها . وحينئذ تنبهت الى جلبة غير عادية . وسمعت وقع خطوات كثيرة منتظمة تتجاوب اصداؤها فى الشارع ، فاسرعت الى الباب ، ورأت فرقة من الجنود تجتاز الطريق فى هدوء ، فصاحت بجندى مر على مقربة منها :

— هل انسحب الجيش ؟

— نعم ياسيدتى .

— والاعداء ، هل دخلوا المدينة ؟

— انهم فى طريقهم اليها .

فغاص قلبها بين جنبيها ، وتساءلت . ماذا تستطيع أن تفعل ، وكيف تفر ، وممن تلتمس العون ؟

وفكرت فجأة فى رايت بتلر . وأحست بالهدوء والطمأنينة

لماذا لم تذكره من قبل

كانت تمقته ، وتنفر منه ، ولكنه قوى ولبق ، وفى استطاعته أن يذلل لها كثيرا من العقبات . فماذا يضيرها اذا استعانت به على الفرار ؟

ان الغريق يتعلق بالثعبان اذا أعوزته أسباب النجاة .

« • »

ودعت ديلسى . وقالت لها :

— اذهبى الى الكابتن بتلر فى فندق (اتلانتا) . . وقولى له اننى فى حاجة اليه . . وانه يجب أن يسرع الينا بمركبته وجواده . . حدثيه عن طفل ميلانى .. وقولى اننا نريد الرحيل فى الحال .. هلمى .. وأسرعى .

« • »

وصعدت الى غرفتها . . وهى تنتزع قدميها من الأرض انتزاعا . . وتذكرت بغتة . . انها لم تتناول طعاما طيلة النهار . . فاضاءت مصباحا . . وقصدت الى المطبخ .

كانت تعلم انه ينبغى عليها أن تجلس بجانب ميلانى . . لتجيبها الى ما تطلب . . ولكنها لم تطق مجرد التفكير فى العودة الى تلك الغرفة التى قضت بها ساعات فيما يشبه الحلم المزعج . . ولو قد قيل لها ان ميلانى تحتضر لما دخلت تلك الغرفة مرة أخرى .

« • »

وما أن تناولت طعامها . . حتى عاودتها بعض القوة . . ومع القوة . . جاء الخوف . . والهلع .

وخيل اليها انها تسمع دوى انفجار هنا وهناك . . فارهفت أذنيها . . ولكنها لم تتبين نوع الدوى . . ولم تعرف مصدره

ولعلها لم تنتظر شيئا طيلة حياتها مثل اللهفة التى انتظرت بها فى تلك الليلة جواد بتلر ومركبته

كانت تريد ان ترحل . . ولا يهمها إلى أين ترحل .

« * »

وانها فى جلستها تصيخ السمع . . وتنتظر . . اذا بها ترى وهجا ضئيلا يتألق فوق قمم الأشجار . . وإذا بالوهج يمتد . . ويصبغ الأفق بلون الدم . . ثم يستحيل الى ألسنة من اللهب تتطاول وتلعق صفحة السماء . . فوثبت من مكانها فى جزع . . وخفق قلبها بعنف . . وأيقنت ان الاعداء قد دخلوا المدينة . . وأشعلوا فيها النار . . وانهم بعد قليل سيقتحمون البيوت . . وينهبونها ويقتلون أهلها . . وان النار سوف تثب من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع حتى تصل اليها . . فماذا تصنع . . والى أين تذهب ؟ ؟

وفجأة . . سمعت دويا هائلا . . أقوى من كل دوى سمعته قبلا . . وتكرر الدوى . . واهتزت الارض بعنف وتبعثر زجاج النافذة تحت قدميها . . وخيل اليها ان المدينة كلها تتمزق وتتطاير فى الفضاء أو تغوص

فى الأرض

وما لبثت الدنيا ان أصبحت جحيم من الضوضاء . . واللهب . . وتوالت الانفجارات بسرعة مخيفة . . واهتزت الأرض بعنف . . فوضعت سكارليت أصابعها فى أذنيها . . وأغمضت عينيها . . وانتظرت فى هلع أن تخر السقف على رأسها . . أو تميد الأرض تحت قدميها

وعادت ديلسى أخيرا وهى تلهث من التعب . . فصاحت سكارليت :

— هل جاء الاعداء ؟ ؟

— كلا . . انهم جنودنا ينسفون المصانع ومخازن الذخيرة . . أواه ياسيدتى . . ماذا سيكون من أمرنا اذا جاء الأعداء ؟

وانفجرت باكية . فصاحت سكارليت :

— والكابتن بتلر ؟ هل رأيته ؟ ماذا قال لك ؟

— انه كان يغتسل وقد . .

— هل سيأتى ؟ هل طلبت اليه أن يحضر جواده ؟

— لقد قال لى ان الجنود استولوا على جواده ومركبته لنقل الجرحى .

— يالهى . .

— ولكنه سيأتى . .

— ماذا قال لك ! ؟ تكلمى . .

— قال : « طمئنى سيدتك . . وقولى لها اننى سأسرق جوادا . . وسأسرقه من الجيش اذا لزم الأمر . »

فتنفست سكارليت الصعداء . وعادت اليها الثقة والطمأنينة . واستطاعت أن تفكر فى هدوء . قالت :

— أيقظى جيمس . . واحزمى أمتعتنا جميعا . وتأهبى للرحيل . . . ولا تقولى كلمة لميلانى .

* * *

ورابطت سكارليت أمام النافذة . . وراحت ترقب قدوم بتلر . . ومرت الدقائق ببطء كأنها ساعات . . وسمعت أخيرا وقع حوافر جواد يدنو ببطء .

وجلبة عجلات المركبة . فضربت الأرض بقدميها فى ضجر وهتفت :

ـ انه هو . . لاشك انه هو . . يا الهى . . ماذا لايسرع ؟ !

ووقفت بالباب مركبة صغيرة . . وثب منها بتلر ودخل البيت . . وسقطت عليه أشعة المصباح الذى يضىء فوق الباب . ولاحظت سكارليت انه يرتدى ثوبا أنيقا . كما لو كان منطلقا الى حفلة رقص . وان فى منطقته غدارتين صغيرتين من الطراز المألوف فى انجلترا

واجتاز بتلر الحديقة . وهو يخطر فى مشيته . كأنما قد أثملته الأخطار التى أوقعت الرعب فى قلب سكارليت

وأسرعت اليه سكارليت . وهى شاحبة اللون . وعيناها الخضراوان تتألقان بشدة

قال وهو يرفع قبعته تحيية :

ـ طاب مساؤك ، ان الجو بديع هذه الليلة . فهل فى نيتك القيام بنزهة ؟

فأجابت بصوت مرتجف :

ـ اذا عمدت الى السخرية والتهكم . خصمتك الى الأبد .

فقال مصطنعا الدهشة :

ـ هل أفهم انك تشعرين بالخوف والفزع ؟ !

ـ نعم ، انى خائفة . ولو كان لك عقل لخفت أيضا . على ان الوقت لايتسع الآن للكلام . ويجب ان نرحل فى الحال

ـ على رسلك ياسيدتى العزيزة . . ولكن الى أين تريدين الرحيل . ؟ انى جئت الآن بدافع الفضول . . لاعلم الى أين تقصدين . . وقد سد الأعداء المسالك شمالا وجنوبا . . وشرقا وغربا . . انهم يحيطون بنا من كل ناحية . . ولا يوجد إلا طريق واحد لمغادرة المدينة . وذلك هو الطريق الذى يتراجع فيه جيشنا الباسل . ولكننا ان تبعنا الجيش ، استولى الجنود على الجواد . وهو وان لم يكن جوادا بالمعنى المفهوم ، الا انى عانيت مشقة كبيرة فى سرقته . فالى اين تعتزمين الرحيل ؟

واصغت اليه وهى ترتجف . ولم تفهم من حديثه الا العبارة الاخيرة .

الى اين ترحل ؟
لايوجد الا مكان واحد تتوق الى بلوغه مهما كان الثمن
اجابت :
— اريد الرحيل الى « تارا » .
ونظر اليها كما ينظر الى معتوه ، وهتف :
— الى « تارا » ؟ ؟ ماذا أصابك يابنية ، الا تعلمين أن القتال يدور فى « جونزبورو » منذ يومين ، وان الشماليين ربما يكونون الآن قد بلغوا (تارا) كلا ، كلا . انك لاتستطيعين الوصول الى تارا . ولا تستطيعين اختراق جيش الاعداء .
فضربت الأرض بقدمها بعنف وصاحت :
— يجب ان اذهب . يجب . . يجب . .
فقال بسرعة . وبصوت خشن :
— أيتها الحمقاء الصغيرة . قلت لك انك لا تستطيعين ، واذا امكنك اجتناب الاعداء ، فان الغابات والحقول تزخر بالهاربين من كلا الجيشين . وسيكون جوادك على هزاله غنيمة ثمينة فى نظرهم جميعا . ان الوسيلة الوحيدة هى ان تنطلقى فى أثر الجيش المتراجع فى طريق (ماكدونالد) وان تبتهلى الى الله ان لا يراك احد فى الظلام ، ولكنى لا أنصح لك بالذهاب الى (تارا) ، واذا وصلت اليها فقد تجدينها انقاضا . كلا . كلا . انى لا اسمح لك ، هذا هو الجنون بعينه .
فصاحت وهى تبكى غضبا وعجزا :
— بل سأذهب .. سأذهب .. أريد ان أرى أمى . . ليس فى مقدورك ان تمنعنى . . سأقتلك اذا منعتنى . . وسأجتاز الطريق على قدمى . . اذا لزم الأمر .. يجب ان أذهب .. يجب .. يجب .
وارتجف جسدها . . وراحت تردد كلمة (يجب) بلهجة هستيرية وبصوت مؤلم .. فاحتواها بتلر بين ساعديه . وقال لها بصوت هادىء رقيق لا أثر فيه للتهكم :
— رفقا بنفسك يا بنية . . لا تبكى . . ستذهبين أيتها الصغيرة الباسلة

ستذهبين الى « تارا » .. لا تبكى .

وأحست بشيء يمس شعر رأسها . . وعجبت وهى فى ثورة عواطفها ، هل هذا الشيء فمه ؟

كان رفيقا .. رقيقا .. كما لم تعهده قبلا .. فتاقت الى البقاء بين ساعديه إلى الابد .. واحست بين هذين الساعدين القويين .. كأنها فى حصن منيع يدرأ عنها كل خطر وأذى ..

قال لها وهو يجفف دموعها بمنديله :

— والآن ، هدئى روعك ، وقولى ماذا يجب أن نصنع

ولكنها كانت مرتجفة الاوصال شاردة اللب ، لاتستطيع تفكيرا ولاتدبيرا . فتولى هو القيادة وقال :

— إن ميلانى قد وضعت ، اليس كذلك ؟ سيكون من الخطر فى هذه الحالة نقلها ، والسير بها خمسة وعشرين ميلا فى مركبة صغيرة ، كثيرة الاهتزاز ، افليس من الافضل ان نتركها هنا عند مدام (ميد) ؟

— ان مدام « ميد » ليست فى بيتها ، ثم انى لااستطيع أن اتركها .

— حسنا . . سنضعها اذن فى المركبة . أين تلك الزنجية البلهاء ؟

— انها تحزم الأمتعة

— الأمتعة ؟ ان المركبة صغيرة ، لا تكاد تتسع لكم ، وعجلاتها على استعداد للانفلات دون حاجة الى مشجع . دعى الزنجية تضع وسادة فى المركبة ، أين غرفة ميلانى ؟

فرافقته الى الغرفة .

وكانت ميلانى ممددة فى فراشها . وهى شاحبة اللون ، غائرة العينين ، فلما فتح الباب ، ورأت بتلر . . حاولت أن تبتسم ، ولكن الابتسامة تلاشت قبل أن تصل الى ركن فمها .

قالت سكارليت بسرعة . لتوضح لها الموقف :

— سنرحل الآن الى « تارا » فقد دخل الأعداء المدينة . وسيرافقنا الكابتن بتلر فى رحلتنا ، ولا ملجأ لنا غير « تارا »

فأومأت ميلانى برأسها . . وأشارت باصبعها نحو الطفل ، فحملته

سكارليت ، ولفته فى ثوب كبير ، ودنا بتلر من الفراش وقال محدثا ميلانى :

— سأحاول ألا أتعبك ، هل تستطيعين أن تضعى ساعديك حول عنقى ؟

فحاولت . ولكنها عجزت عن رفع ساعديها . وحينئذ انحنى بتلر فوقها . وحملها بين ساعديه فى لطف . فلم تئن ولم تتأوه ، ولكن سكارليت لاحظت انها تعض شفتها لكتم أنينها وألمها .

ولم يكد بتلر يخطو نحو الباب ، حتى أومأت ميلانى باصبعها الى الجدار . وغمغمت :

— شارل ؟ ؟

ونظرت سكارليت الى الجدار ، وأدركت أن ميلانى تريد صورة أخيها . وكانت الصورة مثبتة على الجدار فوق سيف شارل وغدارته .

همست ميلانى :

— والسيف . . أرجوكما .

فاجابت سكارليت :

— حسنا .

ورفعت السيف والغدارة من مكانهما . ونظرت الى الصورة بشىء من الفضول .

هذا الشاب كان زوجها ، وقد عاشرها واولدها ولداً له مثل عينيه السوداوين ، الصافيتين . ولكنها مع ذلك لاتكاد تذكره .

« * »

وهبط الجميع السلم . وخرجوا الى حيث كانت المركبة . ونظرت سكارليت الى الجواد ، وغاص قلبها بين جنبيها .

كان حيوانا هزيلا ، بارز العظام ، مثخنا بالجراح ، تتردد أنفاسه بصوت مزعج ، لا يمكن أن ينم عن الصحة والعافية .

قال بتلر وهو يبتسم :

— الا ترين انه يظلم فصيلة الجياد بانتمائه اليها ؟ ؟ سأحدثك ذات يوم كيف سرقته . وكيف كدت ان أصاب برصاصة فى سبيله . لاشىء غير

اخلاصى لك . كان يمكن أن يحملنى وأنا فى هذا المركز الاجتماعى . على أن انقلب سارق جياد . أو على الاصح ، سارق مثل هذا الجواد .

ومدد ميلانى فى المركبة فوق الوسادة . والتفت الى سكارليت وقال لها :

— دعينى أساعدك .

وحملها بين ساعديه . كما يحمل طفلا .

ما أجمل أن يكون الانسان رجلا ، ورجلا قويا مثل رايت بتلر ، انهما معه لاتشعر بالخوف ، ولا تبالى بالنيران وقصف المدافع

ووثب بتلر الى المركبة وجلس بجانبها . وتناول عنان الجواد .

ولكنها صاحت بغتة :

— صبرا . . قد نسيت أن أغلق الباب .

فتبعه ضاحكا ، وسألته :

لماذا تضحك ؟

فاجاب :

— اضحك منك . . أفتعتقدين أن غلق باب البيت يصد القوم عن دخوله ؟ ؟

* * *

وسار الجواد ببطء . وترنحت المركبة ، وسقطت عجلاتها فى احدى الحفر ، وانت ميلانى أنينا مؤلما .

كان الطريق مظلما . والاشجار تتعانق فوق رؤوسهم . . ولا ضوء ينبعث من البيوت الصامتة المهجورة . فتحركت المركبة فى الظلام ، كأنها شبح . واختلط الهواء بدخان الحرائق ، فسعل جيمس ، وسعلت « ديلسى » وما كادت المركبة تنحرف فى أحد الشوارع الجانبية ، حتى دوى انفجار يصم الآذان . واندلعت ألسنة اللهب من مكان فى غرب المدينة ، فقال بتلر بهدوء :

— لعل هذا آخر مخازن الذخيرة . وأعتقد أنه المخزن القائم فى شارع « ماريتا » . ولسوء الحظ اننا مضطرون الى اجتياز هذا الشارع .

فسألته سكارليت فى جزع :

— وهل يجب أن نقتحم النيران ؟

— قد لانضطر الى ذلك . . لو أسرعنا

وساط الجواد بعنف ، فأسرع ، وهو يلهث . وتمايلت المركبة يمينا ويسارا ، وبكى جيمس ، وصرخت ديلسى ، وتأوهت ميلانى .

ولكن بتلر صم أذنيه عن الصياح والعويل ، وألهب الجواد بسوطه . . وما زال يلهبه ، حتى اقتربت المركبة من شارع (ماريتا) .. وحينئذ أبصروا بضوء اللهب ينعكس على الجدران ، ويلقى على أرض الشارع ظلالا تنبسط وتنكمش وتتنوى ، كأنها الشراع الممزق .. يخفق فى العاصفة فوق السفينة المغرقة .

واصطكت أسنان سكارليت ، وارتجفت أوصالها .. رغم الحرارة التى تلفح وجهها ، وأحست بأنها فى جوف جهنم . ولو كان فى مقدورها أن تتغلب على ارتجاف ركبتيها .. لوثبت من المركبة . وعادت أدراجها فى الشوارع المظلمة ، بعيدا عن هذا الجحيم . ولكنها كانت عاجزة عن كل حركة . فالتصقت ببتلر وتطلعت اليه فى انتظار كلمة مطمئنة . ورأت وجهه الاسمر الصارم يضيء بوهج النيران .. كأنه وجه ملك اغريقى على قطعة نقد قديمة .. وشعر بتلر بنظراتها ، ولمعت عيناه ببريق القسوة والجبروت كما لو كان يجد لذة وحشية فى اقتحام هذا الجحيم .

قال لها وهو يلمس إحدى غدارتيه :

— اذا حاول انسان ان يثب الى المركبة من ناحيتك لتمساك بالجواد فاطلقى عليه النار بغير تردد ، واحذرى بحق السماء أن تقتلى الجواد .

فهمست وهى ترتجف :

— ان معى .. ان معى غدارة

— اتقولين حقا ؟! وكيف حصلت عليها ؟

— إنها غدارة شارل .

— شارل ؟ ؟

— نعم .. شارل زوجى .

فضحك بصوت خافت وهمس :

— هل كان لك زوج حقا ايتها العزيزة ؟

يا الهى ! الا يكف عن الهذر ، الا يسرع ؟

أجابت بصوت أجش :

— كيف تحسبنى اذن رزقت بهذا الغلام ؟

— توجد وسائل أخرى غير الأزواج

— هل لك أن تصمت وتسرع ؟

ولكنه جذب عنان الجواد ووقف فجأة .. وهمس :

— الجنود ..

وبرزت من طرف الشارع شرذمة من الجنود ..

كانوا مرفوعى البنادق ، مطرق الرؤوس . ينتزعون أقدامهم من الأرض انتزاعا . ولا يعبأون بقطع الخشب المحترقة التى تتطاير حولهم ، ولا بسحب الدخان التى تحيط بهم . ولا تحدث اقدامهم العارية صوتا ، ولا يلتفتون يمنة ولا يسرة ..

قال بتلر :

— انظرى اليهم جيدا ، لكى تقولى لأولادك وأحفادك فى مستقبل الأيام انك شهدت بعينى رأسك مؤخرة جيشنا الظافر ..

فأثارت هذه العبارة غضبها وموجدتها ، وطغى شعورها بالكراهية لهذا الرجل . على كل شعور آخر بالخوف والجزع .

كانت تعلم أن سلامتها ، وسلامة الذين معها بيده وحده . ولكنها تقمت عليه سخريته من هؤلاء الجنود المتعبين ، وتذكرت شارل الذى مات ،وأشلى الذى يحتمل أن يكون قد لحق به .. وجميع الفتيان البواسل الذين يرقدون تحت التراب .. ونسيت انها كانت فى وقت ما تسخر منهم كما يسخر هو الآن .

ولكنها عندما تطلعت اليه .. رأته ينظر الى الجنود نظرة تفكير عميق .. وقد تلاشى من عينيه بريق السخرية .

قالت له :

— اسرع بحق السماء . . انهم ذهبوا

فتنهد .. ورفع رأسه كمن يفيق من حلم . . وساط الجواد فانطلق بالمركبة بين البيوت المحترقة . . ونفذ الى شارع آخر . . فالى شارع ثالث كل ذلك وبتلر لا يتحرك ولا ينطق بكلمة ، ولا يجفف العرق المتصبب على جبينه . وابتعدت المركبة عن منطقة النار ، ولفها الظلام والسكون ، وفزعت سكارليت من الصمت ، أضعاف فزعها من الضجة ، وودت لو تسمع صوت بتلر وهو يتكلم ، ويقول أى شيء ، ولو اهانة وسخرية

ضغطت ساعده بيدها وهمست :

— أواه يا رايت . ماذا كنا نصنع بدونك ، من حسن طالعنا انك لم تنضم الى الجيش

فنظر اليها بعينين شاردتين ، وقلب شفته ، وأشاح عنها بوجهه

وما لبثت المركبة أن خرجت الى الحقول ، ولفح النسيم وجه سكارليت . فتنفست ملء رئتيها

قال بتلر وهو يجذب عنان الجواد :

— قد غادرنا المدينة . ونحن الآن فى طريق ماكدونالد

— ولماذا أوقفت الجواد ؟ !

— لكى يستريح . .

ثم تحول اليها . وسأل ببطء :

— أما زلت مصممة على هذه الرحلة الجنونية يا سكارليت ؟ ؟

— ماذا ؟ ؟

— أما زلت تريدين الذهاب الى « تارا » . . هذا هو الانتحار بعينه . ان جيش الأعداء يسد الطريق أمامك . .

يالهى .. ألا يريدها على ان تواصل رحلتها . بعد كل هذا الذى عانته أجابت :

— نعم . . نعم . . أسرع بالله يارايت ، ان الجواد ليس متعبا .

— صبرا لحظة . . ليس فى استطاعتك الوصول الى (جونزبورو) بهذا الطريق ، انه الشريان الذى يعتمد عليه الجيشان فى قتالهم . فهل تعرفين طريقا آخر يصلح لسير المركبات ؟ ؟

— نعم . . نعم . . أعرف طريقا آخر . كنت وأبى نجتازه بمركبتنا .

— هـــذا حسن . . المهم الآن ان نحرص على الجواد . ولا تدعى أحدا ينتزعه منك .

— ماذا تعنى ؟ ؟ ألا ترافقنا ؟ ؟

— كلا . . سأتركـكم هنا .

فنظرت حولها فى جزع وحيرة . . الى الحقول المظلمة ، والى الطريق المقفر ، والى الظلام الموحش . ثم اليه . ترى هل جن . أم قد خانتها اذناها ؟ ؟

هتفت :

— تتركنا ! ! والى أين تذهب ؟ !

— سألحق بالجيش أيتها البنية العزيزة .

فتنهدت بارتياح .

انه يمزح بغير شك . فلطالما سخر ممن خدعتهم أقوال الخطباء ، وأغراهم دق الطبول على القاء أنفسهم فى حومة الوغى

همست :

— تبا لك . . لقد ازعجتنى .

— انى لا أمزح أيتها العزيزة . ويسوءنى ان لاتقابلى تضحيتى النبيلة بما هى خليقة به من اعجاب وتقـــدير . أين وطنيتك يافتاة ! ! ! وأين حماستك لقضية الوطن المقدس ؟ ؟ هذا هو الوقت الذى يجب أن تقولى لى فيه : اذهب . وعد الى حاملا درعك . أو محمولا عليه .

ماذا يقول هذا الرجل ؟ الوطن . الدرع . لا شك أنه لا يعى كلمة مما يقول .

صاحت . وهى تتعلق بساعده :

— بالله لا تمزح بارايت .

فتناول يدها ، وقبلها ببساطة . وقال :

— الأنانية الى النهاية ، هذا هو مبدؤك . أليس كذلك أيتها العزيزة ؟ انك لاتفكرين إلا فى نفسك ، ولكن تصورى ، كم سيكون انضمامى الى الجيش فى اللحظة الأخيرة مشجعا للروح المعنوية بين حماة الوطن ؟

— يجب أن تخجل من نفسك حين تتركنا هنا وحدنا . بغير عون

— انك لست بغير عون . وأى انسان مثلك أنانى قوى الارادة لا يمكن أن يكون بغير عون ، انى أسأل الله الرحمة لأى رجل من الاعداء تحدثه نفسه بالوقوف فى طريقك .

قال ذلك ووثب من المركبة ، وقال لها بلهجة الأمر :

— اقفزى .

فنظرت اليه فى دهشة . ولكنه مد يده . وانتزعها من مكانها فى المركبة . وأمسك ساعدها بشدة . وابتعد بها عن المركبة بضع خطوات

قال لها :

— لاأريدك على أن تفهمى . أو أن تصفحى ، فلست أعبأ بفهمك ، او بصفحك ، لانى لن أفهم نفسى . ولن أغفر لها هذه الحماقة ، وكل ماهنالك أننى شعرت الليلة بان الوطن يحتاج الى كل ابن من أبنائه . ومن البر بهذا الوطن أن ألبى نداءه . وأسرع الى نجدته .

« ليس فى مقدورى أن احبك كثيرا ياعزيزتى ، مالم أحب الشرف والوطن أكثر مما احبك »

هذه العبارة قالها رجل لا أذكر اسمه ، وهى طبعا افضل من أية عبارة يتفتق عنها ذهنى فى هذا الموقف .

انى أحبك ياسكارليت ، رغم كل ماقلت فى مقابلتنا الاخيرة . أحبك لانك تشبهيننى الى حد كبير . ولان كلينا وغد أنانى . لايهمه أن تحترق الدنيا مادام هو ينعم بالراحة والسلامة .

ولم تفهم سكارليت كلمة من حديثه . . كانت مضطربة الذهن . . شاردة اللب . . وعقلها المتعب يحاول عبثا ان يهضم هذه الحقيقة المزعجة . . حقيقة عزمه على ان يتركها وحدها بين الجيشين المتحاربين .

وفجأة . . انحنى بتلر فوقها . . وأحاط كتفيها بساعده . . وطبع على شفتيها قبلة حارة بطيئة . . مشت فى كل جسدها . . وأذهلتها عما حولها .

ما هكذا كان يقبلها شارل . . أو ستيوارت . . أو برنيت .

ولكنها سرعان ما تذكرت موقفه منها فعاودها سخطها عليه . . وكراهيتها له . . وانتزعت نفسها من أحضانه وهى تصيح :

— يالك من نذل !

ولم يسعفها ذهنها بشتمة أفبح . . من طراز الشتائم التى كان جيرالد أوهارا يمطرها على ابراهام لنكولن . . فرفعت يدها . . وأهوت بها على خده . . بكل ما بقى فى جسدها من قوة . . وهتفت :

— اذهب . . اذهب الآن . . لا أريد ان أرى وجهك الى الأبد . . وانى أسأل الله ان تصيبك قنبلة تبطش بك . . أسأل الله ان يرسل عليك وابلا من الرصاص . . يمزقك أربا . و . .

فقاطعها :

— لاضرورة لذكر الباقى . . انى أفهم وجهة نظرك . . وآمل متى مت فى سبيل الوطن ان تشعرى بوخز الضمير .

وضحك . ودار على عقبيه . . ومضى نحو المركبة . . وهناك تكلم بذلك الصوت الهادىء الرزين . . الذى اعتاد ان يتحدث به الى ميلانى

هتف :

— مدام ويلكس ؟ ؟

فأجابته دياسى فى فزع :

— انها لا تتحرك ياسيدى . . لقد أغمى عليها .

— ألم تمت ؟ ؟ هل تشعرين بأنفاسها ؟

— نعم . . انها تتنفس .

— حسنا . . لعل من الخير لها ان تفقد الرشد حتى لا تعانى آلام الرحلة . . أعنى بها يادياسى . . وها هو دولار لك

— شكرا لك ياسيدى

— وداعا ياسكارليت . .

ورفع قبعته تحييا . . فرمقته شزرا . . واجمها الغضب عن الكلام . . ولم تحول عينيها عنه حتى توارى فى الظلام . . وعندئذ فقط تذكرت

الشتائم التى تعبت فى البحث عنها . . ولكنها تذكرتها بعد الاوان فعضت شفتها . واسندت رأسها على عنق الجواد . . وانفجرت باكية

الفصل الرابع

فتحت سكارليت عينيها فى الصباح فبهرتهما اشعة الشمس المنبعثة من بين اغصان الشجر . ولم تدر اين هى . . ثم لم تلبث ان احست بقدمى ميلانى فوق وجهها . . وبرأس جيمس فوق ركبتيها . . ورأت ديلسى قابعة كالقطة السوداء تحت مقعد المركبة . وحينئذ تذكرت كل شىء واستوت جالسة . . وأجالت البصر حولها بسرعة . . وتنفست الصعداء حمدا لله . . لا اثر هناك للجند . .

تذكرت . . كما تذكر حلما مزعجا . كيف اضطرت مرارا أن تخوض المستنقعات وتنحرف فى الحقول فرارا من جنود لم تتبين فى الظلام ان كانوا اعداء او اصدقاء . . وكيف ضلت فى احدى الغابات . . وبكت غيظا وعجزا . . ثم كيف غاص الجواد فى الاوحال . . ورفض مواصلة السير . . فشدته الى شجرة وتمددت فى المركبة وغلبها التعب والنعاس فنامت . . وصوت ميلانى الضعيف يهتف بها فى ضراعة . . وكل نبرة من نبراته ارق من الاعتذار :

— سكارليت . . هل من جرعة ماء ؟ ؟

. . .

ونظرت الى ميلانى . . وحبست انفاسها ذعرا . وهلعا

كانت شاحبة اللون . . ساكنة كالموتى . . وعلى وجهها الممتقع طابع المرض والالم . .

وفتحت ميلانى عينيها السوداوين الغائرتين . وبللت شفتيها الجافتين بلسانها ، وهمست :

— جرعة ماء . .

فصاحت سكارليت :

— هلمى ياديلسى . . دعينا نبحث عن ماء وطعام . .

ثم فكرت فى الجواد ..

يالهى .. هب انه مات .. لقد كان مشرفا على الموت حين اوقفته وحلت وثاقه ..

وأسرعت الى الشجرة . ووجدت الجواد ممددا على الارض . وأنفاسه تتردد بصوت مسموع .

حمدا لله .. انه لا يزال على قيد الحياة . وجرعة ماء قد تنعشه . وترد عليه النشاط والقوة .

« * »

وحملت آنية . وانطلقت مع ديلسى الى الغابة . وعدت بعد قليل تحمل ماء . وتفاحا عاطبا .

« • »

ولكن الماء لم ينعش الجواد .

كان فى ضوء النهار أسوأ حالا مما تصورته فى الظلام

قبح الله بتلر .. لماذ لم يسرق جوادا أفضل من هذا ؟

وشدت الجواد الى المركبة . واستأنفت رحلتها

كان لا يزال أمامها خمسة عشر ميلا قبل أن تصل الى (تارا) وهى مسافة يقطعها هذا الجواد العجوز فى يوم كامل .

يوم كامل تحت وهج الشمس المحرقة . . فى طريق قذر ملىء بالحفر التى أحدثتها عجلات المدافع . ومركبات الجيش .

يوم كامل قبل أن تعرف هل ما زالت (تارا) فى الوجود ، وهل لاتزال هيلين أوهارا على قيد الحياة ؟ !

ما أعجب صروف القدر ! من كان يظن أن سكارليت اوهارا التى لم تعرف فى حياتها غير الرغد والنعم وراحة البال ترغم فى أحد الأيام على أن تجتاز الاميال تحت وهج الشمس فى مركبة محطمة تتحرك ببطء الساحفاة فى أرض مهجورة . وهى قهرة جائعة . لاتدرى كيف سيكون المصير ؟

كانت الى عهد قريب تنعم بالطمأنينة . وتعتقد كما يعتقد الجميع . أن « اتلانتا » لن تسقط ، وان « جورجيا » لن تغزى

ولكن السحابة الصغيرة التى تجمعت فى أفق الشمال منذ أربعة شهور لم تلبث أن تحولت الى زوبعـــة عاتية . اكتسحت دنياها . وعصفت بحياتها الهادئة الامينة . وقذفت بها فى هذه القفار الموحشة . .

ترى هل ما تزال تارا فى الوجود ، أم اكتسحتها العاصفـة كذلك . . فذهبت مع الريح ككل شىء ذى قيمة فى الحياة ! !

« * »

وأشرفت الشمس على المغيب . وسـارت المركبة الهوينا بين مزارع مقفرة . وقرى مهجورة تعرفها سكارليت حق المعرفة .

كانت تشم رائحة الموت فى الهواء . وكل قرية هجرها أهلهـا . وكل بيت خربته القنابل . وكل حقل اكتسحته النيران . كان يضاعف شعورها بالخوف والجزع

لم يقع بصرها على إنسان أو حيوان على قيد الحياة ، منذ الليلة السابقة . ولكنها رأت جثث القتلى والموتى من الناس والجيـاد والبغال مبعثرة على جوانب الطريق ، وعليها أسراب من الذباب ، وليس من بقـرة تخور ، أو طائر يغرد ، أو نسمة تحرك أوراق الشجر

سكون هائل . لا يقطعه سوى وقع حوافر الجواد العجوز وبكاء طفل ميلانى ليتها تستطيع فقط أن تصل الى « تارا » والى احضان هيلين ، لتلقى عن كتفيها الفتية . هـذا الحمل الثقيل ، هذه المرأة العليـلة ،

وهذين الطفلين الجائعين ، وهذه الزنجية المذعورة ، كل هؤلاء الذين يتطلعون اليها ، ملتمسين منها القوة ، والارشاد

* * *

وأخيرا ، انحدر الجواد بالمركبة على سفح التل المشرف على « تارا » ، وجففت سكارليت دموع الفرح التى ملأت عينيها ، وتوجهت ببصرها الى حيث يوجد البيت . ولكنها لم تر إلا الظلام . وهتف بها هاتف « انهم ذهبوا » .

ولكن لعلها لم تر جيدا .

وساءلت الجواد ، ورفض الجواد أن يسرع فى سيره .

وحملقت سكارليت فى الظلام . . حتى خيل اليها أن أعصاب عينيها توشك أن تنفصم .

لا . . ان عينيها لا تخدعانها . . وهاهى ترى الجدران البيضاء . . أشبه بالسحابة المضيئة فى الليل المظلم .

وثبت من مكانها . . وراحت تدفع المركبة بكل قوتها لتساعد الجواد على السير .

تريد ان تتأكد . تريد أن تلمس هذه الجدران العزيزة بيديها باسرع ما يمكن . تريد أن ترى أن للجدران سقفا لم تهدمه القنابل .

هل يمكن هذا ؟ ؟ هل يمكن أن تكون الحرب قد انتهت عند جدران تارا ؟ ؟

نعم . . لقد نجت « تارا » .

وتركت المركبة . . وانطلقت تعدو نحو البيت .

وفتح الباب فى تلك اللحظة . . وخرج منه شبح ، وهبط الشبح السلم ، ووقف هناك لا يحير حراكا .

وافرحتاه . . ان (تارا) لم تهجر ، ولا يزال بها آدميون .

واقترب الشبح بضع خطوات . . فحملقت نحوه ، وهتفت وهى بين الشك واليقين :

— أبى . . لقد عدت ، أنا سكارليت .

فمشى اليها جيرالد . . وهو هادىء صامت ، كمن يمشى وهو نائم ، والقى بيده على كتفها ، وأحست بتلك اليد تهتز وترتجف بشدة .

قال بصوت المتعب المكدود :

— ابنتى . .

ماذا أصاب الرجل ؟! واين صوته الرنان . . وضحكته المرحة ؟ ! ولماذا يرمقها بنظرات خائفة مذعورة ، كنظرات (ديلسى) ؟ !

ونسيت فى لحظة .. جميع الاسئلة التى كانت تتحير على شفتيها .

وسمع جيرالد انين ميلانى وبكاء طفلها فى المركبة فقالت سكارليت :

— انها ميلانى ، وطفلها ، وهى مريضة .. وقد جئت بهما .

فمشى جيرالد الى حيث كانت المركبة ، مشية ليس فيها شىء من حماسة صاحب (تارا) الكريم المضياف .

قال بصوت مرتجف :

— أهلا بك وسهلا يا ابنتى . هذا بيتك . لقد احترقت مزرعة « اوكس » . وقتل جون ويلكس . فيجب أن تبقى معنا .

وبهتت سكارليت .

احترقت مزرعة « اوكس » ، وقتل جون ويلكس ، كيف ؟! ولماذا ؟!

وفتح الباب مرة أخرى . . وخرج « بورك » . . وأقبل عليها مسرعا وجثا تحت قدميها ، وبلل يديها بدموعه وهو يهتف ببساطة الزنوج . . واخلاصهم :

— ما أسعد « بورك » . . ما أسعد « بورك » .

فلمست رأسه بلطف ورفق ، ومسحت دمعة أفلتت من عينيها وهمست :

— ان زوجتك فى المركبة يا « بورك » . . هل المربية هنا ؟! دعها تحمل الطفلين .

ثم تحولت الى ابيها . وأمسكت بيده . . وسالت بصوت خافت :

— هل هن بخير ياأبى ؟

— ان أختيك فى دور النقاهة

وساد صمت عميق ، وتولد فى الصمت خاطر مخيف ، لم تستطع التعبير عنه بالكلام .

ترى . . هل هذا هو السر فى ظلام « تارا » و

وأدرك جيرالد مايجول بخاطرها وأجاب :

— ان أمك . .

فهتفت :

— وأمى ؟ ؟

— انها ماتت أمس .

« ٠ »

وتأبطت ساعد أبيها ، ودخلت البيت . وأشاحت بوجهها عن غرفة هيلين ، وتجنبت المقعد الكبير الذى اعتادت هيلين ان تجلس عليه

ماتت أمس ؟ أ تمكن هذا ؟

ومن عجب انها أصبحت لاتشعر بشىء الآن ، الا التعب والجوع .

ستفكر فى امها فيما بعد . . أما الآن فيجب أن تستريح . . ويجب ان تأكل . .

ودعت اليها بورك وسألته :

— هل حملت ميلانى الى المنزل ؟ حسنا . لم هذا الظلام ؟ ألا توجد شموع . .

— لقد اخذوها جميعا ، ولم تبق الا شمعة واحدة نضيئها فقط عند الضرورة .

— جئنى بها .

فغاب بورك لحظة ، ثم عاد بالشمعة وأضاءها .

سألته :

— كم يوجد من الزنوج هنا ؟ !

— لقد هربوا جميعا وتبعوا الأعداء ، ولم يبق سواى والمربية

— هذا حسن ، انى جائعة يابورك ، ألا يوجد طعام ؟!

— كلا ياسيدتى ، لقد أخذوا الطعام كله

— والدجاج ؟

— أكلوه جميعا .

— والحديقة ؟ !

— أكلتها الجياد .

يا إلهى ، ألم يتركوا شيئا !! هل كان من الضرورى أن ينهبوا الأقوات ويتركوا النساء والأطفال يتضورون ، ألا يكفيهم انهم أحرقوا وقتلوا وخربوا . .

قالت :

— اننى أموت جوعا يا بورك ، ولا بد انهم لم يحفروا أرض الحديقة ، ويأخذوا ما فى جوفها من البطاطس ، أوقد نارا ، واطه بعض البطاطس ، وأسرع .

وانصرف بورك ، وبقيت مع أبيها ، فنظرت اليه بامعان ، وهالها جموده وشرود عينيه ، وتجعدات وجهه

سألته :

— لماذا لم يحرقوا البيت يا أبى ؟ !

فحملق فى وجهها ، وبدا عليه كأنه لم يسمع ، أو لم يفهم ، فكررت السؤال ، وحينئذ أجاب :

— لماذا ؟ ؟ لأنهم اتخذوه مركزا للقيادة .

— هذا البيت . . مركز للقيادة ؟ ؟

— نعم . . وقد شهدنا النار تنبعث من مزرعة « اوكس » ، ولكننا كنا نعلم ان هانيا قد انتقلت الى « ماكون » ، ولم يكن فى مقدورنا ان ان نرحل بمرضانا ، وقد هرب الزنوج ، وسرقوا جيادنا ومركباتنا .

وكان جيش الأعداء يزحف نحو « جونزبورو » ليقطع الخط الحديدى ، فتدفقوا علينا من كل ناحية بمدافعهم وخيلهم وعتادهم ، فاستقبلتهم بالباب ، وطلبوا الى ان أجلو عن البيت ليحرقوه ، فأجبتهم بأنهم يستطيعون ان يحرقوه ويهدموه فوق رأسى ، واننى لا أستطيع الرحيل بأختيك وأمك . .

فقالت بسرعة لتصرفه عن التفكير فى هيلين :

— نعم .. نعم .

— قلت لهم ان بالبيت مريضات بالتيفوئيد ، وان نقلهن معناه قتلهن ، فليحرقوا البيت بنا اذا شاءوا ، ولكننا لن نرحل عنه

وصمت ، ونظر حوله بعينين شاردتين . وفهمت سكارليت انه يبحث فى الجدار عن صور نزعت من مواضعها ، صور أسلاف له دافعوا وقتلوا فى الذود عن كل شبر من الأرض التى نشأوا فيها وحرثوها ، وزرعوها ، وأحيوها ، ونسلوا فيها .

استطرد :

— قلت لهم ، ان فى مقـــدورهم ان يحرقوا البيت وفيه ثلاث نساء مشرفات ، ولكننا لن نرحل .

وكان الضابط رجلا كريما .

— ماذا تقول يا أبى ، هل بين الشماليين رجل كريم ؟ ؟

— نعم يابنية ، انه كان رجلا كريما ، فقـد امتطى صهوة جواده وانطلق به ، وعاد بأحد الأطباء ، وفحص الطبيب أختيك وأمك .

— واخجلتاه ياأبى . . كيف سمحت لطبيب من الشماليين ان يلج مخادعهن ؟ ؟

— كانت لديه الادوية والعقاقير يابنية . . وليس لدينا منها شىء . . وقد انقذ أختيك . واوصى بالابقاء على البيت . . فاتخذوه مقرا للقيادة . . وامتلأت قاعاته جميعا . . — عدا قاعاتهن — بالضباط والجنود . . وامتلأت الحديقة بالجياد وانتزعوا النوافذ والاخشاب وحرقوها للتدفئة . . وذبحوا الابقار والخراف والدجاج ، ونهبوا القطن الذى ادخرناه . . واخذوا كل شىء حتى الصور والاثاث .

وصمت الرجل مرة أخرى . ولم تبرح عينيه تلك النظرة الشاردة المذهولة . .

ثم استطرد :

— وخاضوا المعركة من هنا . . من (تارا) . فكان قصف الدافع

يصم الآذان . .

— وأمى . . هل علمت بوجود الشماليين فى المبيت ؟

— كلا . . انها لم تعلم بذلك ابدا . . كانت فى غيبوبة دائمة . .

— حمدا لله . .

حمدا لله . . لأنها لم تعلم بان الارض التى كانت جزءا من قلبها قد صارت موطئا لنعال الاعداء . .

واستطرد الرجل فى بساطة :

— انى سعيد لانك عدت . .

« • »

وهكذا انتهى الطريق الطويل الشاق من (اتلانتا) إلى (تارا) بجدار اقسى من الصخر .. بعد اذ كانت تأمل أن ينتهى بها إلى احضان هيلين . فهى لن تكون بعد الآن الطفلة المدللة التى تنعم بالامن والطمأنينة تحت سقف ابيها . . وبالحب والحنان بين ساعدى أمها . وليس هناك من يريح كتفيها من هذا العبء الثقيل الذى تحمله .. فابوها شيخ مكدود قد اذهلته الصدمة . . واختاها عليلتان . . وميلانى طريحة الفراش . . والطفلان لاحول لهما ولا قوة . والزنوج يتطلعون اليها فى ثقة وايمان بان ابنة هيلين ستكون كأمها : الحصن الذى فيه يثوون . واليه يلجأون

* * *

وترامت المزرعة أمام باصرتيها تحت ضوء القمر المشرق . . أشبه ماتكون بجسد مثخن بالجراح .

تلك هى اذن نهاية الرحلة . . أرض مقفرة . . وشيخوخة مضطربة . . ومرض .. وأفواه جائعة .. فماذا تصنع ؟

الفصل الخامس

وفى الأيام التالية . . كانت (تارا) كأنها جزيرة مجدبة فى عرض البحر فقد نفق الجواد العجوز . وبموته انقطعت أسباب الاتصال بالعالم

الخارجى .

وفى أوقات الكد والكدح . . والعمل المضنى المتواصل لأطعام الافواه المفتوحة . . وإشباع البطون الجائعة . . كانت سكارليت تتوقف فى بعض الأحيان . . وترهف أذنيها لعلها ان تسمع الاصوات المألوفة . . أصوات الزنوج فى عودتهم من الحقل .. وخوار الماشية . وثغاء الخراف .. وصهيل جواد أبيها . . ولكنها كانت تنصت عبثا . . فالسكون شامل .. والمزرعة هادئة . . وليس ثمة سحابة من الغبار تبشر بقدوم زائر .

هناك . . فى مكان ما من الدنيا . . كانت توجد أسر سعيدة تأكل وتشرب . . وتنام هانئة مطمئنة الى المستقبل . وفتيات يخطرن فى ثيابهن الجميلة . . ويرقصن . . ويترنمن بأغنية « عندما تنتهى هذه الحرب القاسية » . . كما كانت تخطر وتترنم منذ أسابيع قلائل .

وفى مكان ما من الدنيا كانت المدافع تقصف . والقنابل تتفجر . . والمدن تحترق . . والرجال يتساقطون . . والجرحى يئنون .

نعم . . وفى مكان ما . . كانت الجيوش الجائعة . . العارية .. تنسحب وتتراجع . . وهى مكدودة . . متعبة . . ذلك التعب الذى يأتى عندما مايذهب الأمل .

أما (تارا) . . فقد كانت بمعزل عن الدنيا . . وبمعزل عن الحرب . . والدنيا والحرب وكل شىء فى الوجود يتلاشى ويتضاءل أمام مطالب البطون الخاوية . . والحياة كلها تتركز عندئذ فى شيئين . . الطعام . . وكيفية الحصول عليه .

« ٥ »

ووجدت سكارليت نفسها السيدة الآمرة الناهية المطلقة التصرف فى (تارا) .. فغلبت فيها غرائز البطش والجبروت ، ككل ضعيف ترفعه الظروف بغتة الى مكان السيادة .. ليس لأنها كانت غليظة القلب بطبيعتها . وانما لانها كانت خائفة مترددة ، ولا تريد أن يشعر بضعفها أحد .

وامتد طغيانها الى اختيها ، فما كادتا تبرحان فراش المرض . . حتى

راحت تصدر اليهما الاوامر ، وتحدد لكل منهما واجباتها ونوع العمل الذى يجب ان تضطلع به .

ولم تكن الفتاتان قد روضتا نفسيهما على الحقائق الثلاث . . اجتياح المزرعة . وفرار الزنوج . وموت هيلين . . فنظرتا الى سكارليت فى دهشة وحيرة ، وهتفت كارين :

— ولكن ياالختاه . . اذا اشتغلت بقطع الخشب وجنى القطن تلفت يداى ، وفقدتا رونقهما .

فصاحت سكارليت :

— انظرى الى يدى . .

وأشارت الى البثور والخدوش التى تملأ يديها .

« ٠ »

وهكذا وجدت من الضرورى لها فى هذا الزمن الذى اضطربت فيه مقاييس الحياة ، ان تتطور وفقا للظروف الجديدة . . فتبدل شعورها نحو كل انسان ، وكل شىء . . الا (تارا) .

كانت لاتعود من الحقل متعبة مكدودة ، وترى البيت وجدرانه البيضاء حتى يزخر قلبها بالحب والحنين . . وتنسى متاعب الحقل . . ولفحات الشمس ولذعات العوسج .

وكلما أرسلت البصر من النافذة . . ورأت الأرض الحمراء والعشب الأخضر والماء الرقراق .. أدركت لماذا يقتتل الناس ولماذا يحاربون .

لقد أخطأ بتلر حين قال ان الناس يحاربون من اجل المال .

كلا .. انهم يحاربون من أجل هذه الأرض الحمراء . . وفى سبيل هذا العشب وهذا الماء .. ليورثوها أولادهم .. وأحفادهم من بعد

والآن .. وقد ماتت هيلين . . وذهب أشلى . . وذهل جيرالد . . وهرب الزنوج . . لم يبق لها إلا (تارا) . وانها لجديرة بأن يناضل الانسان من أجلها لتبقى . . وسوف تبقى وتزهر ولو رويتها بالدم . . وقصمت فى سبيلها ظهور الجميع .

الفصل السادس

وذات يوم انطلق الجميع من البيت للعمل فى الحقل .. وصيد الأرانب البرية . وتخلفت سكارليت لألم أصاب قدمها .

وانها فى فراشها .. اذا بها تسمع وقع سنابك جواد يدنو من البيت .. فذكرها هذا الصوت بعهد مضى .. أيام كانت تنتظر أشلى .. وستيوارت وبرنيت .. ونهضت الى النافذة لترى من القادم . ووقع بصرها على فارس تدل ثيابه الزرقاء على انه جندى فى جيش الأعداء .

توارت خلف الستار .. وراحت ترقبه عن كثب .. فالفته رجلا يناهز الأربعين .. طويل اللحية .. كث الشعر .. ضيق العينين .. قد لفحت الشمس وجهه .

ووثب الرجل عن جواده .. وشده الى شجرة .. ودخل البيت

وحينئذ تذكرت سكارليت كل ما سمعته من قصص العدوان على النساء وذبح الشيوخ .. وقتل الأطفال بالحراب .. وخطر لها أول ما خطر أن تزحف حتى تصل إلى السلم .. ثم تلوذ بالفرار .

ولكنها ما كادت تصل إلى السلم .. حتى سمعت وقع أقدامه .. وهو ينتقل من غرفة إلى غرفة .. فجمد الدم فى عروقها .. ورفعت يدها إلى فمها لتمنع نفسها من الصياح .

وخرج الرجل من غرفة الطعام .. وتحول نحو المطبخ .

وهنا استحال خوفها إلى غضب .

كانت فى المطبخ آنيتان تحتويان خضرا أعدته للغـــداء . لغداء تسعة أشخاص جياع .. لا يكاد الخضر كله يشبع أحدهم .

قبح الله هؤلاء الأوغاد .. لقد هبطوا على (تارا) كالجراد فلم يبقوا فيها على شىء .. والآن يعيدون الكرة عليها .. ليجردوها .. حتى من هذا الطعام التافه .

وارتجفت غضبا .. وعادت إلى غرفتها .. وتناولت غدارة شارل .. وهبطت السلم مسرعة .

وسمع الرجل وقع خطواتها فصاح :

— من هذا ؟ ؟

فوقفت فى منتصف السلم . . وأخفت العدارة فى طيات ثوبها .

وخرج الرجل من احدى الغرف . . حاملا صندوقا صغيراً كانت هيلين تضع فيه أدوات الحياكة . . وبعضها من الفضة

وأحست سكارليت باسنانها تصطك . . ولكن الغضب كان يستعر فى شرايينها . .

وأبصر بها الرجل . . وابتسم ابتسامة مقيتة .

وقال ويده فوق مقبض غدارته :

— إذن فالبيت ليس خلوا . . هل أنت وحدك هنا ياصغيرتى الجميلة

وبأسرع من البرق . . انحنت سكارليت فوق حاجز السلم ، وسددت العدارة ، وأطلقتها ، فأرسل الرجل صرخة مزعجة ، وأفلت الصندوق ، وانقلب على وجهه .

وهبطت سكارليت السلم . . وهى لاتكاد تشعر بقدميها ، وحملقت فى وجه الرجل ، ورأت الدم يتفجر من ثقب فى جبينه .

وساد صمت عميق . . تضخمت فيه الأصوات ، حتى خيل اليها ان قلبها يقرع كالطبل .

لقد قتلت رجـــلا . . وهى التى كانت تشيح بوجهها لكيلا ترى أرنبا يذبح .

ثم وقع بصرها على صندوق أمها . . وغلى الدم فى عروقها ، وشعرت بسرور وحشى .

سرها انها انتقمت لتارا . . ولهيلين .

« • »

وفجأة . . سمعت وقع خطوات فى الطابق الأول ، فرفعت رأسها ، ورأت ميلانى فوق السلم ، وهى شاحبة اللون ، لامعة العينين ، وبيدها سيف شارل .

وفى هذه اللحظة . . نسيت سكارليت كراهتها لزوجة أشلى ، وغمرتها موجة أعجاب وإكبار .

هتفت بها :

— عودى الى فراشك أيتها الحمقاء . . انك تقتلين نفسك .

فهبطت ميلانى السلم وهى تجر ساقيها جراً . . وهمست :

— يجب أن نوارى جثته ياسكارليت . فقد يكون له رفاق

— كلا . . انه جاء وحده . ولم أر سواه .

— ومع ذلك يجب أن لا يعلم أحد بأمره . . واذا رآه الزنوج فقد يتكلمون . .

وفكرت سكارليت بسرعة .

قالت :

— سأواريه فى الحديقة . تحت احدى الاشجار . ولكن كيف نحمله ؟

— دعينى أساعدك .

— انك لاتستطيعين شيئا . . فعودى الى فراشك . وإلا حملك اليه عنوة

فاضاء وجه ميلانى بابتسامة حب وادراك . وقالت :

— شكراً لك أيتها العزيزة . ولكنى لاأستطيع أن أتخلى عنك فى هذه الورطة ولا أقل من أن أعمل على ازالة أثر الدم ربما تفرغين من دفن الجثة . ثم . . .

— ماذا ؟ .

— هل يكون من الحطة والدناءة أن نفتشه ؟ ؟ فربما نجد معه طعاما يؤكل .

وأدهش سكارليت . انها لم تسبق ميلانى الى التفكير فى ذلك . . وانحنت فوق الرجل بشىء من الامتعاض والنفور . وراحت تفتش ثيابه . ولم تلبث أن أخرجت من جيبه حافظة ضخمة

هتفت :

— ميلانى . . انها حافلة بالنقود .

وفتحت الحافظة . وأخرجت منها طائفة من ورق النقد المتداول فى الجنوب . . وهو ورق فقد قيمته بعد سلسلة الهزائم الأخيرة . . ولكنها

وجدت الى جانب ذلك بضع قطع ذهبية فصاحت :

— انظرى . . هذا معناه اننا سنأكل .

وعادت الى جيوب الرجل تفتشها باهتمام . فوجدت بها مجموعة عجيبة من الاشياء . وجدت قرطا ذهبيا صغيراً . وشمعة كبيرة . ومقصا من الذهب . وعقدا من اللؤلؤ .

وأبصرت ميلانى بهذه الاشياء وانكمشت فى مكانها وهمست :

— لص . . لقد سرق كل هذا .

— طبعاً . . وكان يريد أن يسرق المزيد منا .

— يسرنى أنك قتلته . . والآن اسرعى أيتها العزيزة قبل أن يفاجئنا أحد . .

فتناولت سكارليت قدمى الرجل . وقالت وهى تجتذبه نحو الباب :

— اذا سألك عن الجواد سائل . فاجيبى باننا وجدناه ضالا .

***

ولكن أحدا لم يسأل . فقد كانت هناك حرب . وكان جنود يهربون وجياد تشرد .

الفصل السابع

وقبيل عيد الميلاد . . جاء فرانك كنيدى وثلة من الجنود الى « تارا » لجمع المؤن والجياد للجيش .

كانوا فى حالة يرثى لها من الجوع والتعب والعرى وجميعهم — عدا فرانك — ممن فقدوا فى الحرب سواعدهم أو سيقانهم . . أو إحدى عيونهم . ولم يكن لدى سكارليت شىء مدخر تجود به على الجيش . . فاضافت الجنود ليلة . . وقدمت اليهم طعام العشاء . . وقضوا جميعا سهرة لم تخل من المرح رغم قسوة الظروف وسوء الأحوال .

وارتدت سولانج لهذه المناسبة أفضل ثيابها . . ولاحظت سكارليت أن فرانك لا يزال على عهدها به . . مشغوفا بسولانج . . ولكنه خجول يختلس اليها النظرات . . ولا يجرؤ على أكثر من ذلك

وكانت سكارليت ظمأى الى أنباء العالم والحرب .. فراح فرانك يسرد ما عنده .. قال ان الجنوبيين استردوا « اتلانتا » . ولكن بعد أن حرقها « شيرمان » وتركها أنقاضا .

قالت سكارليت :

— ولكنى ظننت انها احترقت ليلة ان غادرتها . . وان رجالنا هم الذين أحرقوها .

— كلا . اننا لانحرق المدن على رؤوس أهلها . . كل ما فعله رجالنا فى اتلانتا هو انهم نسفوا مصانع الذخيرة ومخازنها حتى لا يستولى عليها الاعداء .

— وماذا فعل (شيرمان) بالسكان . . هل قتلهم ؟

— قتل بعضهم . . ولكن بغير رصاص أو قنابل . فقد أمر محافظ المدينة باخلائها من السكان . . وأمهله بضع ساعات . . فخرج الناس . . وفيهم الشيخ والمريض . والنساء والاطفال . . خرجوا جميعا الى الغابات وسط أشد اعصار عرفته (اتلانتا) . . ولم يقو بعضهم على احتمال التعب والبرد . . فماتوا بالمئات .

فصاحت ميلانى :

ولكن لماذا فعل ذلك !؟ لقد كان السكان أعجز من أن يقاوموه أو يلحقوا به أذى .

— قال انه يريد جنوده على أن يستريحوا . . وقد استراحوا حتى منتصف شهر نوفمبر .. ثم أشعلوا النار فى المدينة .

فارتسم الذعر على وجوه النساء . وهالهن أن يتصورن تلك المدينة العظيمة الجميلة التى أحبنها وعشن فيها .. كومة من الاطلال والانقاض المحترقة . .

ولاحظ فرانك جزعهن .. فقال ليسرى عنهن :

ولكنى أبشركن بان بيت العمة (بيتى) لم يصب بأذى . . انه وجميع البيوت القائمة فى أطراف المدينة قد نجت من الحريق .. وقد رأيت العمة «بيتى» فى بيتها فى الاسبوع الماضى .

فتنفس الصعداء جميعا ، اذن لا يزال لديهن بيت فى (اتلانتا) يستطعن الالتجاء اليه عند الضرورة .

* * *

وبعد الطعام . . نهض الجنود ليفترشوا فناء الدار ، وقصد جيرالد وميلانى والفتاتان كل الى غرفته ، وتخلف فرانك كنيدى .

قال محدثا سكارليت :

— هل استطيع أن أتحدث اليك على انفراد ؟ !

فذعرت . . وظنت انه يريدها على ان تتبرع بالقليل الذى عندها للجيش ، ولكنه قال بصوت حزين :

— كم أسفت لفجيعتك فى هيلين ؟ ؟

— بالله . . دع الحديث عنها .

— وأبوك . . هل كانت هذه حاله منذ . .

— نعم . . لقد رأيته بنفسك

— انها كانت محور حياته .

— بالله دع الحديث عنها

— معذرة يا سكارليت . . الواقع . . انى كنت أريد ان أتحدث إلى أبيك فى أمر . . ولكن لا فائدة من ذلك الآن .

— ربما استطعت أن أعاونك يامستر كنيدى . . أنت ترى . . انى أشرف على شؤون الأسرة .

فعبث بلحيته القصيرة باصابع مضطربة وتمتم :

— الحق انى . . كنت أريد أن أسأله يد سولانج .

فهتفت مصطنعة الدهشة :

— هل تريد أن تقول انك لم تسأله ذلك قبل الآن ؟

فاحمر وجهه خجلا وأجاب :

— لم أكن على يقين من أنها ستوافق . . انى أكبر منهـــا سنا . .

وكان هناك فتيان كثيرون يترددون على (تارا) .

فقالت لنفسها :

— انهم كانوا يترددون من أجلى . . لا من أجلها .

واستطرد فرانك :

— ومازلت ارتاب فى انها ستوافق . . لقد اردت أن اصارح مستر اوهارا بالحقيقة .. وهى اننى لاامتلك الآن غير جوادى والثوب الذى ارتديه كنت غنيا قبل الحرب . . ولما انخرطت فى الجيش . . بعت اكثر املاكى . . واشتريت سندات حكومية . . اصبحت الآن لا تساوى اكثر من ثمن الورق الذى طبعت عليه . . وفضلا عن ذلك فقد احترقت هذه السندات عندما حرق الاعداء بيت أختى .

اعلم أنه من المؤلم أن اطلب يد سولانج فى هذه الظروف التعسة ولكن . . من كان يعلم ان كل شىء سينقلب رأسا على عقب . .

لم يبق فى الدنيا شىء يمكن الركون اليه . . والاعتماد عليه . . وقد فكرت فى انه سيكون من دواعى سعادتى .. وربما سعادتها كذلك ان اتقدم لخطوبتها على أن أقترن بها فيما بعد حين أستطيع الانفاق عليها . . وأؤكد لك اننى لن أدخر حينئذ وسعاً فى اسعادها واثرائها .

وكان يتكلم فى بساطة . . واخلاص . . فعجبت سكارليت . . كيف يمكن لانسان أن يحب سولانج . وهى كما تعلم مثل حى للانانية . وغلظة القلب . .

قالت فى لطف :

— حسنا يامستر كنيدى . أظن اننى أستطيع التحدث الى أبى فى هذا الصدد . . لقد كان ينتظر ذلك منذ زمن . .

فصاح وقد انبسطت أسارير وجهه سرورا وغبطة :

— أحقا تقولين . .

— نعم .. وفى مقدورك أن تستطلع رأى سولانج . . سأبعث بها اليك فى التو واللحظة .

— شكرا لك ياسكارليت . . ما أكرمك ؟

ومضت سكارليت الى غرفة أختها وهى تقول لنفسها :

— وا أسفاه . . ليته يقترن بها فى الحال . . ليوفر لنا طعامها ! !

الفصل الثامن

وفى شهر ابريل التالى . . خسر الجنرال جونستون معركة (كارولينا) والقى السلاح . . ووضعت الحرب أوزارها . . ولكن النبأ لم يصل الى (تارا) الا بعد أسبوعين . حين بدأ الجنود المسرحون يعودون الى قراهم وبيوتهم . .

نعم . . وضعت الحرب أوزارها . . وخسر الجنوب المعركة التى التهمت الآباء والازواج . والاخوة. وخربت الدور . وشردت العائلات. . وأكلت الأخضر واليابس .

ولكن سكارليت لم تحزن ولم تبتئس . فى استطاعتها الآن أن تأمن على جوادها وبقرتها ومزرعتها من عدوان الشماليين والجنوبيين على السواء .

بشرى للسيدات

ماء العروسة التركى ن ١٨

ماء العروسة يبيض وينعم ويزيل الحبوب والبقع من الوجه

ماء العروسة يستعمله جميع ممثلات العالم لتنعيم الجسم والبشرة وإعطائهما رونقا جميلا جذابا

ماء العروسة يثبت فى الوجه ٢٤ ساعة

ماء العروسة مستخرج كيماوى من البـــان أشجار الاناضول بواسطة كيماوى الاتراك

ماء العروسة خال من الاسبداج البنـدق والبودرات المضرة للجلد ويرىء منهما

ماء العروسة ثمنه من ٥ إلى ٣٠ قرشا

ماء العروسة يوجد فقط بمحلات عثمان بك نورى بالموسكى بمصر

وفى استطاعتها الآن أن تنتظر عودة أشلى، اذا كان لا يزال على قيد الحياة .. لتقول له .. هأنذا قد أوفيت بعهدى .

ومن عجب أن التجارب التى كست قلبها غلافا من القساوة والجشع .. وخلقت من فتاة تارا المدللة امرأة صلبة العود .. صارمة النظرات تحصى الدريهمات وتحرص عليها .. ولا تتورع فى سبيلها عن أداء أحقر الأعمال التى كان يضطلع بها الزنوج .. هذه التجارب لم تستطع أن تطفىء الركن المضىء من قلبها .. حيث يهجع حبها لأشلى .. وأملها الوطيد فى لقائه .. فهى تعد الساعات والأيام فى انتظاره .. ولاتكف عن الاستفسار من كل عابر سبيل من الجنود المسرحين عن أنبائه

« . »

ومر المسرحون بالمزرعة جماعات ووحدانا .. كلهم يطلبون ماء .. وطعاما .. ومأوى .

ولعنت سكارليت تقاليد الضيافة القديمة التى شاعت فى عهد الرخاء والكثرة ، وكانت تحتم الترحيب بعابر السبيل واطعامه وإيوائه ، ورأت أن هذا العهد قد مضى واندثر .. ولكن ميلانى والأخريات .. والجنود كانوا يرون غير ذلك

ولما وجدت أن الجند يلتهمون طعام الاسرة .. والخضر الذى غرسته بيدها .. وانقصم ظهرها فى انمائه .. أمرت « بورك » الا يضع على المائدة فى حضرة الجنود إلا أتفه الطعام .. ولكنها ما لبثت ان لاحظت ان ميلانى — وكانت لا تزال ضعيفة هزيلة — تنزل عن طعامها للضيوف وتقنع بالقليل .

قالت تزجرها :

— يجب ان تكفى عن ذلك ياميلانى .. والا أقعدك المرض عن العمل والحقل يحتاج الى جميع الايدى .

دعيهم يذهبون جياعا .. فقد جاعوا أربعة أعوام .. ولا ضير عليهم اذا امتد جوعهم أياما أخرى .

فاغرورقت عينا ميلانى بالدموع وأجابت :

— لا تلوميني يا سكارليت .. أنت لا تعلمين كم ينفس ذلك عني، ويريح ضميري .. قد يكون اشلي في طريقه الآن الينا ، وقد تشفق به احدى النساء .. فتعطيه نصيبها من الطعام ليقوى على المسير

فصمتت سكارليت .

ولاحظت ميلاني بعد ذلك .. ان الطعام يوضع على المائدة بغير حساب .

* * *

وفي أحد الايام .. جاءهم جندي يحمل على ظهر جواده ضابطا في مقتبل العمر وجده فاقد الرشد على قارعة الطريق .. وقد توفي هذا الضابط التعس قبل ان يعود الى صوابه .

كان شابا وسيم الطلعة .. تدل تقاطيع وجهه على نبل المحتد وعراقة الأصلاب .

لا شك انه كانت هناك في احدى مدن الجنوب امرأة تنتظره على قارعة الطريق .. وتعجب لماذا لم يعد .. وتأمل في أن تراه مقبلا .

وقد حزنت النسوة لموته .. ورافقته ميلاني إلى المقبرة . وبكته بكاء مراً .. وتصورت أشلي وهو يغيب في التراب بايدي الاغراب .. كما غيب هذا الشاب المسكين ..

وبعد بضعة أيام .. جاءهم جندي آخر محمولا على كتف زميله .

كان مصابا بالتهاب رئوي .. وقد غاب عن صوابه .. واشفقت النسوة أن يلحق بذلك الضابط .

ولكنه تماثل إلى الشفاء بعد أسابيع طويلة .. وقال لهن إن اسمه ويليم بانتين .. وانه كان سجينا في أحد معتقلات الاعداء .. ولكنه لم يذكر لهن شيئا عن حسبه ونسبه .. ولم يردد في غيبوبته أو في صحوه اسم أم أو أخت .. أو زوجة .

وطال زمن نقاهته .. فقضى شهرين في الفراش لا يأتي بحركة ولايتكلم الا قليلا .. ولكنه كان يرى .. ويسمع .. ويلاحظ .. ولم

يلبث أن عرف كل صغيرة وكبيرة من دخائل الأسرة. ووثقت به النسوة . فكن يبثثنه شكاواهن . ويحدثنه بمتاعبهن وآمالهن . . حتى سكارليت . كانت تلجأ اليه فى بعض الاحيان تسأله النصيحة والارشاد . .

ولما استطاع الحراك . . أخذ يجول فى البيت . ويصلح من الاثاث ماحطمه الجنود . . ثم خرج بعد ذلك الى الحقل ليعمل مع العاملين .

قال لسكارليت :

— انك احسنت الى . . انا الغريب عنك . وسأبقى هنا . . اعمل فى خدمتك لافى بعض دينى . . ليس فى مقدورى أن أفى الدين كله لأنه لايوجد انسان يستطيع أن يدفع ثمن حياته

. . .

واضطلع بأشق الأعمال . . فى صمت وجلد واخلاص . وأثبت انه تاجر لبق بقدر ماهو فلاح بارع ، واندمج فى الأسرة حتى أصبح كواحد من أفرادها . ولم يشر تلميحا أو تصريحا الى اعتزامه الرحيل عن تارا حالا أو مستقبلا ، وحرصت سكارليت على أن لاتنبهه الى الرحيل ، حتى لاتفقد معونته ، ولو قد فكر فى الرحيل لتوسلت اليه أن يبقى ، فقد صار عاملا مهما من عوامل الطمأنينة والانتاج لايمكن الاستغناء عنه .

* * *

وفى أحد أيام شهر سبتمبر . . بينما كانوا يتناولون طعام الغداء فى الحديقة ، ووليم يداعب طفل ميلانى ويلاعبه ، اذا بسولاج تقول بغتة :

— هوذا ضيف جديد . .

فارسلت سكارليت البصر الى حيث كانت تنظر سولاج . . ورأت رجلا طويل اللحية رث الثياب يقترب من البيت ببطء .

قالت :

— ظننت أننا استرحنا من هؤلاء الجنود .

قال ويليم :

— لا شك انه جائع . .

ونهضت ميلانى وهى تقول :

يجب أن أعد له شيئا يأكله . . انى أرى على وجهه . . .

وصمتت فجأة . ونظرت اليها سكارليت . فرأت يديها ترتجفان . . ووجهها شاحب كوجوه الموتى . . ورأت جسمها الهزيل يترنح ، فوثبت من مقعدها . لتمنعها من السقوط .

ولكن ميلانى أبعدتها بيدها . وانطلقت تعدو فى الحديقة . ويداها مبسوطتان الى الأمام .

وتنبهت سكارليت الى ماحدث . ووثب قلبها . ثم كف عن الحركة . ثم عاود وثباته .

ورأت ميلانى ترتمى فى أحضان الجندى . ورأس الجندى ينحنى فوقها .

فهمت بدورها أن تنطلق فى إثر ميلانى . . ولكن ويليم أمسك بساعدها بقوة وقال فى هدوء :

— دعيهما . . لاتفسدى عليهما سعادة اللقاء .

— دعنى أيها الأحمق . . دعنى . . انه أشلى .

ولكنه لم يترك ساعدها وهمس :

— انه زوجها . . أليس كذلك ؟

ورمقها بنظرة فهم وادراك .

القسم الرابع

الفصل الاول

جلست سكارليت أمام مكتب أبيها . وراحت تكتب رسالة للعمة بيتى توضح فيها للمرة العاشرة لماذا لاتستطيع هى أو أشلى وميلانى مغادرة (تارا) والاقامة معها فى (اتلانتا) .

كانت تكتب فى ضجر وملالة . لأنها تعلم أن العمة بيتى لن تقرأ سوى السطور الأولى . ثم تسرع الى القلم لتكتب اليها « ان الوحدة تخنقنى

وانى أنتظركم بفروغ صبر » .

وشعرت سكارليت باصابعها تتجمد من البرد . فوضعت القلم . وفركت يديها بقوة . وأحاطت قدميها بخرقة بالية . وتناولت القلم وهمت باتمام الرسالة ولكنها سمعت صوت ويليم عند الباب . فتركت القلم مرة أخرى . . وتحولت اليه .

كان قد عاد لتوه من (جونزبورو) حيث ذهب لابتياع بعض الحنطة . فابتسمت سكارليت اشفاقا حين رأت أنفه الأحمر وشعره المشعث

سألها وفى عينيه نظرة غامضة :

— كم عندك من المال يا سكارليت ؟

فاجابته بشىء من الخشونة :

— لماذا ؟ هل تريد أن تقترن بى لمالى ؟

كلا . . فقط أردت أن أعرف .

ورأت على وجهه دلائل التفكير . فثارت ريبتها وفضولها وأجابت :

— لدى عشرة دولارات ذهبية . هى كل مابقى من مال اللص الذى قتلته . .

— انها لا تكفى .

— لاتكفى ماذا ؟

فاجاب وهو يبسط كفيه فوق النار المتأججة فى الموقد :

— لاتكفى لسداد الضرائب .

— الضرائب ؟ ولكنك تعلم أننا دفعنا الضرائب ياويليم .

— نعم . . ولكن هذه الضرائب أقل بكثير مما يجب . . هكذا يزعمون فى (جونزبورو)

لا أستطيع أن أفهمك ياويليم . . ماذا تعنى ؟

— انى أكره أن أحملك من الهموم والمتاعب أكثر مما تحملين . . ولكنى أرى لزاما على أن اصارحك بالحقيقة . . ان القوم يقولون ان (تارا) يجب ان تدفع المزيد . . وقد وضعوها فى الصف الأول بين المزارع المنتجة فى هذه الولاية

— ولكنهم لا يستطيعون ارغامنا على دفع الضريبة مرتين .

— أنت لاتذهبين الى « جونزبورو » الا نادراً . . وهذا من حسن حظك . . ولو قد ذهبت اليها مراراً لعلمت ان مقاليد الأمور قد صارت الى أيدى الخونة والزنوج . . وان هؤلاء وأولئك يعملون على استنزاف أرزاق الناس . . بدعوى جباية الاموال لمكتب « تحرير العبيد » . . وهو المكتب الذى أنشأه الاعداء وجعلوا له فروعاً فى أنحاء الجنوب . . لبث الفتنة فى نفوس الزنوج . . وتأليبهم على سادتهم السابقين . . ولما قيل ان الضريبة على « تارا » قد ضوعفت مراراً . . تقصيت الأمر . . وعلمت ان هناك من يتطلع الى شراء المزرعة بأبخس الأثمان اذا عجزت عن دفع الضريبة وطرحت المزرعة للبيع بالمزاد . . والجميع واثقون من انك ستعجزين حتما . . وقد يدهشك ان تعلمى ان هذا الذى يكيد لك . ويطمع فى مزرعتك ليس الا جوناس ويلكنسون . . الزنجى . . الذى كان يشرف على عمل الزنوج فى « تارا » .

. . .

قال ذلك . . وجلس على مقعد أمام الموقد . . وراح يصطلى .

ونظرت اليه سكارليت فى دهشة وعجبت كيف يستطيع ان يتحدث عن ضياع « تارا » بمثل هذه البساطة

تباع بالمزاد ؟ ؟ والى أين يذهبون ؟ ؟ كلا . . ان هذا لا يصدق .

هتفت :

— يا الهى . . كنت أظن ان الحرب انتهت . . وان متاعبنا قد زالت .

— كلا . . ان المتاعب قد بدأت . . انهم يعاملوننا كأمة مغلوبة . . والبطش والانتقام هما شرعة الغالبين .

— وكم يريدوننا على أن ندفع ؟ ؟

— ثلثمائة دولار .

— فجمدت فى مكانها .

ثلثمائة دولار ! ؟ ؟ يا الهى . . وأين نجد هذا المبلغ .

وخيل اليها ان قلبها قد استحال الى قطعة من الرصاص .

غمغمت :

— نعم . . أين نجد هذا المبلغ .

وفكرت لحظة . . ثم هتفت :

— فى استطاعتنا ان نبيع القرط الذى وجدته فى جيب القص .

— انك لست حمقاء . . ولكنك تتكلمين فى بعض الأحيان كالحمقى . من ذا الذى يملك ثمن قرط ؟ ؟ ان الناس لايملكون ثمن الخبز . فضلا عن ثمن الحلى واللآلىء . واذا كان لديك عشرة دولارات ذهبية ، فأنت حقا أغنى أهل هذه الناحية .

وساد الصمت . . وشعرت سكارليت كما لو كانت تنطح برأسها جدارا ، وكم من الجدران نطحت خلال هذا العام

سألت :

أين أشلى ويلكس ؟

انه يقتطع شجرة فى الحقل .

يجب أن أراه . . فقد يخرجنا برأيه من هذا المأزق .

« * »

وجدته واقفا فى الحقل . . والفأس باحدى يديه . . وهو يجفف عرقه بظاهر يده الأخرى .

كان يرتدى سروالا مهلهلا . . وقميصا استعاره من جيرالد . . فلما رأته فى اطماره . . والفأس فى يده . . والعرق يتصبب على جبينه أحست بقلبها يذوب رحمة به . . وحبا له . . ونقمة على القدر . .

انه لم يخلق لشىء من هذا . . وانه لا هون عليها أن تتناول الفأس . . وتقتطع الأشجار بيديها . . من أن تراه يتصبب عرقا فى زمهرير الشتاء !

حدثته بنبأ الضريبة الجديدة . . فاصغى اليها . . ولكنه لم يقل شيئا . ورآها ترتعد من البرد . . فوضع رداءه على كتفيها .

سألته :

— الست ترى من الضرورى ان نحصل على المال بأية وسيلة ؟ !

— نعم . . ولكن كيف ؟ !

فقالت فى ضجر :

— إننى أسألك .

يا إلهى . . ما أشد جموده . . اذا لم يكن فى مقدوره ان يمد اليها يد المساعدة . . فلماذا لا يقول لها ولو كلمة على سبيل الترفيه . .

قال وهو يبتسم :

— انى طيلة الوقت الذى قضيته فى (اتلانتا) لم أسمع الا عن شخص واحد يملك مالا كثيراً . . وذلك هو رايت بتلر .

وكانت العمة بيتى قد كتبت الى ميلانى منذ أسبوع بان الكابتن بتلر عاد الى (اتلانتا) . . وانه يبعثر النقود ذات اليمين وذات اليسار . . ويذرع شوارع المدينة فى مركبة فخمة يجرها جوادان كريمان . . وان الناس جميعا يعتقدون انه حصل على ثروته بوسائل غير مشروعة

قالت سكارليت :

— دعنا من هذا الرجل . . انه وغد رديء . . ربما . . كيف سيكون مصيرنا ؟ !

فترك أشلى الفأس . . وشرد بصره فى الفضاء كأنه ينظر الى شىء بعيد . . وغمغم :

— نعم . . انى أعجب ماذا سيكون من أمرنا . . هنا . . بل ماذا سيكون من أمر أهل الجنوب جميعا ؟

فهمت بان تصرخ فى وجهه :

— ليذهب أهل الجنوب الى جهنم . . فلا يهمنى إلا مصيرنا نحن . .

ولكنها كانت تشعر بالتعب والملالة . . فلزمت الصمت .

قال أشلى :

— سيكون مصيرنا آخر الأمر . . مصير كل شعب تقوضت مدنيته . فيطفو فوق الحطام كل ذى عقل وشجاعة . . ويهلك من لا عقل له ولا شجاعة . . وعلى كل حال قد كان من دواعى التسلية أن نشهد هلاك الآلهة

— ماذا تعنى ؟ .

— أعنى اننا كنا لسوء الحظ نتوهم أننا آلهة .

فهتفت :

— بحق السماء ياأشلى ويلكس . ألا ترى اننا نوشك أن نهلك تحت الحطام . وان هذه العبارات الجوفاء وحدها لاتنقذنا ؟.

ونفذت كلماتها الى وعيه . فانتفض كمن يفيق من حلم . وتناول يديها بين يديه فى رفق . وتأمل البثور التى تشوه راحتيها وقال :

— هاتان اليدان هما أجمل مارأيت .

ورفع يديها الى شفتيه واستطرد :

— انهما جميلتان . . لأنهما قويتان . . ولأن بثورهما أشرف من الأوسمة . وكل خدش فيهما جزاء للشجاعة والتضحية والفداء .

لقد اخشوشنت يداك من أجلنا جميعا . من أجل أبيك . وأخواتك . . وولدك . ومن أجلى . وأجل ميلانى .. أيتها العزيزة . أنا أعلم فيم تفكرين . أنت تقولين لنفسك « مالى أرى هذا الغر يتحدث عن الآلهة الذين هلكوا . . بينما الأحياء يهلكون . » . أليس كذلك ؟

فاطرقت برأسها . . وتمنت أن يظل ممسكا بيديها الى الابد .

ولكنه افلتهما . . واستطرد :

— انك جئتنى املا فى أن أساعدك . . ولكن وا أسفاه . . أنا عاجز عن مساعدتك .

ونظر إلى القأس وإلى الشجرة بمرارة وقال :

— لقد ذهب بيتى . . وذهبت ثروتى . . ولست أصلح لشىء فى هذا العالم . . لأن العالم الذى انتمى اليه قد ذهب . .

ليس فى مقدورى أن أساعدك ياسكارليت الا بأن أتعلم الفلاحة بقدر الامكان . . ولكن ذلك لن ينقذ (تارا)

هل تظنين اننى لا أشعر بمرارة موقفنا . . ونحن نعيش هنا من فضلك واحسانك ؟ ؟ نعم ياسكارليت . . اننا نعيش من فضلك واحسانك . . ولن يكون فى استطاعتى أن اجزيك عما فعلت من اجلنا شفقة منك ورحمة . وكل يوم ينقضى . . يضاعف شعورى بكرمك ونبلك . . ويضاعف احساسى بعجزى عن تدارك الكارثة التى نزلت بنا . . ويجعل من التعذر

على وقد طبعت على الفرار من الحقائق . . ان أواجه الحقائق الجديدة . . هل تفهمين ماذا اعنى ؟

فأطرقت برأسها ايجابا . . ولكنها لم تفهم تماما ماذا يعنى .

كانت تلك أول مرة يكشف فيها عن خبيئة نفسه . . فحبست أنفاسها . . واصغت اليه بكل حواسها . .

قال :

— انها نقمة من السماء أن يهرب الانسان من رؤية الحقائق العارية وقبل الحرب . . لم تكن الحياة فى نظرى اقرب الى الحقيقة من خيال يتحرك على ستار . . وكنت أود أن أراها كذلك دائما . . لأننى ممن يؤثرون الشك على اليقين .

وابتسم ابتسامة كالحة . ونفذ الهواء البارد من قميصه الرقيق فارتجف .

قال :

— وبعبارة اخرى يا سكارليت . . انى رجل جبان .

ولكنها كانت تعلم ان هذه ليست الحقيقة . . وأن كل عضلة فى جسده وكل قسمة من قسمات وجهه . . تنم عن شجاعة عريقة . ونبل موروث .

أجابت :

— إنك لست جبانا . . وهل يبلى الجبان فى الحرب مثلما أبليت ؟ ؟

— إن حسن البلاء فى الحرب ليس شجاعة . . فالقتال كالخمر يلهب دم الشجعان والجبناء على السواء . . وأى جبان يستطيع أن يصبح بطلا فى ميدان للقتال . . متى علم أنه اما أن يتشجع أو يقتل .

على أننى جبان من طراز آخر . . فانى لا أخاف الموت . وانما أخاف الحياة . .

وكان يتكلم ببطء . . كأنما يؤلمه أن يتكلم على الاطلاق . . وحملقت سكارليت فى وجهه بعينيها الخضراوين الواسعتين . . وسألته فى رفق :

— وماذا يخيفك يا أشلى ؟ ؟

— أشياء لا اسم لها . . اشياء قد تبدو سخيفة اذا فصلتها . إننى أخاف ابسط حقائق الحياة .

لقد كانت الحيـاة جميلة قبل الحرب يا سكارليت . . كانت فيهـا طلاوة وكان لها كمال الفن الاغريقي ونبله . . وقد كنت جزءا من تلك الحيـاة . . ولـكنها ذهبت .. ولست أجد لنفسي محلا في هذا العالم الجديد .

ان أنين الجرحى .. ودماء القتلى .. وتنـاثر الأشلاء ليس أسوأ ما في الحرب يا سكارليت .. بل هناك ماهو أسوأ من كل ذلك . . هناك النـاس الذين كنت مضطرا أن أعاشرهم في ميدان القتال .

لقد كنت طيلة حياتي شديد الزهد في معاشرة الناس . . شديد الحرص في اختيار اصدقائي القلائل . . الى أن جاءت الحرب فعرفتني انني كنت اعيش في عالم وهمي وسط قوم من صنع الخيال .. وعلمتني حقيقة الناس .. ولـكنها للاسف لم تعلمني كيف اعيش معهم .. واني اخشى أن لا اتعلم ذلك ابدا . .

والآن . . لـكي اكفل الطعام لزوجتي وولدي . . يجب على أن اشق طريقي في عالم لا أفهم اهله . . وذلك ما يخيفني . .

اما انت ياسكارليت . . فانك تمسكين الحياة بقرونها . . وتخضعينها لارادتك . .

فقالت في ذعر :

— ولـكن يجب ان نصنع شيئا ياأشلي .. والاهلـكنا جوعا . .

فارسل أشلي بصره الى الفضاء مرة أخرى . . وادركت سكارليت أنه يفـكر في شيء آخر غير الهلاك جوعا . .

كانا اشبه بشخصين يتحدثان بلغتين مختلفتين . . ولـكنها كانت تحبه وتشعر عندما يتحول عنها ببصره وشعوره وتفـكيره . . كما فعل في تلك اللحظة . . كأن الشمس قد غابت عنها فجأة . . وتركتها ترتجف في الصقيع

* * *

ودت لو أن في استطاعتها أن تمسك بكتفيه . وتضمه الى صدرها . وتشعره بانها من لحم ودم . . وليست شيئا من صنع الخيال والوهم . .

قال :

— ان الجوع شيء مزعج . . وقد جربته . . ولـكنه لايخيفني . انما

يخيفني ان اواجه حياة مقفرة من اسباب الجمال والطمأنينة والوحدة التي الفتها .

كان يتكلم بلغة قد لايفهمها احد سوى ميلاني .. لانها مثله تعيش في جو من الخيال وتلوذ مثله باشعة القمر ورماد النجوم .

لم يكن يخشى ماتخشاه هي من عضات الجوع . . وقرصات البرد . . بل كان يخشى اشياء لاتستطيع هي ان تفهمها او تتصورها . . وفي الحق ماذا يمكن ان يخيف الانسان في عالم متهدم غير الجوع والبرد . . وضياع المأوى .

قال أشلي :

— معذرة ياسكارليت . . انني لا أستطيع ان أجعلك تفهمين . . لأنك لاتعرفين معنى الخوف . . . ولأن لك قلبا باسلا وخيالا محدوداً . . واني أغبطك عليهما معاً . .

أنت لاترهبين الحقائق . . . ولذلك لاتريدين الفرار منها كما أريد . .

فرددت بحماسة :

— الفرار ! ! !

وكأنها لم تفهم من كل حديثه سوى هذه الكلمة . .

إذن فهو مثلها متعب من النضال . . . ويريد الفرار . . .

قالت وأنفاسها تتردد بسرعة :

— أنت مخطىء يا أشلي . . فاني كذلك متعبة وأريد الفرار . .

فقطب حاجبيه ولم يصدق . . وأمسكت ساعده بيد محمومة واستطردت بسرعة :

— اصغ الي يا أشلي .. أؤكد لك انني متعبة منهوكة القوى . ولا طاقة لي على الكفاح . . أكثر مما كافحت . . لقد ناضلت كثيرا في سبيل الطعام . . وفي سبيل المال . . فرثت الأرض وغرستها . . وأرويتها . . وجنيت حصادها . . حتى لأكاد أموت تعبا ونصبا . بيد ان الجنوب قد مات ياأشلي .. انه مات . . ولا رجعة له . . وقد استولى أهل الشمال . . والزنوج على كل شيء . . ولم يتركوا لنا شيئا . . فدعنا نفر يا أشلي . .

فنظر اليها بحدة . . . وأدهشه بريق عينيها . . واحمرار وجهها . .
قالت :

— نعم . . دعنا نفر . . ونتركهم جميعا . . لقد تعبت من الكد فى سبيل الغير . . انهم سوف يجدون من يطعمهم ويؤيهم . . والله يهيء دائما من يعنى باولئك الذين لايستطيعون العناية بانفسهم . .

لنفر معا يا اشلى . . ولنذهب الى المكسيك مثلا . . ان الجيش المكسيكى يحتاج الى ضباط . . سنكون سعداء هناك يا أشلى . . وسأكد وأكدح وأؤدى اشق الأعمال من اجلك . . انك لاتحب ميلانى

فنظر اليها . . وفى وجهه مسحة ألم وشقاء . وهم بأن يتكلم . . ولكنها لم تفسح له سبيلا . .

استطردت :

— إنك قلت لى فى ذلك اليوم انك تحبنى اكثر مما تحبها . . هل تذكر اى يوم اعنى ! ؟ وانا على يقين من أن شعورك لم يتبدل . . فبالله . . دعنا نفر يا أشلى . . اننى قادرة على اسعادك . . ثم ان ميلانى . . .

فالقى بيده على كتفها بشدة وهتف :

— لقد اتفقنا على أن ننسى ذلك اليوم .

— هل تظن انه كان فى استطاعتى أن انسى ؟ ! وهل نسيت انت ؟ وهل تستطيع أن تقول مخلصا أنك لاتحبنى ؟

فاجاب بسرعة :

— اننى لا أحبك .

— أنت تكذب . .

فقال فى هدوء :

— هبى اننى اكذب . . فان الموضوع لايقبل الجدل على كل حال .

— تعنى . .

فقاطعها :

— هل تظنين اننى استطيع ان افر وان اترك ميلانى والطفل . . حتى

ولو كنت امقتهما معا ؟ ! هل تظنين انني أحطم قلب ميلانى . . وأتركها مع الطفل عالة على ذوى الرحمة والاحسان ؟ ! . . هل جننت ياسكارليت ؟ . ألا يعرف قلبك معنى البر والوفاء ؟ . كيف تحدثك نفسك بالفرار من ولدك وأبيك وأخواتك ؟ انك مسئولة عنهم جميعا . . كما أننى مسئول عن ميلانى وطفلها . وسواء تعبت أو لم تتعبى ، فانهم باقون هنا . . ويجب أن يتسع لهم صدرك وحنانك .

— لقد سئمت وتعبت .

فانحنى فوقها . حتى ظنت انه سيحتويها بين ساعديه . . ولكنه لم يفعل . وربت على كتفها بلطف . . وقال بلهجة من يحاول الترفيه عن طفل :

— اعلم انك سئمت وتعبت . ولذلك تتكلمين بهذه اللهجة . . انك حملت عبء ثلاثة رجال . ولكنى سأمد لك يد المعونة . ولن أظل . . .

فقالت فى تبلد :

— هناك وسيلة واحدة لمعونتى . هى ان تفر بى . . لنبدأ حياة جديدة . فى مكان آخر . . بشىء من الامل فى السعادة .

لاشىء هنا يشجعنا على البقاء .

فقال فى هدوء :

— نعم . . لاشىء . . لاشىء غير الشرف .

فملقت فى وجهه . . ورأت — كانما لأول مرة — كيف ان لاهدابه لون سنابل الحنطة الناضجة . وكيف ينهض رأسه الفخور بين كتفيه العريضتين . وكيف ينم قوامه عن سلامة عنصره . ونبل معدنه . . رغم الخرق البالية التى تكسوه .

والتقت عيناها الضارعتان بعينيه العميقتين . ورأت فيهما نظرة بعيدة ذكرتها بلون البحيرات تحت السماء المكفهرة . . وقرأت فى هاتين العينين نهاية أحلامها الخرقاء . . وهزيمة رغباتها المجنونة الجامحة .

وعندئذ غمرها شعور عظيم باليأس وانكسار القلب . . فدفنت وجهها بين كفيها وبكت .

لم يرها تبكى قبل ذلك .. ولم يدر بخلده قط ان امرأة من معدنها القوى تعرف معنى البكاء .. فأخذته الشفقة بها .. وأحس بالندم ووخز الضمير .. وأسرع اليها . فاحتواها بين ساعديه . وأسند رأسها فوق صدره . وهمس :

— أيتها العزيزة .. أيتها العزيزة الباسلة .. لا تبكى بحق السماء ..

ولم يكد يلمسها حتى دبت الفتنة والجنون فى جسدها وتألقت عيناها الخضراوان بلهب النار التى اشتعلت فى شرايينها .. ومرت بأشلى لحظة انتقل فيها من خريف الحياة الى ربيعها .. واضطرمت فى بدنه رغبات الشباب .. ورأى فى متناول فمه شفتين حمراوين ترتجفان .. فقبلهما بحرارة ونهم .

وامتلأت أذنا سكارليت بهدير خافت كهدير الأمواج .. ثم سمعت نبضات قلبها الخفاق .. وخيل اليها ان شفتيها قد التصقتا الى الابد بشفتيه وأن جسدها قد أصبح جزءا من جسده .

ولما تركها فجأة . احست بأنها لا تقوى على الوقوف وحدها . فاستندت على جذع شجرة .. ورفعت اليه عينين تتألقان بنور الحب والظفر . وهتفت:

— انك تحبنى .. انك تحبنى .. اعترف بانك تحبنى .

وكانت يده لا تزال ممسكة بكتفها . فأحست بها ترتجف .. ولذ لها أن تحس ذلك .. وانحنت الى الأمام فى انتظار قبلة أخرى .. ولكن نظرته اليها فى هذه المرة كانت تنم عن المعركة التى قامت فى نفسه .

قال وهو يهزها بعنف حتى انسدل شعرها على كتفيها :

— كلا .. كلا .. لا يجب ان نفعل ذلك .

فذعرت . وتخلصت من قبضته .. وحملقت فى وجهه .. ورأت قطرات العرق تتصبب على جبينه .

قال :

— ان الخطأ خطئى .. وليس خطؤك .. ولكنه لن يحدث مرة أخرى .. لأننى سأرحل بميلانى والطفل .

فصاحت فى ألم :

— ترحل ! ! كلا .. كلا ..

— بل سأرحل .. أقسم أن أرحل . . أتحسبينى مستطيعا البقاء هنا بعد هذا .

ولكن لماذا ترحل ياأشلى . . أنت تحبنى و . .

— أتريدينى على ان أعترف بهذا .. حسنا .. سأعترف .. اننى أحبك .

وانحنى فوقها بحدة وحدجها بنظرة أدخلت الذعر على نفسها واستطرد :

— نعم . . اننى أحبك . . وأحب جرأتك وعنادك .. وقوة شكيمتك والنار التى تلهب جسدك .

أتريدين ان تعلمى كم أحبك ! ! اننى أحبك إلى حد كدت معه منذ لحظة أن أعبث بكرامة البيت الذى أضافنى . . وأضاف أسرتى . . وان أنسى أنبل زوجة يستطيع رجل ان يقرن مصيره بمصيرها . . وأن استولى عليك فى هذا المكان كما يفعل ...

فسقطت كلماته على قلبها الملتهب كأنها قطع من الثلج وقالت بلسان متلعثم :

— اذا كنت قد شعرت بذلك . . ولم تستول على .. فانت لا تحبنى .

وساد بينهما صمت عميق . . وهمت سكارليت بأن تعود الى البيت

تطبع هذه المجلة باحبار فاوريقة لوريه
الشهيرة بباريس
محلات
وكلاؤها الوحيدون بالقطر المصرى بيجافى وأبانى بشارع ابو السباع رقم ١٤
تليفون ٤٤٢٢٩ صندوق البوستة ٢٤٩ بمصر

لتتوارى بين جدرانه . . ولكنها كانت مجهدة مكدودة لاتقوى على الحراك
قالت أخيرا :

— لم يبق لى شيء . . لم يبق لى شيء أحبه وأناضل فى سبيله . لقد فقدتك . . وعما قريب أفقد (تارا) .

فتأملها طويلا . . ثم انحنى الى الارض . وتناول قبضة من الطين الاحمر وقال :

— بل بقى لك هذا . انك تحبين هذا أكثر مما تحبينى . وان كنت لا تشعرين .

ان « تارا » مازالت لك .

ووضع قطعة الطين فى يدها ، وأطبق أصابعها عليها ، فنظرت سكارليت الى الطينة الحمراء ، ثم نظرت الى وجهه ، واعترفت فيما بينها وبين نفسها بأنه رجل نزيه . . وان نزاهته هى عنصر حياته ، وانه ليس فى مقدورها أو فى مقدور أى انسان آخر أن يمحو نزاهته الا اذا محا حياته ، وانه لنزاهته ، يؤثر الموت على هجر ميلانى . . ويفضل ان يحترق إلى آخر أيامه شغفا بها . . على أن يخون ميلانى وينعم بالثمرة الناضجة التى لايكلفه قطافها الا ان يمد يده . .

قالت بصوت واضح :

— لاحاجة بك الى الرحيل . . فلن ادعكم جميعا تموتون جوعا . . لا لسبب الا انني اردت ان افرض عليك حبي . .

ان هذا لن يحدث مرة أخرى . .

ودارت على عقبيها ، ومشت فى الأرض الجرداء . . فى طريقها إلى البيت . . وهى تحاول ان ترتب ثيابها . . وتعقص شعرها . .

وراقبها أشلى . . ورآها تبسط كتفيها النحيلتين . . كأنما استعدادا لمواجهة الحياة ومسئولياتها الثقيلة . .

وحزت هذه الحركة البسيطة فى قلبه . . وفعلت فى نفسه . . ما لم تفعله كل كلماتها . .

الفصل الثانى

وعندما دخلت البيت . . كانت قبضة الطين لا تزال فى يدها . فضغطتها بين أصابعها بعنف . ورددت كالببغاء :

— لم يبق لى الا هذا . . لم يبق لى الا هذا .

نعم . . لم تبق لها الا هذه الأرض الحمراء التى كانت منذ دقائق على استعداد لأن تلقى بها كمنديل قديم ممزق .

ولو قد رضخ أشلى لارادتها . وأجابها إلى سؤلها . اذن لفرت معه بعيدا عن الأهل والاصدقاء . دون أن تلقى وراءها نظرة واحدة . ولكنها مع ذلك كانت تشعر فى قرارة نفسها . بان افتراقها عن هذه الأرض الحمراء كان لابد أن يحز فى قلبها . ويملأ نفسها حسرة وألما بقية حياتها . وان أشلى ما كان ليملأ فى قلبها كل الفراغ الذى تتركه جذور (تارا) .

لقد كان أشلى عاقلا حكيما . . علما بشعورها أكثر من نفسها . وقد وجد أنه يكفيه أن يضع فى يدها قبضة الطين ليردها الى صوابها . . ويرد عليها حواسها .

« • »

ودخلت غرفتها . وأغلقت بابها . وانصرفت الى التفكير .

يجب أن تجد مخرجا من هذا المأزق . لابد أن يكون هناك مخرج . . يجب أن يكون هناك من يقرضها هذا المبلغ . محال أن تكون النقود قد نضبت من الدنيا .

وتذكرت كلمات أشلى : « يوجد شخص واحد يملك مالا كثيرا . . وذلك هو رايت بتلر »

رايت بتلر ! ! كيف فاتها أن تفكر فى الالتجاء اليه ؟

قالت :

— سأجد عنده ما أحتاج اليه . سأبيعه قرط اللؤلؤ . أو أقترض منه المبلغ . وأترك القرط رهينة عنده .

وأحست ببعض الراحـــة والطمانينة . . ولـكن ذهنها كان يعمل . . وعقلها لا يكف عن التفـكير .

قالت لنفسها :

— ولـكن المشكلة ليست مشكلة الضرائب فى هذا العام فحسب . . فلا تزال هناك ضرائب فى الأعوام المقبلة . . واذا دفعت الضريبة هـذه المرة . . فقد يضاعفونها فى المستقبل ليكرهونى على ترك المزرعة . . سأعيش أبد الدهر فى خوف وجزع من الفقر والجوع والهزيمة . . وهذا المبلغ الذى أريد اقتراضه . . قد يسد الثغرة هذه المرة . . ولـكنه لا يسدها إلى الأبد .

وخطر لهـا خاطر . . أخذ ينضج فى بطء وبرود .

تذكرت الحديث الذى دار بينها وبين بتلر فى بيت العمـة (بيتى) فى الايام الأولى من الحصار . . وتذكرت قوله : « لقـد أردتك كما لم أرد اية امرأة أخرى . . وانتظرتك أطول ممـا انتظرت أية امرأة . »

وخيل اليها انها لاتزال تحس حرارة يديه فوق يدها .

قالت لنفسها فى هدوء :

— سأقترن به . . ولا أشعر بعدئذ بالحاجـة والمسغبة . . ولا أعصر ذهنى فى البحث عن المـال .

ما أعذب هذا الأمل ؟ ؟ وما أحلى ان تعلم ان (تارا) فى مأمن . . وان أسرتها تجد طعاما وشرابا وثيابا . . وانها ليست بحاجة لان تنطح برأسها الجدار .

« • »

ولولا ان الانفعالات التى مرت بها منذ الصباح قد هدت قواها واستنزفت كل مشاعرها . . وتركت فى قلبها فراغا لا قرار له . . اذن لوجدت ان وجدانها وكل جارحة من جوارحها تتمرد على الخطة التى نضجت فى ذهنها . لأنها كانت تمقت بتلر كما لم تمقت أى انسان فى الوجود .

ولـكنها كانت تفـكر . . ولا تستطيع أن تشعر . .

قالت لنفسها :

— لقد أهنته وأغلظت له القول ليلة أن تركنى فى الظلام على قارعة الطريق.. ولكنى أستطيع ان أنسيه ماحدث .. سأخفض له جناح الذل .. وأقنعه باننى كنت دائما أحبه .. واننى لم أصدر فيما بدر منى فى تلك الليلة إلا عن خوف وجزع . . ان الغرور من غرائز الرجال . . وكلمة واحدة حلوة تنزلق بهم . . انما ينبغى ألا أشعره بورطتى . . وإلا أدرك اننى أريده لماله . . لا لنفسه .

وفجأة . . قرعت الذكرى ناقوسها . . ورن فى أذنها قوله : « . . اننى لست الرجل الذى يصلح للزواج » .

اذا كان لايزال كذلك . . واذا عجزت بفتنتها وأساليبها عن حمله على الاقتران بها . . واذا كان قد نسيها بين ساعدى امرأة أخرى . فماذا تصنع ؟ ؟

« لقد أردتك كما لم أرد أية امرأة أخرى » .

وضمت قبضتها بعنف . .

اذا كان قد نسيها . . فانها تعرف كيف تذكره . واذا رفض الاقتران بها . . وكان لايزال يريدها . . فقد ضمنت غايتها . . أفلم يطلب اليها مرة ان تكون عشيقته ؟ !

* * *

وفى تلك الخلوة . . خاضت سكارليت معركة حاسمة ضد الفضيلة وروابطها الروحية الثلاث . . ذكرى أمها . . وتعاليم دينها . . وحبها لأشلى .

كانت تعلم أنها مقبلة على أمر تضطرب له روح أمها . . وينهاها عنه دينها . . وهو من حيث حبها لاشلى بغاء مزدوج .

ولكنها فى تفكيرها القاسى البارد . . ضربت بهذه الاعتبارات جميعا عرض الافق . .

* * *

وسارت الى المرآة . . ونظرت الى نفسها .

يا للغرور والبلاهة . . كيف ظنت ان فى استطاعتها أن تذهب الى اتلانتا وتفتنه بنظرة ؟! أية فتنة فى هذا العنق النحيل ، والخدين الغائرين .

والعينين الجائعتين . . والاطمار البالية ؟! واذا كانت قد عجزت عن ايقاعه فى حبائلها وهى فى عنفوان الجمال والرشاقة . فكيف ترجو أن توقعه وهى فى هذا النحول . . وهذا الثوب المهلهل ؟ ؟

وأظلمت الدنيا فى عينيها . . وسارت الى النافذة ببطء . . وأسندت رأسها على ستار النافذة . وأرسلت بصرها الى الحقول .

وأحست بليونة الستار .. فدفنت فيه خدها .. كما تدفن القطة المدللة وجهها فى الوسائد الناعمة .. وحينئذ خطر لها خاطر . . فالقت على الستار نظرة فاحصة .. ثم جاءت بمقعد . . ووثبت عليه بخفة .. وانتزعت الستار من موضعه . .

وبعد بضع ساعات .. كان الستار قد تحول الى ثوب انيق .

« * »

وابصر بها اشلى فى اليوم التالى وهى تتأهب للرحيل .. وهز رأسه اعجابا .

لقد رأى ـ خلال اربعة اعوام الحرب ـ رجالا بواسل يسيرون الى الموت المحقق وهم يبتسمون . . وابطالا يسقطون على الارض ويرفضون الاعتراف بالهزيمة . . ولكنه لم ير ابسل ولا اكثر بطولة من سكارليت . وهى تخرج لتشق طريقها فى العالم بثوب مصنوع من ستائر امها . .

الفصل الثالث

قالت لها العمة بيتى وهما تتناولان طعام العشاء :

— كم انا سعيدة بقدومك ؟؟ لقد كنت افكر فيمن اصطحب معى غدا الى حفلة زفاف (فانى) ابنة مدام ايلزنج. ستكون أول وابهى حفلة زفاف كبرى منذ احرقت (اتلانتا) . .

— ومن يكون خطيبها الجديد ؟ لقد ظننت بعد أن مات خطيبها الاول فى معركة (جتسبورج) انها . .

فقاطعتها العمة بيتى :

— لاتلوميها ايتها العزيزة . . اكثر الناس ليسوا اوفياء للموتى . مثل وفائك لشارل المسكين . . تسالينى عن خطيبها الجديد ؟ ؟ لااظن انى

اذكر اسمه . . . ولكنى اعلم فقط أنه فقد احدى ساقيه فى الحرب . .

. . .

ودار الحديث حول الكوارث التى انزلتها الحرب باصدقائهما . وودت سكارليت لو ان العمة (بيتى) تكلمت عن بتلر . .

كانت تتحرق شوقا إلى معرفة انبائه . . ولكنها رأت من اللباقة الا تكون البادئة بذكره . . حتى لا تثير ريبتها وشكوكها .

ومضت العمة (بيتى) فى حديثها . . وتناولت الشؤون العامة . . فقالت ان الحالة فى (اتلانتا) اصبحت لا تطاق . . بسبب طغيان الجمهوريين وافاعيلهم التى ربما كان أسوأها تسميمهم عقول الزنوج .

قالت :

— انهم يطالبون للزنوج بحق التصويت فى الانتخابات . فهل سمعت باعجب من هذا . . وقد امتلأ الزنوج غرورا وخيلاء . . وظهرت عليهم دلائل الصلف والقحة . . واصبح من الخطر على النساء ان يخرجن ليلا . . بل ويحدث فى وضح النهار أحيانا أن يدفع الزنجى السيدة البيضاء عن رصيف الشارع فتسقط فى الاوحال . . واذا احتج أحد القوا القبض عليه . . هل قلت لك إن الكابتن بتلر فى السجن ؟

وحمدت سكارليت للعمة بيتى أنها وفرت عليها اقحام اسم بتلر فى حديثهما بطريقة قد تثير ريبتها .

هتفت :

— أحقا تقولين ؟ .

— نعم . . وهو سجين فى هذه اللحظة بتهمة قتل أحد الزنوج . . ومن المحتمل أن يشنقوه .

خبست سكارليت أنفاسها . . وحملقت فى وجه العمة بيتى . وقد عقدت الدهشة لسانها . .

قالت محدثتها :

— ان التهمة لم تثبت . . ولكن من المؤكد أن هناك من قتل ذلك الزنجى لأنه أهان سيدة من البيض . والأعداء يشعرون باشد القلق لتعدد

حوادث قتل الزنوج فى المدة الأخيرة . ولا بد لهم أن ينزلوا عقابا رادعا بأى انسان ليكون عبرة لسواه . . وقد قال لى الدكتور (ميد) انهم إذا شنقوا رايت بتلر . . كان ذلك أفضل عمل انسانى يصنعونه .

— وكم سيقضى فى السجن ؟ ؟

— لا أحد يعلم . . ربما يبقى فى السجن حتى يشنق . . وربما يعجز القوم عن اثبات جريمته فيطلق سراحه . . وقد قالت لى مدام ايلزبج انهم أبقوا عليه حتى الآن لانهم يعتقدون انه يعرف المكان الذى أخفى فيه الذهب . . ويأملون أن يرشدهم اليه .

— الذهب ؟ !

— ألم أكتب اليك فى هذا الصدد أيتها العزيزة ؟ لقد أدهش الكابتن بتلر أهل المدينة حين عاد ذات يوم تحيط به كل مظاهر الترف والنعمة . . بينما أكثر الناس لايجدون ما يتبلغون به . . وكان كل انسان يتحرق شوقا لمعرفة مصدر ثروته . . ولكن أحدا لم يجد الجرأة على سؤاله .

— الامر غاية فى البساطة . . فهو قد جمع ثروته من تهريب البضائع أثناء الحصار .

— لاشك انه اصاب بعض الثروة من هذا السبيل . . ولكن ارباحه من التهريب ليست الا قطرة من بحر ثروته . . ان الناس جميعا . . والاعداء ضمنا يعتقدون أنه استولى على الملايين من ذهب الحكومة . .

— الملايين من ذهب الحكومة !؟

نعم . . والا كيف اختفى هذا الذهب ! ؟ انه كان يهرب القطن الى انجلترا لحسابه ثم شرع يهرب قطن الحكومة لحسابها . . وكان المفهوم انه سيبتاع بثمن القطن اسلحة وذخيرة يقدمها إلى جيش الحكومة . . ولكن الاعداء شددوا الحصار . . فلم يقدم بتلر إلى الحكومة معشار ما كانت تنتظره من الأسلحة . . والرأى السائد فى المدينة أنه اودع الذهب مكانا ما حتى تضع الحرب اوزارها . يإلهى . . ماذا أصابك يابنية . . لقد فر لونك . . هل ازعجك ان يقع بتلر فى هذه الورطة ؟

— كلا . . إنه ليس صديقى . . فقد اختلفت معه بعد رحيلك الى

(ماكون) ولكن اين هو الآن ؟

— انه فى سجن المدينه بشارع (بيكر)

« • »

وراحت العمة بيتى تنهى ماعندها من الأنباء . . وسكارليت تصغى اليها . . ولاتفهم كلمة واحدة من حديثها . .

كان هناك امران يشغلان ذهنها . . أحدهما أن بتلر تملك من المال اكثر مما كانت ترجو . . وثانيهما أنه سجين . .

بيد أن وجوده فى السجن . . ووقوفه على حافة المشنقة لن يغيرا من الأمر شيئا . . بل على العكس . . ان مهمتها تبدو الآن أهون وايسر . .

لم يكن يهمها أن يشنق . . بقدر ما يهمها أن تحصل على النقود باسرع ما يمكن . يضاف إلى ذلك أنها كانت تشاطر الدكتور (ميد) رأيه . . فى ان المشنقة هى اقل ما يستحقه هذا الوغد .

إن رجلا يترك امرأة فى جوف الظلام وسط جيشين يوشكان على الالتحام . . ويتركها لكى يقاتل فى معركة يعلم انها خاسرة . . مثل هذا الرجل جدير حقا بان يرجم بالحجارة حتى يموت .

* * *

ولكن . . ليتها تستطيع الاقتران به وهو سجين . . لكى ترث ثروته بعد شنقه ! !

وإذا كان الزواج مستحيلا . . فلا أقل من أن تحصل منه على قرض . لقاء وعد بان تقترن به فيما بعد . . أو لقاء أى وعد . . ما دامت المشنقة ستحلها من الوفاء بوعدها ! !

« * »

وتحمست للفكرة الاولى . . وطاب لها أن تتخيل نفسها أرملة بفضل الحكومة وصاحبة كل تلك الملايين التى تحدثت عنها العمة بيتى . . لكى تنقد (تارا) وتستخدم آلاف العمال وتزرع مئات الاميال قطنا . . وتشترى لنفسها ولأختيها مايطيب لهن من طعام وثياب . . وتغذى ولدها حتى يمتلىء خداه الغائران. وتبتاع له الثياب السميكة والاحذية الانيقة . .

وتبعث به فيما بعد إلى الجامعة وتجلب لأبيها ابرع الاطباء . . أما أشلى . فاى شيء لاتصنعه من أجله ! !

قالت وهى تنهض :

— انى متعبة . . وأخشى أن يكون قد اصابنى برد . فمعذرة ياعمتى اذا كنت لاارافقك فى زياراتك غدا . سألزم فراشى طيلة النهار . . عسى أن اتمكن من مرافقتك الى حفلة الزفاف فى المساء . .

الفصل الرابع

وفى الصباح . . نفذت اشعة الشمس من نافذة سكارليت . . فحمدت الله على انقطاع المطر . . وكانت تخشى أن يستمر فيتلف ثوبها وقبعتها . وقد يفسد عليها كل خطتها . .

وما كادت تستوثق من خروج العمة بيتى وبيتر ومربيتها حتى وثبت من فراشها . . وشرعت فى ارتداء ثيابها . .

وكان النوم قد انعشها . . فاحست بالنشاط يدب فى جسدها . وضاعف نشاطها شعورها بانها على ابواب معركة فاصلة . . مع رجل من طرازها . . وان انتصارها بعد سلسلة المتاعب والمخاوف التى عانتهـــا فى الشهور الأخيرة قد اصبح يتوقف على ذكائها . . وحدة ذهنها . وسرعة خاطرها .

« * »

ارتدت ثوبها وقبعتها ونظرت فى المرآة . . وراقها جمالها . . واخضرار عينيها . . فقبلت صورتها فى المرآة ثم ضحكت من بلاهتها . .

والقت على المرآة نظرة أخيرة . . واطمأنت قبل انصرافها الى أن أحدا لايستطيع أن يرى خلال ثوبها الجميل شبح الفقر الذى يجثم على كتفيها .

كان من الضرورى لنجاح خطتها أن لا يشـعر بتلر ببؤسها . . وان يعتقد بأن الشفقة والعطف وحدهما هما الحافز لها على زيارته

« * »

ووصلت الى شارع (بيكر) . . ووقفت أمام السجن . . وترددت . .

ماذا تقول لهؤلاء الجنود الشاكى السلاح ؟ ! وماذا يقولون لها ؟؟

ولكنها تذكرت انها قتلت جنديا فى أحد الايام . ولم تخف . . فهل يخيفها الآن أن تتحدث إلى جندى ؟ !

ورفعت راسها . . وتقدمت بجرأة .

سألها أحد الجنود بلهجة أهل الشمال :

— ماذا تريدين يا آنسة ؟ ؟

فاجابت :

— أريد أن أقابل أحد السجناء ! !

فقلب الجندى شفته وقال :

— لا أعلم اذا كانوا يسمحون لك بمقابلته

والتفت إلى أحد زملائه . . وطلب اليه أن يرافقها إلى غرفة الضابط . فذهب بها الجندى إلى قاعة فسيحة . . ورأت سكارليت فى القاعة ثلاثة ضباط يتحدثون حول مائدة عليها كومة من الأوراق .

قالت بصوت هادىء :

— أريد أن أتحدث إلى ضابط السجن .

فقال أحد الضباط الثلاثة . وهو رجل بدين منتفخ الاوداج :

— هأنذا . .

قالت :

— أود أن أقابل سجينا يدعى الكابتن رايت بتلر .

فضحك الضابط وقال :

— بتلر أيضا ؟ . انه رجل كثير الأصدقاء . هل أنت من ذوى قرابته ؟

— نعم . . انى . . انى أخته . .

— يخيل الى ان له أخوات كثيرات . . وقد جاءت احداهن لزيارته أمس

فاحمر وجه سكارليت . .

لعل تلك الزائرة احدى عشيقاته . . وسيعتقد هؤلاء الضباط انها

عشيقته كذلك .

كلا . . لا طاقة لها على احتمال مثل هذه الاهانة مهما كان الثمن .

ودارت على عقبيها وقصدت الى الباب لتنصرف . . وحينئذ لحق بها ضابط شاب وسيم الطلعة ضاحك العينين وهتف بها :

— صبرا ياسيدتى . . سنخطره بقدومك . ما اسمك ؟ . انه رفض مقابلة السيدة التى جاءت أمس لزيارته .

فذكرت اسمها . . وغادر الضابط الغرفة . وبعد لحظة سمعت غمغمة اصوات . ثم رنت فى أذنيها ضحكة مألوفة عرفت صاحبها .

وفتح الباب . ولفحت وجهها نسمة باردة فارتجفت .

ودخل بتلر . .

كان مهلهل الثياب طويل شعر الرأس واللحية . ولكن مشيته لم تفقد رشاقتها . . وعينيه لم تفقدا سخريتهما .

هتف بسرور عندما وقع بصره عليها :

سكارليت ! !

وشد على يديها بحرارة . . وانحنى فوقها بسرعة وقبل ان تدرك ماهو صانع . . أحست بشفتيه تلمسان خدها . . فأتت بحركة لتتخلص من ساعديه . . ولكنه هتف كأنما ليذكرها :

— يا أختى الصغيرة العزيزة ! !

وابتسم لعلمه بعجزها عن مقاومته . . ولم يسعها بدورها إلا أن تبتسم . . فقد عرف كيف ينتهز الفرصة . . . ويستغل شذوذ الموقف . . .

وهنا سأل الضابط البدين زميله :

— هل فتشتم السيدة ؟ !

وسمع بتلر سؤاله وأجاب :

— اؤكد لكم أيها السادة . . . ان أختى لاتحمل معها سلماً أو منشاراً او اية أداة تساعدنى على الفرار . .

فضحك الضباط الثلاثة . . وأجالت سكارليت البصر حولها فى قلق . .

كيف تستطيع التحدث اليه على مسمع من هؤلاء الرجال ؟ !

ولاحظ الضـــابط الشـاب قلقها وحيرتها . . ففتح باب الغرفة المجاورة وقال :

— يمكنكما التحدث على انفراد فى هذه الغرفة . .

ثم نظر الى بتلر واستطرد :

— وحذار ان تحاول الفرار من الباب الآخر . . . ان أمامه ثلة من الجنود

فقال بتلر :

— شكراً لك أيها الضـابط . . . أرأيت ياسكارليت كم انا مخلوق شـديد الخطر

ودخل الغرفة . . وأغلق بابها . . وأسرع الى سكارليت . . وانحنى فوقها . . ففهمت غرضـه . . وأشاحت بوجهها . . ولـكنها حرصت على أن ترمقه من ركن عينها بنظرة فاتنة . .

سألها :

— ألا أستطيع حقا ان أقبلك ؟ !

— بل تستطيع ان تقبل جبينى اذا شئت . . كما يفعل الأخوة .

— كلا . . شكرا لك . . انى أوثر ان انتظر وأرجو ماهو أفضل من قبلة على الجبين . .

ثم صعدها بعينين فاحصتين واستطرد :

— لقد كان كرما منك ان تأتى لزيارتى ياسكارليت . . إنك أول سيدة محترمة تزورنى فى هذا المـكان . . جزى الله السجن كل خير . . انه محك الصداقة وميزان الوفاء . . متى حضرت الى (اتلانتا) ؟ !

— أمس . .

— وجئت اليوم لزيارتى ؟ ! ما أكرمك أيتها العزيزة !

وارتسمت على وجهه آية سرور صادق واستطرد :

— فى الحق لم أصدق أذنى حين ذكروا لى اسمك . . ولم أكن أتوقع قط ان أنال صفحك عما كان من سلوكى فى تلك الليلة . . فهـل افهم من هذه الزيارة انك غفرت وصفحت ؟ !

فغلى الدم فى عروقها لحظة . . حين تذكرت تلك الليلة . . ولكنها كظمت غيظها وأجابت :

— كلا . . انى لم أصفح

— واأسفاه . . هوذا أمل آخر يتحطم

— لقد كان سلوكك فى تلك الليلة ينم عن الخسة والنذالة . . ولا أحسب انه سيكون فى مقدورى أن أصفح عنك . . إن الدم يجمد فى عروقى كلما تخيلت ما كان يحتمل أن يصيبنى . . بعد أن تركتنى وحدى فى الطريق.

— أنت ترين انه لم يصبك شيء . . وان ثقتى فيك كانت فى موضعها . لقد كنت واثقا من أنك ستصلين فى سلام . . وكنت اسأل الله الرحمة لمن تحدثه نفسه بالوقوف فى طريقك .

— ولكن بحق السماء . . لماذا أقدمت على تلك الحماقة . . وانضممت الى الجيش فى اللحظة الاخيرة . . وأنت تعلم أنه يقاتل فى معركة خاسرة ؟ لماذا فعلت ذلك . . وأنت الذى طالما سخرت ممن يذهبون إلى الحرب ويقتلون ؟

— معذرة اذا كنت لا أعرف كيف أجيبك يا سكارليت . . إننى أشعر بالخجل كلما فكرت فيما حدث .

— يسرنى أن أعلم ان سلوكك معى يخجلك .

— أنت لا تفهمينى . . فما شعرت قط بالخجل ووخز الضمير لأننى تركتك وحدك فى منتصف الطريق . . انما يخجلنى أننى انضممت الى الجيش بحذاء لامع وثوب أنيق . وليس معى من أسلحة القتال غير غدارتين للمبارزة . ولا أستطيع أن أفهم كيف قطعت مئات الأميال ماشيا . حتى تمزق حذائى ودميت قدماى . . وكيف رقدت . ونمت على الطوى . . دون أن أفكر مع ذلك كله فى الفرار من الجندية . ان ما فعلته كان جنونا بحتا . . ولكن الغريزة أقوى من العقل . . ومن ابرز غرائزنا نحن أهل الجنوب . . أننا نستميت فى الدفاع عن القضايا الخاسرة . . ولكن دعينا من هذا الحديث . . بحسبى انك غفرت لى .

— انى لم أغفر لك . . وما زلت أعتقد انك كلب خبيث .

ونطقت بالعبارة الأخيرة . . بصوت رقيق . . ولهجة فاتنة . . كما لو

استقالات خطيرة

كان من نتائج الحرب اليونانية لايطالية ان استقال الماريشال بادوليو والاميرال كافاناري واعقبهما ٤٠ قائداً

وكانت ماركات راديو حجازى المعروفة بمتانتها ودقة تركيبها ، ووضوح صوتها اسبق أجهزة فى اذاعة هذه الاخبار قبل نشرها بالصحف

٥٦٧٠٣ - ٥٦٧١٦

ارقام تليفون تجدها فى خدمتك إذا أردت راديو مضمون بالنقد او بالتقسيط

١٣٣ شارع الملكة نازلى بباب الحديد

obeikandl.com

كانت تقول له « انك رجل ظريف » .

قال :

— أنا واثق انك غفرت لى . . ان الفتيات الحسان لا يرتدين أجمل ثيابهن ويقتحمن معسكرات الاعداء لزيارة أحد السجناء . . لمجرد الاحسان . . كم أنت رشيقة فاتنة ياسكارليت ! ! انني أحمد الله على انك لا ترتدين ثياب الحداد . . ولا تحيطين جسدك الفاتن بأطمار بالية .

ورمقها بنظرة سريعة شملتها من قمة الرأس إلى اخمص القدم واستطرد :

— انك نظيفة أنيقة . . ومنظرك يحرك شهية الجائع . . ولولا الضباط والجنود الذين يحيطون بنا . . ولكنك بأمن هنا . . فلا تجزعى فلن انتهز فرصة ضعفك كما فعلت فى مقابلتنا الأخيرة . .

ومس خده بيده . . وأردف :

— الا ترين أن سلوكك فى تلك الليلة لم يكن يخلو من الانانية يا سكارليت ؟ ؟ فكرى فيما صنعت من أجلك . . لقد جازفت بحياتى . . وسرقت جوادا . . وأى جواد ! ! ! ثم نفرت لنصرة قضية الوطن . . فماذا كان جزائى عندك ؟ طائفة مختارة من الشتائم والسباب وصفعة على الخد اليس كذلك ! ؟

ورأت سكارليت أن الحديث قد انحرف عن السبيل الذى تريده . . ولكنها لاحظت بارتياح أنه يتكلم فى هدوء ورزانة كما يتكلم أفاضل الناس وان أسلوبه خلو من ذلك التهكم المقيت الذى طالما أثار سخطها . . وملأها نفورا وبغضا . .

قالت :

— وهل يجب دائما أن تتقاضى ثمنا عن كل ما تصنع ؟

— طبعا . . ينبغى أن تعلمى . . اذا كنت لا تعلمين . . انى عثال حى للانانية . . وانى أنتظر دائما ثمن ماأعطى .

فمرت فى جسدها رعدة . ولكنها ملكت نفسها وقالت وهى ترمقه بنظرة اغراء :

— كلا يارايت بتلر . . انى أعتقد انك فى قرارة نفسك لست أنانيا

ولست رديئا الى الحد الذى تتظاهر به .

فهتف وهو يضحك :

— يا إلهى . . انك تغيرت كثيرا ياسكارليت . من أين هبطت عليك هذه المشاعر الانسانية الكريمة ؟ ! ان العمة بيتى قد حدثتنى عنك كثيراً ولكنها لم تذكر لى تلميحا أو تصريحا أنك أصبت بهذه الأنوثة الحلوة الطارئة . . اجلسى ياسكارليت . وحدثينى بالمزيد عن نفسك . . ماذا كنت تفعلين منذ رأيتك آخر مرة ؟ .

فجلست على مقعد بجانبه . وقالت بصوت هادىء رقيق :

— شكرا لك . لقد كنت فى خير حال . . وكل شىء فى (تارا) على مايرام . وطبيعى أننا قضينا وقتا مخيفا عندما اجتاح (شيرمان) البلاد . . ولكنه لم يحرق بيتنا . . ولم يخرب مزرعتنا . . واستطاع زنوجنا أن ينقذوا أكثر الماشية وكان محصول القطن لابأس به ، ولكنه قليل بالقياس إلى كفاية المزرعة . . . نظرا لقلة الايدى العاملة . وأبى يأمل أن يكون المحصول فى الموسم القادم اوفر منه فى هذا الموسم .. على أن الحياة فى الريف اصبحت لاتطاق . . فليست هناك حفلات ولا مراقص . . ولا حديث للناس الا سوء الحال . . وتفاقم الأزمة الاقتصادية . . حتى بلغ منا السأم كل مبلغ . . وحتى صحت عزيمتى مع ابى على أن نرفه عن انفسنا بالرحيل إلى (شارلستون) . وقد جئت الى (اتلانتا) لابتياع بعض الفساتين استعدادا لهذه الرحلة التى انتظرها بفروغ صبر . . انه ليخيل الى أن اجيالا قد انقضت منذ رقصت آخر مرة . .

— إن ثياب الرقص تزيدك جمالا . . واكبر الظن ان غرضك الأول من هذه الرحلة هو رغبتك فى ايجاد ميادين جديدة لفتنتك . . بعد أن فرغت من فتيان (تارا) جميعا . .

فحمدت سكارليت الله فى سرها على أن بتلر قد قضى الشهور الأخيرة بعيدا عن أمريكا . . فلم يصل إلى علمه . . ان اولئك الذين يدعوهم فتيان تاراً . . قد انزلهم الفقر والجوع الى مرتبة الزنوج ، فهم يحرثون الارض . ويعملون فى الحقول .. وتتصبب أجسادهم عرقا فى سبيل اللقمة التى

يتبلغون بها . . وقد نسوا ان فى الدنيا شيئا يقال له حفلات ومراقص . .

استطرد بتلر :

— إنك مخلوقة بلا قلب ياسكارليت . . وقد يكون ذلك من مفاتنك . ولطالما عجبت لماذا أفكر فيك وأذكرك . . فقد عرفت نساء يفقنك فتنة وجمالا ولباقة . . ويمتزن عنك بالكرم . وحسن النية . وصفاء السريرة . ولكنى كنت دائما أذكرك وأفكر فيك . . وأتساءل ترى ماذا تصنعين . . وماذا كان مصيرك . . .

فشعرت بالامتعاض . . حين قال ان هناك نساء يفقنها فتنة وجمالا . . ولباقة . . ثم طفت عليها موجة من السرور والخيلاء حين علمت انه كان يذكرها ويفكر فيها . .

واذن ستكون مهمتها أيسر وأهون مما توقعت

قالت وهى تلمس ساعده بلطف :

— أواه يا رايت . . لماذا تريد التغرير بفتاة ريفية مثلى ! ! أنا واثقة من انك لم تفكر فى لحظة واحدة مذ افترقنا فى تلك الليلة . . وكيف لمثلك ان يذكرنى وهو محوط بأجمل نساء انجلترا وفرنسا ! ! على اننى لم أحضر الى هنا . . لأسمع هذه العبارات الجوفاء عن شخصى . . انما جئت لأن . . لأن . . .

لأن . . ؟ !

أواه يارايت . . اننى شديدة القلق عليك . . متى سيسمحون لك بمغادرة هذا المكان المخيف ؟ !

فتناول يدها بين يديه . . وضغطها بشدة وأجاب :

— اشكر لك هذا الشعور النبيل . . ولكنى لا اعلم متى استطيع الخروج . . وربما اخرج عندما يفرغون من اقامة المشنقة . .

— يالهى . . هل فى نيتهم حقا أن يشنقوك ؟

— طبعا . . إذا اجتمعت لديهم الادلة .

فهتفت وهى تضع يدها فوق قلبها :

— رباه ! !

— وهل يحزنك موتى ؟ ! اذا كان حزنك صادقا ذكرتك فى وصيتى .

ونظر اليها بعينين ضاحكتين . . فنكست رأسها بسرعة . . حتى لايرى بريق السرور الذى تألق فى عينيها .

استطرد :

— يظن القوم هنا اننى املك ثروة ضخمة . . وفى كل يوم اساق الى لجنة تحقيق جديدة تلقى على طائفة من الاسئلة الحمقاء . . انهم يعتقدون باننى استوليت على ذهب حكومة الجنوب . .

— وهل هذا صحيح ؟

— ياله من سؤال عجيب ! ! انت تعلمين كما اعلم أن اموال الحكومة كانت ورقا لا ذهبا . .

— ولكن العمة بيتى اكدت لى انك تملك ثروة طائلة . . فمن اين جاءتك كل هذه الثروة ؟ ! من المضاربات . . والتهريب ؟ !

فرمقها بنظرة ساخرة وقال :

— مااسقم فضولك !

قبحه الله !!! إن الانسان لا يستطيع أن يتحدث اليه فى أدب .

هتفت :

— ولكنك رجل واسع الحيلة . . ولا شك أنك ستجد وسيلة للخروج من هنا . . وعندئذ . . .

فقال فى لطف :

وعندئذ !!!

— عندئذ . .

واصطنعت الارتباك والخجل . . ! تطردت وقلبها يكاديثب من حلقها :

— لشد ما أنا آسفة على ما فرط منى فى تلك الليلة . . أعنى ليلة أن افترقنا . . ولكنى كنت مضطربة . . مذعورة . . وكنت أنت . .

وأحست بأصابعه تضغط يدها بقوة . . فاردفت :

— وقد خيل إلى أننى لن أغفر لك أبدا . . ولكن عند ما علمت أمس من العمة بيتى . . انك ربما تشنق . . استولى على شعور بانني . . انني . .

ونظرت اليه بسرعة . . وأودعت عينيها أبلغ نظرات الأسى والاشفاق واستطردت :

— استولى على شعور بانني سأموت اذا أنت شنقت . . نعم . .

ولم تحتمل النظرة الملتهبة التى ارتسمت فى عينيه . فلم تكمل عبارتها . وخفقت أهدابها الطويلة كما تخفق أجنحة الفراشة . . وأطرقت برأسها .

قال بسرعة :

— يا إلهى . . هل تعنين ياسكارليت انك . .

وشدد الضغط على يديها . . فاغمضت عينيها . . وحاولت أن تعصر منهما دمعة تؤيد قضيتها . . ولم تنس أن ترفع وجهها لكى يقبلها بسهولة .

وانتظرت أن تشعر بشفتيه تهويان على شفتيها بقبلة حارة ملحة . . كتلك التى لم تزل ذكراها . . تثملها . . وتسلبها كل مقاومة . .

ولكنه لم يقبلها . . وأحست باليأس وخيبة الأمل . . ونظرت اليه من خلال اهدابها الطويلة . . فرأته مطرقا برأسه وقد رفع يدها الى شفتيه . . وعندئذ شملتها موجة شعور بالظفر . . وانتظرت الخطوة التالية بفروغ صبر . . وتوقعت ان يسألها الاقتران به . . أو على الأقل أن يبوح لها بحبه . .

وفى هذه اللحظة . . أدار يدها . . وهم بأن يقبل راحتها كذلك . . ولكنه أمسك فجأة . . وتنهد . .

ودهشت سكارليت . . ونظرت بدورها الى راحة يدها . . ورأتها لأول مرة منذ عام . . وغاص قلبها بين جنبيها فزعا وذعرا . .

كلا . . هذه ليست يدها . . هذه ليست اليد البيضاء اللينة التى طالما تنافس العشاق على تقبيلها . . هذه يد غير يدها . . خشنة حمراء تكسوها البثور والكدمات . .

جمعت قبضتها بسرعة . . وسحبت يدها من بين يديه . .

ولم يرفع بتلر رأسه . . فلم تر قسمات وجهه . . ولم تعرف مايدور بخلده

...نتهي هذه الرواية ...
وتبلغ قمة المآسي الإنسانية

في العدد الخاص الذي يصدر عن هذه المجلة
بعد ثلاثة أيام

...م الأربعاء
١... ديسمبر سنة ١٩٤٠
بنفس الاسم

صلة

...هب مع الريح

...ة التي تذخر
...لعواصف
...شرقية

١٦٠ صفحة - ١٠ مليمات

...فسخك منه الآن
لتكمل لديك هذه
الموسوعة الرائعة من الحوادث

...م ما أصدرته هذه المجلة من القصص

وفجأة . . تناول يدها مرة أخرى . . وبسطها بين يديه . . وقال لها بخشونة :

— انظرى الى . .

فنظرت اليه . . ورأت عينيه تتألقان فى خبث وسخرية .

قال :

— إذن فأنت فى خير حال فى (تارا) . . وقد كان محصول القطن على مايرام . . حتى فكرت فى الرحيل الى شارلستون للتسلية والترفيه ؟ ؟ ماذا كنت تصنعين بهاتين اليدين ؟ ؟ هل كنت تحرثين الأرض ؟ !

فأرادت ان تجذب يدها . . ولكنه احتفظ بها . . ومر بأصبعه فوق البثور والكدمات واستطرد :

— هذه ليست يد سيدة تعيش فى نعمة ورخاء . .

ودفع يدها بعنف فصاحت فى غضب :

— صه . . ماشأنك أنت ويدى ! ! !

وقالت لنفسها :

— يالى من حمقاء ! ! كان يجب ان أستعير قفاز العمة بيتى . وهأنذا قد أفسدت بغضبى كل شىء . .

قال لها فى برود وهو يعتدل فى مقعده .

— حقا . . لاشأن لى بيدك . .

وأحست بأن الموقف قد تعقد . . وانها يجب أن تبذل قصارى جهدها لتنتزع النصر من أطلال الهزيمة . . فاذا أخذته بالرفق واللين . . ولجأت الى الاغراء فربما . .

قالت :

— ان من الغلظة والخشونة أن تدفع يدى بهذا العنف . . لا لشىء الا أننى ركبت الجواد فى الأسبوع الماضى بغير قفاز .

— ركبت الجواد ؟ ! انك كنت تكدحين فى الحقول كالزنوج . . . أليس كذلك ؟ لماذا كذبت ؟ . لماذا زعمت أن كل شىء فى (تارا) على ما يرام . .

— ولكن يارايت . .

— دعينا نتحدث فى صراحة . ماهو غرضك الحقيق من هذه الزيارة لقد أوشك أسلوبك الزائف أن يقنعنى بانك مشفقة على حقا .

— اننى مشفقة عليك ...

— كلا . . واذا شئتونى فى التو واللحظة فلن تترقرق فى عينك دمعة اشفاق واحدة . . اننى أقرأ ذلك فى وجهك . . كما أقرأ الكد والعمل الشاق فى راحة يدك .

انك جئتنى الآن . . لأنك تريدين منى شيئا . وتريدينه باصرار حملك على القيام بهذا الدور . . فلماذا لم تذكرى حاجتك فى صراحة ؟ . لوفعلت لكان ذلك أدنى الى تحقيق أملك . . وإجابة سؤلك . . . فانى لا أعرف للنساء فضيلة تستحق الاحترام والتقدير الا فضيلة الصراحة . . ولكنك لجأت الى اللف والدوران والرياء . وآثرت أن تبسطى لى شفتيك . وترنى الى بعينيك . كما ترنو البغى الى زبون ترجو أن يقع فى حبائلها .

كان صوته رقيقا هادئا . . ولكن كلماته هبطت عليها كالسياط فاحست الى جانب الألم بمرارة اليأس ، والخيبة ، وضياع الأمل . . ولو أنه أرغى وأزبد . وصاح غاضبا غضبة رجل أوذى فى خيلائه وكبريائه . . لبقى للبيها بعض الأمل فى تطويعه . واخضاعه . . ولكن هدوءه أزعجها . . وتركها حيرى لاتدرى ماذا تصنع . وكيف تكون خطوتها التالية . . وأدركت فجأة أن من الخطر العبث برجل من طرازه . . . ولو كان سجينا محوطا بالحراس .

قال :

— يخيل الى أن ذاكرتى أدركها الضعف والوهن . . فقد كان ينبغى أن أذكر انك من طرازى . . وانك لاتصدرين فى كل صغيرة أو كبيرة الا عن أثرة وأنانية . والآن .. دعينى اعرف ماذا تبطنين . ترى هل بلغت بك السذاجة أن تتوهمى اننى سأقع فى حبائلك وأعرض عليك الزواج ؟

فاحتقن الدم فى وجهها ولم تجب .

قال :

ـ ولكن لاشك انك لم تنسى ما قلته لك مراراً وتكراراً من انى رجل لم أخلق للزواج .

ولما لزمت الصمت قال بعنف :

هل نسيت ؟ ؟ أجيبى ! !

فأجابت وصوتها الخائف المضطرب ينم عن المذلة والهوان :

ـ كلا . . لم أنس . .

فقال ساخراً :

ـ اذن فقد قامرت على صفقة خاسرة . . وحسبت أن وجودى فى السجن وحرمانى من النساء . . سيجعلنى انقض عليك انقضاض الباشق على العصفور .

فقالت لنفسها ونار الغضب تضطرم فى شرايينها :

وذلك ما فعلته . . ولولا انك رأيت يدى . .

قال :

الآن قد عرفنا أكثر الحقيقة . . ولم يبق إلا أن نعرف غرضك من هذه الزيارة .

وفكرت سكارليت فى انها إذا أثارت شفقته وأحيت بعض الذكريات القديمة . . فربما استطاعت أن تحصل منه على قرض .

قالت :

ـ أنا واثقة يارايت . . ان فى استطاعتك أن تبسط لى يد المساعدة اذا شئت .

ـ الآن قدسقط القناع عن وجه ملاك الرحمة . . وبدأت السيدة المحترمة ذات اليدين الخشنتين تلعب دورها الحقيقى . . ماذا تريدين منى ؟ ! هل تريدين مالا ؟!

وحطمت صراحته القاسية بقية آمالها . . وقالت بصوت خافت :

ـ لاتكن وضيعاً يارايت . . انى بحاجة إلى بعض المال . فهل لك فى أن تقرضنى ثلثمائة دولار ؟ !

ـ تتشدق بالحب وتفكر فى المال . . تلك هى الأنوثة بمعناها الصحيح . .

هل أنت بحاجة ملحة إلى هذا المبلغ ؟

ـ لا . . كلا . . ان حاجتى اليه ليست شديدة .. ولكن فى استطاعتى ان أفيد منه . .

ـ ثلثمائة دولار ! ! هذا مبلغ جسيم ! ! لماذا تريدينه ؟

ـ لكى أدفع الضرائب المستحقة على (تارا)

ـ هذا جميل . . لنتكلم اذن بلهجة رجال الأعمال . . انت تطلبين قرضاً . . والقروض لاتعقد بغير ضمان . .

ـ ضمان ؟ !

ـ نعم . . انى لا أريد أن افقد نقودى . .

ففكرت قليلا وقالت :

ـ خذ هذا القرط . .

وأشارت الى القرط الذى يتدلى من أذنها .

فقال :

ـ إن الاقراط لا تهمنى .

ـ هل تقبل (تارا) ضمانا لنقودك ؟!

وماذا أصنع بها ؟ ؟

ـ ماذا تصنع بها ؟ ! إنها مزرعة خصيبة لا تقدر بثمن . . ومحصول الموسم القادم يكفل لك أضعاف مبلغك .

فهز كتفيه بقلة اكتراث وقال :

ـ لست واثقـــا من ذلك . . ان اسعار القطن فى هبوط . . والأزمة فى ازدياد والنقود قليلة . .

ـ لا تهزل يا رايت . . أنت تملك ملايين .

فنهض واقفا ، وقال وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة :

ـ يسرنى أن اعلم ان كل شىء فى (تارا) على ما يرام . . وأنك لست فى حاجة شديدة إلى النقود .

فهتفت وقد ذهب اليأس بوعيها :

ـ بحق السماء يارايت . .

فقاطعها :

— لا تصيحى هكذا .. والا سمعك القوم فى الخارج .. هـــل قال لك قائل إن لك عينين كعينى الهرة فى الظلام ؟ ؟

فصاحت فى يأس وجزع :

— اصغ الى يا رايت . انى فى أشد الحاجة إلى هذا المبلغ ، وقد كذبت حين قلت لك إن كل شيء على ما يرام . . إن كل شيء لا يمكن أن يكون اسوأ مما هو الآن .. فأبى قد فقد صوابه منذ ماتت أمى .. وإذا رأيته خيل اليك انه قد ارتد طفلا . . وليس فى المزرعة عامل واحـــد يحرث الأرض وينمى القطن . . وفى البيت ثلاثة عشر فما تطلب الطعام والضرائب فادحة لا تطاق . . سأصارحك بكل شيء يارايت . . منذ أكثر من عام ونحن على شفا الموت جوعا . . انك لا تعرف . . ولا تستطيع أن تعرف معنى أن يمسى الانسان جوعانا . . ويصبح جوعانا . . ويقضى يومه بغير أمل فى طعام ! ! ولم تكن لدينا قط ثياب تقينا برد الشتاء . . أو أغطية تدفع عنا ...

فقاطعها :

— ومن أين لك هذا الثوب الأنيق ؟!

فاجابت على الفور .. دون أن تفكر فى كذبة تستر عارها :

— انى صنعته من ستائر أمى . . لقد كان فى استطاعتى أن أصبر على الجوع والبرد ولا أجهر بالشكوى .. وأن أكد وأكدح فى الحقل ولا أبذل ماء وجهى . . . ولكن الضرائب التى ضوعفت مرارا . . . كيف السبيل الى سدادها ؟!!

— لماذا لم تصارحينى بكل ذلك منـذ البداية . . بدلا من هـذا العبث بقلبى المسكين ؟ ؟ كلا يا سكارليت .. بالله لا تبكى . انك جربت كل سلاح إلا هذا .. ولا حاجة بك الى الدموع لتحطم قلبى .. فقد تحطم قلبى قنوطا ويأسا .. منذ اكتشفت أنك تسعين وراء مالى .. لا وراء جمالى .

وهنا تذكرت فجأة أنه طالما قال الحقيقة عن نفسه فى معرض السخرية والتهكم . . وسألت نفسها : ترى هل يحبها هذا الرجل حقا . وهل كان

بسبيل الاعتراف لها بحبه حين رأى بدها . . وكشف رياءها ؟ . اذا صح ذلك . كان لايزال هناك أمل فى الظفر .

قال :

— لاأقبل هذا الضمان . وأنت شغوفة بالزراعة . . فهل علىّ شيئا آخر ؟ .

ولم يبق إلا أن ترمى بآخر سهم فى جعبتها . . فتنهدت وجمعت شتات عزيمتها . وقالت . وهى تنظر اليه فى بساطة . وبغير اغراء أو تصنع :

— لاأملك غير نفسى .

— ثم .. ؟؟

— هل تذكر الحديث الذى دار بيننا ذات مساء فى بيت العمة « بيتى » ؟ انك قلت ليلتئذ انك تريدنى..

فدس يده فى جيب سرواله . وقطب حاجبيه ولم يقل شيئا .

استطردت :

— قلت ليلتئذ انك لاتشتهى امرأة كما تشتهينى . . فاذا كنت لاتزال تريدنى . . فهأنذا . . اصنع بى ما شئت، فقط اكتب لى صكا بالمبلغ .. وكن مطمئنا الى صدق وعدى . واذا أردت فانى أسجل هذا الوعد على الورق .

فصعدها بعينيه السوداوين . . ولم تفهم من نظرته هل أثارهذا العرض ارتياحه أو أثار نفوره . . . ولكنها أحست بدم الخجل والمذلة يلهب وجنتها . .

قالت :

— يجب ان أحصل على هذا المبلغ فى الحال . . والا طردنا من (تارا) وتشردنا فى الطرقات .

— صبرا لحظة . . من قال لك انى لا أزال أريدك ؟ ؟ وماذا يجعلك تعتقدين انك تساوين ثلثمائة دولار ؟ ؟ ان أكثر النساء لا يطلبن هذا الثمن الضخم ؟ ؟

وهكذا تجرعت كأس المذلة الى آخر قطرة . .

استطرد :

— ولم هذه التضحية ؟ ؟ ولماذا لاتتركين المزرعة تذهب الى الشيطان . . وتقيمين فى بيت العمة (بيتى) . . انك ورثت عن زوجك نصف هذا البيت .

فصاحت :

— يا الهى . . كيف أترك (تارا) ؟ ؟ انها بيتى . . ووطنى . . ولن أفرط فيها . . وسأبذل فى سبيلها آخر قطرة من دمى .

— تبا لكم أيها الارلنديون . . انكم تقيمون كل الوزن لما لا وزن له . . أى فارق بين هذه المزرعة أو تلك ؟ ؟ ولكن ذلك شأنك . . سأكون عمليا وسأحدثك فى صراحة . . سأعطيك هذا المبلغ . . وستصبحين عشيقتى . .

وما ان قال « ساعطيك » حتى انتعشت آمالها . . وشعرت بأنها على استعداد لأن تعد بكل شىء .

قالت

— اتفقنا . .

وأحست بعد ان نطقت بهذه الكلمة المقيتة كأن حملا ثقيلا قد أزيح عن صدرها .

قال بتلر وفى عينيه بريق شيطانى :

— انك ترحبين الآن بالعرض الذى أثار حنقك ونفورك من قبل . وكان جزائى منك عندما اقترحته الشتم والطرد . حقا ان لكل فضيلة ثمنا . .

— لك أن تهينى كما تشاء يارايت . . فقط اعطنى المبلغ .

« ٠ »

كانت تعلم ماطبع عليه من الضعة والدناءة . وان مثله من ينتهز هذه الفرصة لاهانتها . واذلالها . وتلطيخها بالأوحال . انتقاما لما عانى من صلفها وكبريائها . . ولكنها كانت قد وطنت نفسها على احتمال اهاناته . والصبر على فحته من أجل « تارا » .

قالت :

— ألا تعطينى النقود ؟

فاجلب وقسمات وجهه تدل على أنه يجد فى الموقف شيئا كثيراً من التسلية :

— كلا .

نظرت اليه فى ذهول . وبدت كأن عقلها قد أصابه الشلل . وكأنها لا تستطيع أن تعى ما يقول . .

استطرد :

— ليس فى استطاعتى — ولو أردت — أن أعطيك هذا المبلغ . لأننى لا أحمل معى ولا املك فى « اتلانتا » دولارا واحدا . . صحيح ان عندى ثروة .. ولكنها ليست هنا . . ولن أبوح بمكانها .. أو بمقدارها . . واذا كتبت لك صكا بالمبلغ الذى تريدين . . فكأننى ارشد القوم الى مكان ثروتى . . وأدعوهم الى الاستيلاء عليها .. وإرسالى الى المشنقة .. فماذا تقولين فى ذلك ؟ !

فشحب وجهها .. واستحال شحوبها الى اخضرار بشع . . وتندى جبينها بالعرق .. وارتسمت فى عينيها نظرة تذكر بتار أنه راى مثلها فى عين رجل يهم بقتل غريمه

ووثبت من مكانها وثبة النمر . . وانبعثت من صدرها صيحة مختنقة مزعجة . . لا تشبه صيحات البشر فى شىء .

وبأسرع من لمح البصر . كان بتار الى جانبها . وساعده حول خصرها . ويده الخشنة فوق فمها .. فراحت تناضله بكل ما أوتيت من قوة ، وحاولت أن تعض يده .. وأن ترسل من فمها صرخة تودعها كل ما يعتمل فى أعماقها من غضب وبغض ويأس . ولكن يده القوية كانت تحيط بها كحلقة من حديد .. فجعلت تتثنى وتتلوى ولا تجد من قبضته خلاصا .

هتف :

بحق السماء لا تصرخى . . وإلا امتلأ المكان بالجنود . . هل تريدينهم على أن يروك فى هذه الحال ؟ ! !

ولكن الغضب أفقدها الوعى .. فهى لا تعبأ بمن يراها . . ولا فى أية حال يراها .. كل ما كانت تشعر به فى تلك اللحظة .. هو الرغبة الملحة فى أن

تنشب أظفارها فى عنقه وتجهز عليه

بيد أنها أحست فى ذات الوقت بان يده تكتم أنفاسها . . وبانها تختنق . . ولم تلبث أن اعتراها دوار . . فاضطرب ذهنها . . واختلطت المرئيات أمام عينيها . ووصل صوته الى أذنيها فى هدير كهدير الأمواج . .

* * *

وعندما فتحت عينيها . وجدت نفسها ممددة فى المقعد . وبتلر يضمخ جبينها بالماء . وفى عينيه نظره قلق واشفاق . ورأت الضابط الشاب يدنو منها وفى يده قدح ملىء بالنبيذ . بينما وقف الضابطان الآخران على مقربه منها يتهامسان . ويقلبان أيديهما حيرة ودهشة .

همست :

— أظن انني أصبت باغماء . .

وخيل اليها أن صوتها ينبعث من مكان سحيق .

قال بتلر :

— تجرعى هذا . .

وتناول القدح من يد الضابط . وأدناه من شفتيها .

وعندئذ تذكرت ما كان بينهما . ورمقته بنظرة سخط واشمئزاز . ولم يمنعها من الانقضاض عليه . الا شعورها بالتعب والاعياء . . بعد تلك النوبة العنيفة التى أنهكت قواها .

همس فى رفق :

— تجرعى هذا . . من أجلى .

فتجرعت بعض النبيذ . وأحست بالنشاط والقوة يدبان فى جسدها

وتحول بتلر الى الضباط الثلاثة . وقال :

— أظن انها انتعشت الآن . . فشكراً لكم أيها السادة . لقد أزعجها أن تعلم انى ربما أشنق .

وانصرف الضباط . . وقال بتلر :

— تجرعى مزيدا من هذا النبيذ . . انه ينعشك .

— كلا .

وأرادت ان تنهض . . ولكنه ضغط كتفها لمنعها من الحراك .

فهتفت :

— دعنى . . أريد أن أنصرف .

— صبرا لحظة . . والا أغمى عليك مرة أخرى .

— ان أفقد الوعى فى الطريق أحب الى من البقاء معك فى غرفة واحدة .

— مهما يكن الأمر . . فانى لا أريدك على ان تسقطى فى الطريق . .

— دعنى أذهب . . انى أمقتك .

فأجاب وهو يبتسم :

— الآن أستطيع ان أطمئن . . فقد عدت الى صوابك

فتراخت فى مكانها . . وحاولت ان تستجمع قواها لتصب عليه جام غضبها . . ولكنها كانت من التعب والاعياء . . بحيث لا تقوى على الغضب . . والحنق .

كانت منهوكة القوى . . محطمة النفس . . ترزح الهزيمة على صدرها وكيانها كثقل من الرصاص .

لقد قامرت بكل شىء . . وخسرت كل شىء . . حتى الكرامة .

وهذا الفشل قد سجل مصير « تارا » . بل سجل مصيرهم جميعا .

« ٠ »

وظلت ممددة فى مقعدها بعض الوقت . وهى مغمضة العينين . تفكر . ولا يهديها التفكير الى مخرج .

ولما تحركت أخيرا . ونظرت اليه . . كان شرر الغضب يتطاير من عينيها . .

وحينئذ ابتسم بتلر وقال :

— حمدا لله . . أنت الآن فى خير حال . وهذه النظرة دليل على ذلك .

فاجابت بحدة :

— طبعا أنا فى خير حال . أما أنت فانك أحقر وأبشع مخلوق وقع عليه

بصرى . لقد كنت تعلم منذ البداية ماذا فى نيتى أن أقول . وتعلم أنه ليس فى نيتك أن تجيبنى الى ما أطلب . ومع ذلك مضيت معى فى الحديث . حين كان فى مقدورك أن توفر على ..

فقاطعها :

— أوفر عليك الكلام . وأحرم نفسى متعة هذا الحديث الطريف ؟ كلا بحق السماء . . ان وسائل اللهو والترفيه لاوجود لها هنا . . وقد كان حديثك أبدع ماسمعت منذ وقت طويل .

وضحك ضحكته الساخرة الجارحة . فوثبت من مكانها فى الحال . واختطفت قبعتها . ولكنه أمسك بكتفها وقال :

— صبرا . . لم يحن الوقت بعد . . هل تجدين فى طوقك أن تتكلمى بعقل وروية ؟ .

— دعنى أذهب . .

— حسنا . . فقط أجيبينى على هذا السؤال . هل أنا الشخص الوحيد الذى فكرت فى الالتجاء اليه ؟

وأنعم النظر فى وجهها ليرى كل تحول يطرأ على ملامحها .

فأجابت :

— وهل هذا شأنك ؟

— يهمنى أن أعرف . . فأجيبى . . هل فكرت فى الالتجاء الى شخص آخر ؟ .

— كلا . .

— مستحيل . . وأكبر ظنى أن فى جعبتك خمسة أو ستة أشخاص آخرين .. وأن أحد هؤلاء لا بد أن يرحب بعرضك الطريف . . انى واثق من ذلك وثوقا يحملنى على أن أسديك نصيحة بسيطة

— لست بحاجة الى نصيحتك .

— سأسديها اليك على كل حال . . فالنصيحة هى كل ما أستطيع ان أقدمه فى الوقت الحاضر . . اصغى إلى . . اذا أردت الحصول على شىء من أحد الرجال . فلا تقذفيه بمطلبك كما فعلت معى . واستعينى باللباقة والاغراء

فذلك أجدر بتحقيق مطلبك . وقد كنت أعهد فيك البراعة واللباقة . واتقان ضروب الاغراء . ولكنك عندما عرضت على ... عندما عرضت على ضمانا لنقودى . كانت نظرتك أقسى من الفولاذ . لقد رأيت أمثال هذه النظرة فوق فوهات الغدارات فى ميادين المبارزة . وأؤكد لك أنها ليست مما يطمئن الرجل أو يحرك الحب فى قلبه

ماهكذا يجتذب الرجال أيتها العزيزة . اللهم إلا أن تكونى قد نسيت أول قواعد الاغراء . وأبسط أساليب حواء

فقالت فى ضجر :

— لا حاجة بى الى نصائحك وإرشادك

ووضعت القبعة على رأسها . وهى تعجب كيف يستطيع هذا الرجل أن يهزل فى موضع الجد . ويضحك وحبل المشنقة حول عنقه

قال :رفهى عنك ، وحاولى شهود حفلة شنق، فذلك خليق بان يهون عليك ويصفى ما بيننا من حساب ، وسوف أذكرك فى وصيتى

فاجابت . وصوتها ينم عن الحقد الذى يأكل قلبها :

— شكراً لك ، ولكنى أخشى أن لا تشنق إلا بعد فوات الموعد المقرر لسداد الضرائب !

اقرأ خاتمة هذه الرواية الرائعة

فى العدد الخاص الذى يصدر بعد ثلاثة أيام

(يوم الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٠)

بذات الاسم

ذهب مع الريح

اعلانات قضائيه

● فى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ٩٤٠ الساعة ٨ ف صباحا وما بعدها سوق شبين الكوم

سياع الاشياء الموضحة بمحضر الحجز

ملك جوده السيد جمال الدين الوصى على قصر المرحوم السيد على جمال الدين بالقضية ن ٢٠٨ سنة ٩٣٣

وفاء لمبلغ ٢ ج قيمة الغرامة المحكوم بها عليه بجلسة ٤ ــ ١١ سنة ٩٤٠ حلاف مايستجد

كطلب قلم كتاب مجلس حسبي شبين الكوم

فعلى راغب الشراء الحضور

٤٤٤

● فى يوم ١٨ ديسمبر سنة ٩٤٠ الساعه ٨ ف صباحا ببندر ميت غمر

سيباع المنقولات الموضحة بمحضرى الحجز

ملك عبد المعطى افندى احمد أبوالنور والست هانم مصطفى حبيب

كطلب قلم كتاب محكمة ميت غمر الاهلية

وفاء لمبلغ ٤ ج و ٣٧٥ م خلاف ما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

٤٤٥

فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ٩٤٠ الساعة ٨ ف صباحا والايام التالية اذا لزم بناحية أبو شوشه وأراضيها

سياع زراعة ١ ف و ٢١ ط و١٢ س اذره شامى بحوض المحمدى النمجوز ن ٢ بزماء أبو شوشه وتقدر للفدان ٤ أرادب ومثلها حمول بوص تقريبا

ملك زينب بنت حميلى معتوق

نفاذا للحكم ن ٣٩٠٦ سنة ٩٣٩ المابقة

وفاء لمبلغ ٤ ج و ٣٨٠ م خلاف رسم هذا وأجرة النشر

كطلب الشيخ محمد احمد محمود فراج بكوم جابر

فعلى راغب الشراء الحضور

٤٤٦

● فى يوم ٢٤ ديسمبر سنة ٩٤٠ الساعه ٨ ف صباحا بناحية شبرابخوم مركز قويسنا منوفية

وفى يوم ٢٥ منه سنة ٩٤٠ بسوق الناحية

سياع ٤ أرادب فول و ١ ف و ١ ط و ١٤ س منزرعة أذرة شامى ينتج من الفدان الواحد ٨ أرادب و ٣ حمول عفش

نفاذا للحكم ن ١١١٥ سنة ٩٣٩ السيدة ملك عبد الرحيم محمود يوسف

وفاء لمبلغ ١٠ ج و ١٠٠ م خلاف رسم هذا وما يستجد

كطلب حضرة السيدة تفيده هانم أمين على المقيمه بمصر

فعلى راغب الشراء الحضور